جامعة تشرين
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

" البِنية الإحاليّة في نصوص البخلاء للجاحظ "

رسالة أُعدت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

أعدّها الطالب :

سائر عادل دندش

إشراف:

الأستاذ الدكتور : مالك يحيا

مشاركة إشراف:

الدكتورة : سميرة الراهب

العام الدراسي 2014 – 2015م

الدكتور مالك يحيا*

الدكتورة سميرة الراهب**

سائر دندش***

مُلخّص

يتناول هذا البحث ظاهرةً لغويةً نصيّةً، هي الإحالة التي لم تأخذ نصيبها الكافي، ولم تحظَ باستقلال على الرغم من أهميتها في الدرس اللساني، فالإحالة بمفهومها العام يقصد بها وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، ولا بدّ من العودة فيها إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. ولها نوعان:إحالة خارجيّة، وإحالة داخليّة، وقد عرض البحث للإحالة الخارجيّة وآليات عملها داخل النصوص انطلاقاً من الموقف الكلامي الذي يشمل السياق والمتكلم والمخاطب،إلى جانب أهم أدوات الإحالة الداخليّة: اسم الإشارة، والاسم الموصول، والضمائر، وأدوات العطف،والمقارنة،وأداة التعريف،والتكرار،والإعراب،وعلامات الترقيم، وبيّن دورها في تحقيق التماسك في نصوص البخلاء.

وقد قام البحث بدراسة البنية الإحالية في نصوص البخلاء للجاحظ انطلاقاً من تحديدٍ نظريٍّ للمفاهيم والمصطلحات في الفصل الأول، وانتهاءً بدراسة تطبيقيّة لأدوات الإحالة الداخليّة والخارجيّة في الفصول الثاني والثالث والرابع.

الكلمات المفتاحية: إحالة بعدية، إحالة قبلية، التماسك النّصي.

* أستاذ في قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.

** أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية كلية الآداب والعوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.

*** طالب دراسات عليا (دكتوراه) في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية - سوريا.

"The Assignment Structure In Al Jahez's AL Bokhala' Texts"

DrMalekYihya
Dr Samira Al Raheb

□Summary□

This research is about a textual linguistic phenomenon, which is the assignment that did not take the deserved attention, and did not have enough independence in spite of it's importance in lingual studying, Assignment in it's general form means the existence of linguistic elements that not complete by it self from interpretation point of view, and most be reviewed in order to understand it's interpretation. and it has two kinds: External assignment, and internal assignment, and this research has shown the external assignment and it's mechanism inside the texts starting from textual stand which includes: context, addresser and addressee, besides the internal assignment tools such as: reference pronounce, relative pronounces,pronouns, conjunctions, definite articles, repetitions, denotations, and punctuation marks, and it also showed its rules in achieving the coherence in Al Bokhala' texts. The research also studied the assignment structure in Al jahez's Al Bokhala's texts starting from a theoretical definition of concepts and terms in the first chapter, and ending with the applied study of the internal and external tools in chapter two, three, and four.

المقدمة:

تتغيّا هذه الدراسة الكشف عن أدوات التماسك النّصي التي لم تشر إليها الدراسات اللّسانيّة الحديثة، إذ يُعدُّ هذا البحثُ لبنةً جديدةً في إطار الدّراسات اللّسانيّة الحديثة التي تهدف إلى إعادة قراءة تراثنا الأدبي قراءة لسانيةً معاصرةً، كما إنّ هذا البحث يعد امتداداً وتطويراً لجهود السابقين من علماء العربيّة، الذين أشاروا إشاراتٍ موسّعة إلى قضايا الربط والتماسك من خلال نظرية النظم، وسياق الحال، ودور المتكلّم والمخاطب في إنشاء النصوص وفهمها.

وإذا حاولنا استعراض حركة التأليف عن البخل والبخلاء في التراث العربي نجدها قد بدأت بأحاديثَ وحكاياتٍ وروايات جمعها رواةُ الشعر والأخبار، ثم جاء أبو عثمان الجاحظ فألّف كتابه (البخلاء)، فكان فتحاً في هذا الميدان.

فمن هو البخيل عند الجاحظ؟وكيّف أخرج كتابه الشهير (البخلاء)؟ البخيلُ كائنٌ حيٌّ يلتذّ بجمع القروش، وهي عنده غايةٌ يسعى في تحقيقها، وليست وسيلةً للشراء وقضاء الحاجات الضرورية منها والكمالية، ينظر إلى المال نظرة تقديس وإجلال، يتعبّد له ويحافظ عليه ويعمل من أجله، والبخيل على عكس الكريم الذي يجعل من المال خادماً له يبعثره دون حساب أو تقدير، يُلّبي كل رغباته، وبدل أن يكون خادماً له كالبخيل يصبح مخدوماً به.

والبخيل في أدب الجاحظ إنسانٌ حقيقيٌّ موجودٌ في المجتمع، لا شخصيةً أسطوريةً أو متخيلةً، هو إنسان يرى الاقتصاد في النفقة هو العقل بعينه، بل هو السلوك الصحيح، وتثمير المال هو الوسيلة الأجدى أو مذهب "الجمع والمنع" كما يحلو للجاحظ أن يصفه، ويرى في الطعام إطالةً للعمر، ودفعاً للموت، لذلك يحرص على القرش، ويخشى الفقر، فهو لا يطمئن إلى الحياة، ويصبح القليل في عينيه كثيراً، لأنّ القليل يقود إلى الكثير، وهو مغلقٌ على نفسه، يخاف الناس. ويظن بهم الشّر، وهم عنده ذئاب كبيرة تريد أن تتسلط على ما يمتلك، والبخيل بخيل على كل شيء فهو بخيل على نفسه، وبخيل على غيره، وهو يقتصد في كل شيء، ويرحّب بأن يُستضاف، ولكنه ينكر الجميل، ويرفض أن يقابل مُضيَفه بالمثل، فهو شخص متناقض ومنافق. وأما المدوّنة فقد وجدنا النصوص فيها كثيفةً وغزيرةً كمّاً وكيفاً، ممّا يجعلها تتآلف وتتجانس حيناً وتختلف وتتمايز حيناً آخر إلى درجة يصعب فيها تحديد منهجه في التقسيم. فتأتي النصوص تحت المسمّيات أو العنوانات: رسالة، أو حديث، أو شروح، أو تفسير، أوردّ، أو أطراف من علم العرب في الطعام، أو طرفةٍ، أو قصة، أو نادرة. ولا تأتي هذه النصوص مرتبةً أو مصنفّةً وإنما تأتي غير مقسّمة وغير مطردة شكلياً. وبعد المقاربة والمقارنة رأينا تصنيفها في ثلاثة أنواع: نصوص

يغلب عليها الطابع البياني (رسائل)، ونصوص يغلب عليها الطابع السردي (قصص)، ونصوص يتداخل فيها الجانبان البياني والسردي (النوادر).

من هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ(البِنية الإحالية في نصوص البخلاء للجاحظ)، لأنّ الجاحظ من أهم ناثري العربية وأغزرهم إنتاجاً، ويعدّ كتابه أحد الكتب التراثية المهمة التي استطاعت أن تجسّد لنا عصر الجاحظ بكل حيويته، فتنقل الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها وتفاعلاتها، كما استطاعت أن تنقل لنا الحياة الثقافيّة بكل إشعاعاتها ورحابتها المدهشة، إذ ظهر فيها امتزاج للثقافات في عصره، وقد جمع فيه الجاحظ أخبار البخلاء من مختلف الأمم، وتناول فيه مختلف الفئات، وقصّ أخبارهم في البخل. وقيمة الكتاب تتجلى في ذلك التصوير الدقيق للتركيب النفسي والعقائدي والأخلاقي لمختلف ألوان الطيف الإثني في عصر الجاحظ، لذلك كلّه تخيّرنا النصوص في هذا الكتاب لتكون بساطاً للبحث ومجالاً للدراسة لقيمتها التي لا تقتصر على كونها نصوصاً أدبيةً تلقي الضوء على طبيعة الفكر العربي فحسب، بل لتوافرها على جملة من القيم الفنيّة والجماليّة التي تميّزها من غيرها من النصوص النثرية العربية.

وقد تخيّرنا الإحالة لأنها ألمحُ أداة تسهم في عملية تماسك النصوص وانسجامها على مستوى الكلمات والجمل،وكذلك فإن الإحالة من أكثر الظواهر اللغوية تواتراً في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملةٌ أو نص؛ لأنها تتحكم بمسار الرسالة المبثوثة من قبل المرسل مجبرةً المتلقي على التنقّل في فضاء النص المدروس، فهي من أهم معطيات النص التي تسهم في نصّيّته.

ففي البحث محاولة جديدة في تطبيق النظريات اللسانية الحديثة على النص النثري التراثي، إذ إن أهمية هذه الدراسة تأتي من القيام على رصد ظاهرة لغوية نصيّة، وتحليل عناصرها وتبيين آثارها في حدود النص التراثي، وهي ظاهرةٌ –أي الإحالة – لم تأخذ نصيبها الكافي، ولم تحظَ ببحث مستقل على الرغم من أهميتها في الدرس اللساني. فلم نجد من بين هذه الدّراسات إلّا إشاراتٍ مختصرةً لا تتعدى المقطع الواحد أو الصفحة الواحدة. أما كموضوع مستقلّ يشكّل عنواناً رئيساً فلم نجد سوى كتابٍ واحدٍ بعنوان "الإحالة في شعر أدونيس" للباحثة داليا أحمد موسى، والذي عرض للإحالة من وجهة نظر نقديّة، لكنّنا وجدنا الإحالة عنواناً فرعيّاً ضمن كتابٍ صدر في جزأين حمل الأول عنوان "في بناء النص ودلالته – محاور الإحالة الكلامية" والجزء الثاني حمل عنوانه الفرعي "نظم النص التخاطبي – الإحالي" للباحثة مريم فرنسيس، والذي لم نستفد منه كثيراً لأنه لم يهتم بدراسة الإحالة إلّا من جانبٍ واحدٍ هو جانبها الإشاري إلى وحدات الشخوص والزمان والمكان، ولم يُحصر

الاهتمام فيه بالنص الأدبي بل طُبّقت النظريّة على أنواعِ الخطابات التأريخيّة والصحفيّة والعلميّة والأدبيّة وغيرها، حتى غدا الكتاب عاجزاً عن دراسة الإحالة من جوانبها كافةً.

نحاول دراسة نصوص البخلاء برؤية تجمع بين ما أبدعه رواد الفكر الغربي ومنهم: روبرت دي بوجراند، كلاوس برينكر،جون لاينز، جوليان براون، وجورج يول، وهاليدي، وما توصل إليه الباحثون العرب ومنهم: صلاح فضل، وسعيد حسن بحيري، ومحمد خطّابي، والأزهر الزّناد، وصبحي إبراهيم الفقي وغيرهم، إذ تبدو هذه النصوص بدايةً نصوصاً سرديةً متجاورةً لا رابط بينها،فانطلقنا للبرهنة على مدى تماسك الأجزاء المكوّنة للنص الواحد، ثم مدى ترابط النصوص فيما بينها، حتى تبدو نسيجاً ملتحم الأواصر.

فاعتمدنا التحليل في تتبع عناصر الإحالة داخل النصوص،والمنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بدراسة بنية اللغة في مختلف مستوياتها، كما إن تتبعنا لآليات الإحالة الخارجية في النصوص قادنا إلى المنهج التداولي الذي يهتم بجملة العناصر المكونة للموقف الكلامي (السياق) أي يربط النص بالمتكلم والمخاطب، وبالوظائف الداخلية والخارجية،وهذه الوظائف تسند وفقاً لسياق الكلام إلى كلمات الجملة، وكذلك يبحث هذا المنهجفي الدلالة، وفي وسائل الربط الدلالي، وفحوى الخطاب؛ وهو ممّا تقتضيه طبيعة هذه الدّراسة في هذا البحث.

إنّ رصد حركات الإحالة في النص ومعرفة أدواتها تُعدُّ من أهم مفاتيح الباحث اللغوي للولوج إلى بنية النص وتحليله. ومن ذلك حركة الضمائر على سطح النص، وتنّوعها وتحّولها، واحتواء بعضها لبعض، مع رصد ما ينتج عن كل ذلك من حركات دلالية في النص نفسه لأنّها تعدّ انعكاساً لحركة الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأل التعريف، والتكرار بأنواعه، والمقارنة، والعطف، والإعراب وغيرها. ومراعاة النصّية تجعلنا نتجاوز النمط القديم الذي تناول به أسلافنا قضية الإحالة في أثناء حديثهم عن مرجع الضمير ومفسّره، فلم يكن الهدف الأول من هذه الدراسة بيان مرجع الضمير وسائر أدوات الإحالة في النص؛ إذ هذا مظانّه في كتب اللغة، ولا حاجة للتكرار والإعادة ، ومن هنا ركزّنا جهدنا على الحديث عن دور تلك الأدوات والعناصر الإحالية في بناء النص وتشكيله وتماسكه، ووصل النص اللغوي بالسياق ،والاهتمام ببيان عناصر التماسك بين أجزاء النص، والسعي إلى فهم النص وتفسيره استناداً إلى مقولات لغوية، بالإضافة إلى مقولاتٍ غير لغوية، وما يرتبط بذلك من مشكلات ، مثل دور القارئ في تحديد المعنى،

وتحديد قصد منشئ النص، ثم تفسير عناصر النص في إطار وحدة كليّة له، فدلالة المفردات والجمل خارج النص ليست هي بالضبط دلالتها داخله.

وفيما يتعلّق بمعوقات البحث وصعوباته، فأكثر ما واجهناه من مشكلات فقد تمثّل في قلة المصادر التي أحاطت بموضوع الإحالة وفي صعوبة حصولنا على المراجع المطلوبة، وأكثر ما شكّل عائقاً أمام طريق إتمام البحث وإنجازه لمهامه في مراحله الأولى هو عدم وجود دراسة لغوية سابقة نفيد منها في دراستنا لموضوع البحث؛ تُسهّل علينا تحديد خطّة البحث وآلياته، ودراسة موضوع الإحالة دراسة علميّة أكثر شموليّة وأكثر نضجاً بحيث كنا نستطيع من خلالها فهم مادة البحث وتجاوز مستوى دراساتها السابقة وإغنائها بمزيد من التجارب والتطبيقات. وقد حاولنا قدر الإمكان عدم السماح بانعكاس السلبيات التي رافقت ظروف البحث وطبيعة مشكلاته على منهجيّة البحث بجانبيه النظري والتطبيقي،ولاسيما النظري منه والذي افتقدنا في الكثير من مباحثه إلى خبرات سابقة تعيننا على تجاوز التباساته وعدم دقة آلياته. ممّا اضطرنا ذلك إلى إفراد فصلٍ خاصٍ بالمفاهيم والمصطلحات قبل البدء بالتطبيقات.

وأمّا ما يخصّ أهم المصادر التي اعتمدنا عليها، فقد توزّعت اختصاصاتها بين النظريات اللّسانيّة والدّلاليّة والسيميائيّة والنقديّة التي أفدنا منها في صياغتنا لنظرية الإحالة مثل كتاب " لسانيات النص" لمحمد خطّابي، و"لسانيات النّص" للباحثة ليندة قيّاس، و "نظرية علم النّص" لحسام أحمد فرج، و"نسيج النص" للأزهر الزّناد، و "دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنيّة والدلالة" لسعيد حسن بحيري، وأمّا الدراسات السابقة التي تناولت نصوص البخلاء بالدراسة والتي استفدنا منها في تحليلنا للنصوص نذكرُ كتاب "نوادر البخلاء" لمحمد عبد الرحمن الربيع، و"مع البخلاء" لفاروق سعد، واعتمدنا في بحثنا المدوّنة التي أخرجتها دار إحياء العلوم في بيروت، والتي حققّها الشيخ محمد سويد، و صحّحها وأعدّ فهارسها مصطفى قصّاص.

ومن أجل تحقيق الأطروحة لأهدافها العلميّة آثرنا تقسيم موضوع البحث على أربعة فصول، أمّا الفصل الأول فهو فصل نظريّ تطرّق إلى المفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة بموضوع الدراسة: الإحالة في اللّغة، الإحالة عند القدماء، الإحالة عند المحدثين، العنصر الإشاري (المحال إليه)، العنصر الإحالي (المحيل)، الإحالة الخارجيّة، الإحالة الداخليّة، الإحالة الداخليّة القبليّة، الإحالة الداخليّة البعديّة، المدى في الإحالة، التماسك النّصي، السياق.

وأمّا الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي، قمنا فيه بدراسة الإحالة الخارجيّة وطريقة عملها في نصوص البخلاء، وقسمناه إلى أربعة مباحث، درسنا في الأول السياق التاريخي، وفي الثاني السياق الاجتماعي، وفي الثالث السياق اللّغوي، وفي الرابع سياق الموقف. وفي الفصل الثالث قدّمنا دراسة تطبيقيّة لأهم الأدوات الإحاليّة الداخليّة في نصوص البخلاء، وقسمناه إلى تسعة مباحث هي: أسماء الإشارة، الاسم الموصول،الضمائر، أدوات العطف، أدوات المقارنة، أداة التعريف، التكرار، الإعراب، علامات الترقيم. أما الفصل الرابع فقد درسنا فيه مقولا تفي التحليل النّصي للبنية الإحالية في نصوص البخلاء، وقد قسمناه إلى أربعة مباحث، في الأول درسنا التناص في نصوص البخلاء، وفي الثاني السياق في الرسائل، وفي الثالث الإحالة في الحكايات، أما في الرابع فقد قدّمنا دراسة تطبيقية للتماسك النّصي في القصص.

وفيما يتعلّق بتقسيم الجانب التطبيقي للأطروحة على ثلاثة فصول، فتجدر الإشارة إلى الأساس الذي اعتمدناه في هذا التقسيم، إذ يتمثّل في طبيعة النصوص في كتاب البخلاء كما قدّمنا، فبعضها يغلب عليه الطابع السردي(قصص)، وبعضها يغلب عليه الطابع البياني(الرسائل) وبعضها يتداخل فيها الجانبان البياني والسردي(النوادر)، في الختام أتقدّم بخالص الشكر وجميل العرفان إلى جامعة تشرين أساتذة وإداريين، ولكل من أسهم في إغناء البحث أو في إخراجه بهذه الصورة.

ولا يسعني إلا أن أتقدّم بالشكر الجزيل لأساتذتنا الأفاضل الأستاذ الدكتور (**مالك يحيا**) المشرف على هذه الرسالة والدكتورة الفاضلة (**سميرة الراهب**) المشاركة في الإشراف على هذا البحث، على ما قدماه من نصح وتوجيهات لدعم هذا البحث، وما رفداني به من رؤى ثاقبة سارت بالبحث خطوات أرحب. كما أتوجه بالشكر والامتنان لكل من قدم لنا العون ومدّ يد المساعدة،وأرجو أن أكون قد قدّمت في هذا البحث بعض ما أصبو إليه من خدمة العربية وتراثها، وقد نشدت وجه الحقّ في كل سطر كتبته، فإن أصبت فذلك حسبي، وإن أخطأت فما أنا إلاّ إنسانٌ ضعيف يصيب قليلاً ويخطئ كثيراً، وسبحان من له الكمال وحده، فمنه السداد وبه التوفيق، والحمد لله أولاً وآخراً.

الفصل الأول

المفاهيم والمصطلحات

- **تمهيد**

– الإحالة في اللّغة
– الإحالة عند المحدثين
– العنصر الإحالي (المحيل)
– الإحالة الداخلية القبليّة
– الإحالة الداخليّة البعديّة
– التماسك النّصي
– السّياق التاريخي
– السّياق اللّغوي
– التّناص
– الإحالة عند القدماء
– العنصر الإشاري (المحال إليه)
– الإحالة الخارجيّة
– الإحالة الدّاخليّة
– المدى في الإحالة
– السياق
– السّياق الاجتماعي
– سياق الموقف

تمهيد

أ-المصطلح:

يشكّل المصطلح الرّكيزة الأساسيّة في تكوين المعرفة الإنسانيّة، ولعلّ ما يميّز المعارف والعلوم بعضها عن بعض هو اختلاف مصطلحاتها، ذلك أنّ حقل المعرفة الذي يتشكّل فيه المصطلح هو الذي يوجه مفهومه ويحدّد دلالته، ولا شك أنّ تطّور دلالات المفاهيم القديمة وإنتاج المفاهيم الجديدة مرتبط بتطوّر معرفي، ذلك أنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتُها التي تشكل ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفيّة، وعنوان ما يتميّز به عمّا سواه، وليس هناك من سبيل أمام الإنسان يتقرّب به إلى منطق العلوم غير ألفاظه الاصطلاحيّة، ونظراً لما للمصطلح من خطر في حيازة العلم والتحكّم في مقولاته إذا ما تحكّم فيه، عُدتْ مسائل التّعريف والمفهوم والمصطلح أولى المنطلقات المنهجيّة في أيّ بناء معرفيّ، لكن يبقى التعامل مع هذه المنطلقات في حقل العلوم الإنسانيّة بصفة عامّة وحقل اللّسانيات بصفة خاصة أصعب مسلكاً، وأقلّ حظاً من الدّقة لصعوبة التحديد الدقيق، والضبط الصّارم للمصطلحات والمفاهيم.

ولعلّ أهم تلك المشكلات مرتبط بصعوبة الفهم التي تنتج عن كثرة المصطلحات المتداولة، وتشعّبها نتيجة تعدّد مصادرها وطرق وضعها، واختلاف الباحثين في توظيفها، ناهيك عن غياب رؤية عامة تجعل ضمن أهدافها ضبط منهجيّة المصطلح وتوحيده، فالوقوف عند أهم المصطلحات يعدّ مفتاحاً مهمّاً

لإدراك قيمة الآراء النّصيّة واللّغوية وإمكانية توظيفها في المجال التطبيقي، ولا شك أنّ ثقافة أيّ أمة من الأمم، لا تنهض ولا يستقيم صرحها إلّا إذا تمكّنت من إنتاج معارف وعلوم شتّى توجّهها اصطلاحات واضحة الدّلالة، في ضوء هذا الهدف وسعياً وراء هذه الغاية، نسعى في هذا الفصل إلى النظر في الجذور اللّغويّة والاصطلاحيّة لجملة من المفاهيم والمصطلحات كثُر تردّدها في الكتابات الثقافيّة الحديثة بشتى ضروبها، ونحاول تحديد طبيعة العلاقة التي تصل بينها وهي: "الإحالة" "السياق" "التّناص" "التماسك" لأنها أدوات مفهوميّة فاعلة في إنتاج المعرفة والتأسيس للنظريات في الدّرس اللّساني الحديث، لنقدّم لمحة تاريخيّة عن نشأتها وتطوّرها وأهم مجالات تطبيقها.

ب-الملامح الثقافيّة والاجتماعيّة لعصر الجاحظ:

وصلت إلى اليونان خلاصة علوم الآشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس والرومان، فبدأ العرب منذ عهد المنصور بنقل بعض الآثار اليونانية، فكانت لهم زبدة التراث الإنساني، وبلغت حركة الترجمة أوجها في عصر المأمون، وقد أنشأ هذا الخليفة (بيت الحكمة) في بغداد، وجعل له مكتبة ومرصداً، وقد أثارت الفلسفة اليونانية رغبة الناس في استقصاء الحقيقة والاستفاضة في العلوم، فُوضعت الكتب في الرياضيات والفَلك والفلسفة والطب، وأخذت تتقلّص الخرافات والأساطير الشائعة المسيطرة على الأذهان.

أمّا البيئة الاجتماعيّة في ذلك العصر فكان أبرز ما يميّزها اختلاط الشعوب وتعدّد العناصر، وقد أدّى الاستقرار السياسي إلى الازدهار الاقتصادي الذي ولّد بدوره حُب البذخ والجشع.

ج–منزلة كتاب البخلاء ضمن مصنّفات التراث العربي:

يلقي الجاحظ في هذا الكتاب، أكثر منه في أيّ كتاب آخر، أضواء كشّافة على بيئة عصره في شتى نواحيها، فالبخلاء من هذا القبيل، مرجع وثيق لدراسة المجتمع العباسي إبان ازدهار بغداد والبصرة، وخصوصاً من عهد الرشيد إلى عهد المتوكل، والجاحظ في معالجته لموضوع البخل والبخلاء أغنى فن النثر العربي بأن جعله يشتمل على موضوعات جديدة كانت بعيدة نسبياً عن نطاقه، فهو يشير إلى انفتاح النثر العربي على مضامين جديدة، وقد عُني الجاحظ فيه باختيار الكلمة التي تستوفي التعبير عن المعنى المقصود وما استنكف عن استعمال التعابير العاميّة أحياناً وخصوصاً في سرد الحوار، وما قصده من ذلك إلا إيحاء صورة تامة عن بخلائه في أجوائهم المنوّعة.

_ الإحالة في اللّغةً:

يقول الخليل (ت175هـ): "رجلٌ محوال: كثير محال الكلام والمحال من الكلام: ما حوّل عن وجهه"[1] ويقول ابن فارس (ت395هـ): "حال الشخص يَحُول إذا تحرّك"[2]. ويقول

[1] – الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. محمد المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات,ط1، 1988، مادة حول.

[2] – ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د. ط، 1979، مادة حول.

الزمخشري (ت538هـ): "حال الشيء واستحال: تغيّر، وحال لونه، وعظم حائل... وأحاله غيره فهو حائل ومُحَال ومستحيل، وشيء مستقيم ومحال، وأحال في كلامه، وقد أحلت فيما قلت. وتقول: هو قوي المحَال شديد المِحال كثير المُحال، وحال عن مكانه: تحوّل"[1].

ويقول ابن منظور (ت711هـ): "المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه، وحوّله جعله محالاً، وأحال أتى بُمحال، ورجلٌ مِحوالٌ: كثير محال الكلام... ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته، وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال: المحال الكلام لغير شيء..... والحوال: كل شيء حال بين اثنين... حال الرجل يحول تحوّل من موضع إلى موضع. الجوهري: حال إلى مكان آخر أي تحوّل"[2].

إن كلمة"أحال"تستعمل لازمة ومتعدية، وإذا تعدّت فإنها تعني نقل الشيء من حال إلى حال أخرى، وتعني توجيه شيء أو شخص على شيء أو شخص آخر لجامع يجمع بينها، كما تجوز الدلالة بها على المعنى الاصطلاحي الذي يحيل فيه العنصر الإحالي على عنصر إشاري يفسّره ويحدّد دلالته.

إنّ الإحالة في المعاجم الآنفة حملت معنى التحوّل أو التغير، والعدول من وجه إلى وجه، ولا سيما في الكلام، وبذلك نلحظ العلاقة بين شيئين متجاورين أو متباعدين.

- الإحالة عند القدماء:

نستعرض فيما يلي تجلّي مفهوم الإحالة في تراثنا عند القدماء، وإشاراتهم المختلفة لها في كتاباتهم، وسنسعى إلى استقصاء مختلف آراء القدماء من نحاة وبلاغيين ونقاد ومفسرين وشرّاح دواوين، مستعينين بأبرز أعلامهم ونذكر منهم: سيبويه (ت180هـ)، الفرّاء (ت207هـ)، الجاحظ (ت255هـ)، المبّرد (ت285هـ)، ثعلب (ت292هـ)، ابن طباطبا

[1] – الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، بيروت: دار صادر، ط1 1992، مادة حول.

[2] – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، د. ط، د. ت، مادة حول.

(ت322هـ)، الآمدي (ت370هـ)، ابن جني (ت392هـ)، العسكري (ت395هـ)، الباقلاني (ت403هـ)، القيسي (ت437هـ)، الجرجاني (ت471هـ) ابن منقذ (ت584هـ)، الرّازي (ت604هـ)، العكبري (ت616هـ)، السّكاكي (ت626هـ)، ابن أبي الأصبع (ت654هـ)، القرطبي (ت671هـ), ابن الأثير (ت673هـ)، السّجلماسي (ت704هـ)، القزويني (ت739هـ)، ابن هشام (ت761هـ)، الزّركشي (ت794هـ)، السّيوطي (ت911هـ).

وانطلاقاً من ذلك نحاول فيما يلي أن نأخذ إشارات القدماء السابقين، مدلّلين بإيجاز على نضج نظرية الإحالة عندهم.

أ-الإحالة عند اللغويين (النحاة):

تجلّى مفهوم الإحالة عند النحاة، ونظرتهم للنص وتماسكه، من خلال الضمائر الشخصية (متكلم مخاطب غائب)، وضمائر الإشارة، وضمائر الموصول، والعطف، والتكرار. وبادئ ذي بدء نشير إلى أنّ معالجة اللغويين لمفهوم الإحالة ودورها في تحقيق التماسك على مستوى النص، اقتصر على مستوى الجملة فقط، فقد ركّزوا في قضية الإسناد على الابتداء والفاعلية وغيرهما ممّا يتعلق بالجملة، وعلى ضرورة وجود الرابط في جملة الصلة والخبر الجملة. وهذا نوعٌ من التأكيد على دور الإحالة في تحقيق التماسك، لكن على مستوى الجملة فقط، وتحدّث سيبويه (ت180هـ) من قبل عن "أهمية وجود الضمير الذي يحيل على السابق وإلاّ يصبح الكلام غير حسن"[1] وساق على ذلك جملة من الشواهد[2].

ويأتي سيبويه من بين علماء العربية الأوائل حين أشار إلى الدور الذي تؤديه المعوّضات أو الأسماء المبهمة التي تمتلك سمة الإحالة وتفتقر في المقابل إلى مرجع يُفّسرها، يشير سيبويه إلى الإحالة اللاحقة قائلاً: "فأمّا المبني على الأسماء المبهمة فقولك:

---

[1] – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب د. ط، د. ج85/1.

[2] – المصدر السابق، ج85/1 – 87.

"هذا عبد الله منطلقاً فهذا اسم مبتدأ ليبنى عليه ما بعده وهو عبد الله ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يُبنى أو يُبنى على ما قبله"[1] بناءً على ما جاء به سيبويه في نصوصه عن الضمير ومفسّره والموضع الذي يشغله كل منهما في الكلام ندرك مدى سبقه لعلماء النص المحدثين في حديثه عن الإحالة وإن على مستوى الجملة، وما قاله على مستوى الجملة يمكن أن ينسحب على النص.

ومن نماذج مرجعية الضمير إشارة الفرّاء (ت207هـ) إلى ذلك في تعليقه على بعض الآيات القرآنية وتفسيره لمرجعية الضمير فيها[2]. والمبرّد (ت285هـ) يّركز على أنّ "اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئاً، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى....[3] وكذلك أكدّ المبّرد (ت285هـ) على ضرورة وجود ضمير في جملة الصلة يرجع إلى الموصول، فالجملة قد تصبح غير جائزة أو غير صحيحة نحوياً إذا افتقرت إلى المرجع إلى الموصول مثل: "رأيت الذي اللذان أبوهما منطلقان في الدار... لأنه ليس في صلة الذي ما يرجع إليه"[4] وأشار المبّرد أيضاً إلى ضرورة وجود ضمير في جملة الخبر، فلا بد أن يكون في الخبر

---

[1] – المصدر السابق، ج2/8-7.

[2] – الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ط1، 1955، ج1/335. ومن خلال الشواهد التي عرضها الفرّاء يبدو اعتماده على السياق الخارجي في بحثه عن العنصر المحال إليه الكامن في الحقل الخارجي والمُفّسر للضمير والمعين لدلالته, كما يظهر من تعليقه إدراكه لوظيفة السياق المقامي عبر أسباب النزول ومناسباتها التي برز دورها التفسيري أن ضبطت الوسيط المقامي ففكت شفرة العنصر الإحالي، ولولا استناد الفراء إلى المقام الخارجي لما زال اللبس الذي سيقع فيه القارئ لا محالة؛وبذلك يكون الفراء وغيره من علماء العربية مّمن عكفوا على النص القرآني –دراسةً وتحليلاً، تفسيراً وتأويلاً–قد سبقوا علماء النص المحدثين, عندما أكدوا على دور السياق في تحديد دلالات بعض العناصر الإحالية وهو ما يعرف لديهم بـ"الإحالة الخارجية أو المقامية.

[3] – المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب، د. ط، د. ت، ج4/126-127.

[4] – المصدر السابق، 191/3.

"ذكرٌ... ونظير ذلك: زيد يذهب غلامه، وزيدَ أبوه كريم.. ولو قلت: زيد قام عمر لم يجز"[1].

ولابن جني (ت392هـ) تعليقٌ يؤكد فيه مرجعية الضمير في معرض حديثه عن البيت الشعري الذي أورده سيبويه في كتابه [2]، ثم ننتقل لنصل إلى مفكر لغوي من مفكري القرن الثامن الهجري هو ابن هشام (761هـ) نجده قد أنتج مادةً غزيرةً ترتبط بالمرجعيّة القبليّة والبعديّة وترتبط بمواضع وجوب وجود الرابط والأشياء التي تحتاج إلى رابط وغير ذلك[3].

ممّا تقدّم نرى أن القدماء عبّروا عن فهمهم للإحالة بمصطلحيّ (المرجعيّة والربط) وعرضوا للإحالة الداخليّة بنوعيها القبليّة (إحالة إلى سابق) {سيبويه} والبعديّة (إحالة إلى لاحق) {المبّرد} {وابن هشام}، وكذلك عرضوا للإحالة الخارجية بمراعاة السياق {الفرّاء} وهو ما سنفصل الحديث فيه في الفصول الآتية من هذا البحث، كذلك نلحظ من النحويين من تعدّت نظرته للإحالة حدود الجملة، لتشمل النص ككل {الفراء} وبناءً على ذلك " لا يمكننا تجاهل جهود أجيال من النحاة في توضيح العلاقات المعنويّة بين أجزاء الجملة من خلال بحث القرائن المعنوية والقرائن اللّفظية والقرائن الحاليّة التي تعرف من المقام، كما أنّهم حرصوا على إيضاح وسائل الترابط في السياق أو العلاقات السياقية"[4].

ب – الإحالة عند البلاغيين:

---

[1] – المصدر السابق، 128/4.

[2] – ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، (د. ط) و (د. ت) 253/1– 293.

[3] – ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، سعيد الأفغاني، جامعة حلب، د. ط 1972م، ص647– 649–650.

[4] – بحيري، د. سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص166.

لـم يُشرْ البلاغيـون إلـى الإحالـة إشـارةً مباشـرةً بالاسـمِ، وإنمـا سـاقوا فـي نصوصـهم و كتاباتهم عبارات و تعبيرات تنمُّ عن فهمهم لهذهِ الظاهرة، و أبرزوا دورها في تحقيق التماسك و الترابط بين أجزاء النص أو الفقرة الواحدة، وإن كانت معالجاتهم في مجملها لا تكاد تتعدى نطاق الجملة أو الجملتين على المستوى النحوي أو التركيبي، دون أن تتجاوزه إلى المستوى الدّلالي للفقرة الكاملة، أو النص التام، فيما عدا محاولة واحدة فريدة سنشير إليها لاحقاً، تعرضَّت لمفهوم التماسك (الإحالة) على المستوى النصي للقصيدة الواحدة، وسنعرض جهودهم هذه من خلال مجموعة من القضايا البلاغية التي عالجوها وهي:
(الفصل والوصل، ردّ العجز على الصدر، التضمين، المطابقة، التكرير).

1-**الفصل والوصل:** أقدم إشارة إلى أهمية الفصل و الوصل في الخطاب جاءت عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في حديثه عن البلاغة، فقد جاءَ فيه أنهُ "قيلَ للفارسي ما البلاغة؟ قالَ: معرفة الفصل من الوصل"[1]. "على أنَّ الفصل والوصل كمظهر بلاغي مرَّ بمرحلتين: نُسّمي أولاهما "تسجيل أهميته" في الكلام، والثانية مرحلة الوصف المنظَّم للفصل والوصل[2].

[1] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بشر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1968 م، 88/1، هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره، . ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، د. ط، د. ت 470/3.

[2] – خطّابي، محمّد، لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء &بيروت: المركز الثقافي العربي ط1، 1991 م , ص97، يمكننا التمثيل للمرحلة الأولى بما ورد في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري, وللثانية بالدلائل للجرجاني والمفتاح للسّكّاكي "ينظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)،

2-ردَّ العجز على الصدر: يقول العسكري: "أول ما ينبغي أن تعلمه أنك إذا قدَّمت ألفاظاً تقتضي جواباً فالمرضيُّ أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها.... ولرد الأعجاز على الصدور موقع جليل من البلاغة وله في المنظوم خاصةً محلٌ خطير وهو ينقسم أقساماً"[1]، ولابن أبي الإصبع (ت654هـ) تصريحٌ يُظهرُ فيه دور (ردِّ العجز على الصدر) في تحقيق الترابط والتلاحم و التماسك بين أجزاء الفقرة الواحدة في النثر، وبين شطري البيت الواحد في الشعر فقد عرَّفه بقوله: "هو عبارة عن كلّ كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالباً أو معنوية نادراً تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كلّ الكلام"[2].

يتضح هنا في كلام ابن أبي الإصبع دور (ردّ العجز على الصدر) في تحقيق التلاحم والتماسك بين قسمي الكلام, فقد أشار صراحةً إلى هذا الدور من خلال الرابطة اللفظية أو المعنوية بين الصدر والعجز.

ويعرِّفه السجلماسي (ت704 هـ) بقوله: "قول مركّب من جزأين متفقين المادة والمثال، كل جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال ملائميّة، وقد أخذا من جهتي وضعهما في الجنس الملائكي من الأمور موضع أحدهما صدراً و الآخر عجزاً مردوداً على الصدر بحسب هيئة الوضع اضطراراً ومعنى ذلك أنه مما قد تقرر ينبغي أن يكون أحد الجزأين –

تحقيق: علي محمد البجّاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952، ص438، الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز (في علم المعاني)، صحّح أصله: الإمام محمد عبده، الشيخ: محمد محمود التركزي الشنقيطي، صحّح حواشيه: السيّد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط1، 1978م، ص171، السّكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1987م، ص248.

[1] – العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، الصناعتين، ص 385.

[2] – ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني، بديع القرآن، تحقيق الدكتور حنفي محمد شرف، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2، 1971 م، ص. 36.

وهو العجز ضرورةً– كائناً من القول في الخاتمة و النهاية و الآخر فقط دون تضاعيفه وأثنائه"[1].

"تتفق التعريفات السالفة على كون مدار ردّ العجز على الصدر، هو ورود كلمة في الشطر الأول و الثاني معاً، وإذا كان هناك من اختلاف بينها، فهو متعلق بالتقسيمات أي مواقع ورود هذه الكلمة"[2] وحين نعود إلى الآمدي (ت370هـ) في تفسيره وتمثيله لقول البلغاء "هذا كلام يدل بعضه على بعض، ويأخذ بعضه برقاب بعض"[3].

نجد بين الشواهد التي ساقها لتفسير هذا القول والتمثيل له شواهد فيها (ردَّ العجز على الصدر)[4].

3-المطابقة أو الطباق: يقول العسكري: " قد أجمع الناس أنَّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء و ضده في جزء من أجزاء الرسالة، أو الخطبة، أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض و السواد، والليل و النهار (....) والطباق في اللغة الجمع بين الشيئين يقولون: طابق فلان بين ثوبين، ثم استعمل في غيرِ ذلك، فقيل طابق البعير في سيره إذا وضعَ رِجلَه موضع يده"[5].

---

[1] – السجلماسي، أبو محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازى، مكتبة المعارف، ط1، 1980م، ص 406.

[2] – خطَّابي، محمد، لسانيات النص، ص 133.

[3] – الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، مصر: دار المعارف، ط2، 1972 م، ص 297.

[4] – الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ص 297– 299.

[5] – العسكري، الصناعتين، ص 307.

ويقول القزويني (ت739هـ): "المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضاً، وهي: الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد، أو فعلين أو حرفين وإما بلفظين من نوعين [1].

4-التكرير أو التكرار: اصطلح السجلماسي (ت704هـ) على تسمية التكرار اللفظي (البناء) ولنلحظ ما في هذا المصطلح من دلالة الربط و التلاحم والتماسك يقول: "البناء: وهو إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعداً، خشية تناسي الأول لطول العهد به في القول"[2].

ولم تكن إشارة السجلماسي هذه, هي الأولى من نوعها في البلاغة العربيّة، بل قد سبقه إليها ضياء الدين بن الأثير (ت637 هـ) حيث قال _ نافياً إدراج مثل هذا التكرار في تكرار المعنى بإضافته إلى نفسه_ قال: "ولربما أدخل في التكرير من هذا النوع ما ليسَ منه، وهو موضع لم ينبه عليه أيضاً أحد سواي،... هذه الآيات يظن أنها من باب التكرار، وليست كذلك، وقد أنعمت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير، وذلك انه أطال الفصل من الكلام وكان أوّله يفتقر إلى تمام لا يفهم إلا به، فالأولى في باب الفصاحة أن يُعاد لفظ الأول مرة ثانية، ليكون مقارناً لتمام الفصل، كي لا يجيء الكلام منثوراً لاسيما في

---

[1] – القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، د. ط، 1989، ص 477– 478 وهذا النوع من الطباق يختص بمصطلح (طباق الإيجاب) و واضح فيه إيراد أزواج من الألفاظ متصاحبة دوماً، حيثُ يستدعي أحدهما الآخر. من خلال الأمثلة رأينا أنَّ المطابقة حققت التماسك و الترابط بينَ أجزاء الجملة أو البيت الواحد في معظمها، وتجاوزت المطابقة حد الجملة إلى الجملتين كما في قوله تعالى: ﴿ تؤتي الملك مَنْ تشاء، وتنزعُ المُلكَ ممن تشاء، وتعزُّ مَنْ تشاء وتذّلُ مَنْ تشاء﴾ سورة آل عمران – الآية 26 وهنا يتضح دور المطابقة في تحقيق التماسك (الإحالة)، وتوسيع المساحة التي يحدث فيها " فمن الجائز أن يرد الطباق بين كلمتين، تنتمي إحداهما إلى مقطع أو فقرة من النص، وتنتمي الثانية إلى مقطع أو فقرة أُخرى. ومثل هذا الطباق الرابط بين طرفيه، يغدو مؤشراً سطحياً إلى وجود ترابط بين هاتين الفقرتين أو المقطعين.

[2] – السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص 478، 477.

(إنّ وأخواتها) فإذا وردت (إنَّ) وكان بين اسمها وخبرها فسحةً طويلةً من الكلام، فإعادة (إنَّ) أحسن في حكم البلاغة والفصاحة كالذي تقدم من هذه الآيات"[1].

5-التضمين: التضمين كما يعرّفه أبو هلال العسكري: "هو أن يكون الفصل الأول مفتقراً إلى الفصل الثاني، والبيت الأول محتاجاً إلى الأخير[2]، ويقول ابن الأثير:

"هذا النوع فيه نظر بين حَسَنٍ يكتسب به الكلام طلاوة وبين معيب عند قوم، وهو عندهم معدود من عيوب الشعر، ولكل من هذين القسمين مقام، أما المعيب عند قوم، فهو تضمين الإسناد وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنثور، على أن يكون الأول منهما مسنداً إلى الثاني فلا يقوم الأول بنفسه، ولا يتم معناه إلاّ بالثاني، وهذا هو المعدود من عيوب الشعر"[3].

فالتضمين في مصطلح البلاغيين القدماء يعني "الارتباط الدلالي المباشر أو التعالق النحوي بين الأبيات المختلفة، إذ كانوا يعتبرون مثل هذا الارتباط من العيوب التي يجب على الشاعر تفاديها، وبهذا فإنهم لم يكونوا يقتصرون على تناول الجزئيات دون الاهتمام بالطابع الكلي للنص الشعري بل إنهم قاموا بدور خطير متناقض في كثير من الأحيان في تكريس هذه النزعة الجزئيّة"[4].

وقد تطرَّق حازم القرطاجني "إلى مختلف الصلات التي تربط بين أجزاء النص فتحقق له تماسكه والتحامه شارحاً الكيفيّة التي يتمّ بها هذا التماسك والوسائل اللغويّة التي يعتمدها الشاعر في سبيل تحقيق هذه الغاية مع الإشارة إلى أنّه تعرّض إلى هذه القضايا من خلال

---

[1] – ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د. ط، د. ت 157/2-160.

[2] – العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، الصناعتين، ص36.

[3] – ابن الأثير، المثل السائر، 341/2.

[4] – فضل، د. صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسة عالم المعرفة، العدد 164 أغسطس 1992، ص264-265.

دراسته لقصيدة المتنبي" أغالبُ فيك الشوقَ والشوقُ أغلبُ"التي ضمنها كتابه" منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، والتي درسها دراسة شاملة على المستويين النحوي والدلالي"[1].

ودراسة القرطاجني السالفة الذكر، تكاد تكون الدراسة الوحيدة التي شملت نصاً تاماً في البلاغة القديمة، " في تحليله لأجزاء القصيدة و تسميته لكل قسم منها فصلاً وتمييزه بين المطلع وهو البيت الأول منها و المقطع وهو مكان الوقوف، ولا يهمل الإشارة إلى طريقة وصل الفصول بعضها ببعض بل يفعل ذلك بأسلوب الشرط إذ يشترط أن يكون معنى كل فصل تابعاً لمعنى سابقه ومنتسباً إليه في الغرض ويسمى ذلك تسميةً اصطلاحيةً" الاطراد في تسويم رؤوس الفصول" ويمضي في تطبيق هذه التصورات على قصيدة المتنبي "أغالبُ فيك الشوقَ و الشوقُ أغلبُ"[2].

"ومن الأمور التي انتهى القرطاجني إلى ضرورة توفّرها لكي يتحقق للقصيدة ترابطها: "وجود علاقة منطقيّة بين أبيات الفصل" وهو أن يكون هناك ترابط وفق علاقات معنية بين أبيات الفصل الواحد (مفهوم الفصل عنده أنّه يشمل بيتين إلى أربعة أبيات تدور حول معنى واحد) كالسببّية أو الشرح أو غيرها، بحيث يلي البيت الواحد في القصيدة بيت آخر مرتبط به ارتباطاً معيّناً كأن يكون شرحاً له أم تتمةً لمعناه"[3].

ومن وسائل الربط بين الفصول – حسب القرطاجني– التلميح في نهاية الفصل إلى أحد معانيه ويأتي بعد ذلك تدعيمه لهذه الفكرة بإبراز الروابط الشكلية التي يمكن أن تجسّد هذا الترابط يقول في ذلك: "فأما المتصل العبارة والغرض فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقة من جهة الغرض، وارتباط من جهة العبارة، بأن يكون بعض

---

[1] – القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمّد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي، ط2، 1981م، ص289.

[2] – فضل، د. صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص341

[3] – القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 290.

الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط"[1]. ممّا سبق نرى أن القرطاجني "قد أدرك بنفاذ بصيرة منقطع النظير في عصره جلَّ العوامل التي تكفل للنص الشعري تماسكه واتساقه، وأن العمل التحليلي الذي قام به لا يكاد يختلف في شيء عما يقوم به دارسو الأدب المحدثون المتأثرون بعلم النص، ولعلَّ في هذا تفنيداً لما يذهب إليه بعض النقاد من أن كل الدّراسات البلاغيّة العربيّة القديمة كانت تفتقر إلى الشمول"[2].

وممّا تقدم نرى أنَّ نظرة البلاغيين للإحالة اختلفت عن نظرة النحاة من حيث الاصطلاح، ولكنها من حيث الجوهر لم تتغير، فالإحالة عند النحاة وعند البلاغيين وسيلة من وسائل التماسك بين أجزاء النص، وقد اختلفت مصطلحات البلاغيين في التعبير عنها، فالجرجاني أطلق عليها تسمية العلاقة والسبب والتعلق والارتباط و الاتحاد، في حين اصطلح السّكاكي على تسميتها بالاتحاد و الارتباط و التآخي، أما ابن أبي الأصبع فاصطلح عليها الملاءمة والتلاحم و اشترك القزويني مع الجرجاني في اصطلاح العلاقة، أما السجلماسي فقد انفرد بمصطلح البناء، وكذلك اشترك القرطاجني مع الجرجاني في تسمية الارتباط والتعلق، و"ليس هناك أدنى شك في أننا يمكننا أن نعيد النظر في الإشارات التي قدّمها القدماء في البلاغة والتفسير والفقه والنقد وغير ذلك من فروع التراث تلك التي تتجاوز إطار الجملة وتتعلق بتتابعات جمليّة أو أجزاء عدة من نص، بل بنص كامل وإن قلّت الأخيرة، ونشكّل تصّوراً عاماً أو كلياً يمكن أن تسهم فيه إضافات علماء النص بنصيب معقول"[3].

ج- الإحالة عند النقاد:

---

[1] – المصدر السابق، ص 290.

[2] – الصبيحي، د. محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الجزائر: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008 م، ص 144.

[3] – بحيري، د. سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص166.

ينحصر جهد النقاد فيما يخصّ الإحالة بإشاراتٍ متفرّقةٍ هنا وهناك في كتاباتهم تنمّ عن وعي بالإحالة كشرطٍ لتحقيق التماسك في الخطاب الشّعري، واعتبار هذا الشرط قاعدة لا ينبغي أن يحيد عنها الشاعر إذا أراد أن يُستحسن شعره وأن يقبل. وإذا ما رجعنا إلى التراث النّقدي عند القدماء العرب نجد في إشادتهم بالشعر (المتلاحم الأجزاء) يستخدمون كلمة (السبك), كما إنهم في استخدامهم هذا كثيراً ما يذكرون صفة الاستمرارية أو الاطراد التي تميز الشعر أو غيره على مستوى الجملة أو البيت غالباً[1]. فالجاحظ (ت255هـ) يقول: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان" [2] وأبو هلال العسكري يقول تعقيباً على أبيات للنمر ابن تولب "فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف"[3] ويرد عند أسامة بن منقذ (ت 584 هـ) (باب الفك والسبك) وقد عرَّف السبك بقوله: "وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره كقول زهير:

يطعنُهم ما ارتموا، حتى إذا طعنوا ضاربَ، حتى إذا ما ضاربو اعتنقا

ولهذا قال: خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"[4].

وتحدث ابن الأثير عن علّة تفضيل لفظ على آخر فقال: "ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة إلا أنّه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في مواضع

---

[1] – عبد المجيد، د. جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1998م، ص 77.

[2] – الجاحظ،، البيان والتبيين، 67/1.

[3] – العسكري، الصناعتين، ص169.

[4] – ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي، البديع في البديع في نقد الشعر، حققه: عبد آ.، علي مهّنا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987 م، ص236.

السبك وهذا لا يدركه إلاّ من دقّ فهمه وجلّ نظره"[1]، ويرد عند أبي الإصبع المصري (باب الانسجام) وقد عرَّفه بقوله: "وهو أن يأتي الكلام متحدّراً كتحدّر الماء المنسجم بسهولة السبك وعذوبة ألفاظ وسلامة تأليف حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس و تأثير في القلوب ما ليس لغيره"[2].

ولابن طباطبا (ت322 هـ) إشارات متفرقة في عيار الشعر نلمح فيها فكرة الإحالة ودورها في تحقيق التماسك الشعري، واستحسان الشعر بناءً على هذا التماسك يقول: "إنَّ للشعر فصولاً كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلةً لطيفةً، فيتخلص من الغزل إلى المديح ومن المديح إلى الشكوى (....) بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله بل يكون متصلاً به و وممتزجاً معه"[3].

ويقول ابن طباطبا في موضع آخر: "وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسِّقه قائله (.....) يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وحسناً وفصاحةً وجزالة ألفاظ.... حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً.... تقتضي كلٌّ كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلِّقاً بها مفتقراً إليها"[4] "يكشف هذا النص عن وعي لا سبيل إلى جحده بضرورة الانتظام الذي يضمن اتساق أول القول مع آخره، بل إن ابن طباطبا يجعل من رأيه هذا شيئاً واجباً " يجب أن تكون القصيدة"[5].

من خلال النصوص السابقة نرى أن النقّاد العرب القدماء قد فهموا الإحالة في الخطاب الشعري، وأدركوا دورها في تحقيق التماسك النّصي، وبرهنوا عليها بمصطلحات من

---

[1] – ابن الأثير، المثل السائر، 1/ 143.

[2] – القزويني، الخطيب، الإيضاح، ص 534.

[3] – ابن طباطبا، أبوالحسن محمد بن أحمد، كتاب عيار الشعر، تحقيق الدكتور: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم، (د. ط) 1985 م، ص9.

[4] – المصدر السابق، ص 213.

[5] – خطابي، محمد، لسانيات النص، ص 145

مثل قولهم: السبك، الصلة، الاتّساق، التعلّق، وجميعها تعكس فكرة التماسك في الخطاب الشعري، وارتباط أجزائه بعضها ببعض.

"وهكذا يتبيّن لنا أنَ ما قاله بعض اللغويين والنقاد العرب القدامى عن الترابط النّصي، لا يختلف كثيراً عما توصّل إليه اللغويون المحدثون في هذا الخصوص، وهذا ما يجعلنا نستنتج أن التراث اللغوي العربي القديم يزخر بنظرات و آراء صائبة حول مختلف القضايا و الظواهر اللغوية"[1].

د. الإحالة عند المفسرين و المصنفين للقرآن الكريم:

بدايةً نقف عند اهتمام المفسرين ومصنفي القرآن بعلم المناسبة بين الآيات والسور في القرآن الكريم وهو يعكس فهمهم للإحالة من خلال تأكيدهم على ارتباط آي القرآن بعضها ببعض وفي البرهان للزركشي مقتطفات تدل على الاهتمام بهذا العلم (المناسبة)، وأقدم إشارة وردت منسوبة إلى الإمام أبي عبد لله ابن محمد زياد النيسابوري الشافعي (ت324هـ) وهي مرويةٌ عن أبي الحسن الشهراباني قال: "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري و كان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ و كان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة" [2] وفي هذا الشأن قال أبو بكر بن العربي في سراج المريدين "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عَلَم واحد عمل فيه سورة البقرة"[3].

---

[1] – الصبيحي، د. محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص، ص 145.

[2] – الزركشي، بدر الدين محمد عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي، الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة، ط2، 1994م، 136/1.

[3] – المصدر السابق، 132/1.

وجاء أيضا في البرهان: "وقد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبةٌ سُوره كلها وآياته بالتوقيف، و حافظ القرآن لو استفتي في أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل و إذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقاً، بل كما أنزل جملة إلى بيت العز. و الذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"[1] ويقول الزمخشري: "فإن قلت من المأمور بقوله و بشر قلت..... و قد يتم ذلك بصيغة تقريرية كقوله تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾[2] قائلاً ذلك إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة"[3] ويقول الرازي في التفسير الكبير "أكثر لطائف القرآن موضوعة في الترتيبات و الروابط" [4]. ونجد في تفسيره تنصيصاً على البحث في المناسبة معبراً عنه بصيغتين مطردتين أولاهما قوله: "ذكروا في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوهاً"[5] وثانيتهما قوله:

---

[1] – الزركشي، بدر الدين محمد عبد الله، البرهان في علوم القرآن، 137/1.

[2] – سورة البقرة الآية 74.

[3] – الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض وشارك في التحقيق الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط1، 1998، 286/1.

[4] – فخر الدين، محمد الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، قدّم له الشيخ خليل محمد الدين الميس، دار الفكر، 1993 م، 255/3.

[5] – الفخر الرازي، التفسير الكبير، 255/3.

في كيفية النظم وجوه"[1] أو قوله: "في كيفية النظم أقوال"[2] "في المقدمات السالفة الذكر من الدلائل ما يكفي للاقتناع بوعي المفسرين بارتباط آي القرآن بعضها ببعض، بل بحثوا في أنواع المناسبة والعلاقات القائمة بارتباط آي القرآن بعضها ببعض بل بحثوا في أنواع المناسبة والعلاقات القائمة بين الآيات من جهة وبين السور من جهة أخرى"[3].

ورأينا أن المفسرين ومصنّفي القرآن، كانت لهم نظرةٌ ثاقبة لقضية التماسك (الإحالة) بين آيات القرآن وسوره قاطبة، وتمثل نظرتهم للنص القرآني نظرة كلّية، باعتباره وحدة متكاملة، فسوره مجتمعة كالكلمة الواحدة، وعبروا عن المناسبة بين الآيات والسور بمصطلحات من مثل: الترابط والارتباط، والوصل والاتصال، والتلازم، وكلها تعبيرات تصوّر فهمهم للإحالة، وسعيهم الدائم لتأكيد دورها في تحقيق التماسك النصي. ولقد تجلّت جهود المفسرين في الإحالة من خلال مجموعة ظواهر لغويّة نعرضها فيما يأتي وهي: (العطف، الإحالة الضميرية، الإشارة، التكرير) وقد أكدوا دور هذه الظواهر في تحقيق التماسك والترابط بين الآيات القرآنية من خلال تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، ورأينا في تحليلاتهم المتنوعة إدراكاً لأنواع الإحالة الداخلية (القبلية والبعديّة)، فضلاً عن إدراكهم لمجمل أدوات الإحالة كالعطف والتكرير والإشارة والضمير، دون أن يغفلوا الإحالة المقاميّة، وسبيلهم في كلّ ذلك

---

[1] – الفخر الرازي، التفسير الكبير، 48/7.

[2] – المصدر السابق، 9/7.

[3] – خطّابي، محمد، لسانيات النص،، ص168 ولمزيد من التوضيح ينظر الشواهد عند الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد احمد صقر، مصر: دار المعارف، ط3، د. ت، ص189– 194. والزركشي في البرهان، 143/1– 145–368– 272–134–وينظر السيوطي، جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1986، ص100– 82– 121.

التأكيد على دور الإحالة في تحقيق التماسك و الترابط بين آي القرآن حتى تكون متسقةً كالكلمة الواحدة[1].

هـ_ الإحالة عند شرّاح الدواوين:

لم يتخلّف شرّاح بعض الدواوين أمثالِ: (ثعلب ت292هـ) والعكبري (ت616هـ) وغيرهم، عن إلقاء الضوء على الضمائر ودورها في تحقيق الربط والتماسك والتعويض والإحالة إلى ما سبق أو تأّخر ذكره داخل النص أو خارجه؛ فإحالات هؤلاء العلماء وجهودهم تفّرعت إلى ثلاثة مستويات للإحالة وهي كما يلي:

أ_ مرجعيّة داخليّة (سابقة ولاحقة) في البيت الواحد.

ب_ مرجعيّة داخليّة (سابقة ولاحقة) في أكثر من بيت واحد.

ج_ مرجعية خارجية لشيء لم يجرِ ذكر له في النص بل يعرف من خلال السياق التداولي[2].

---

[1] – جاء العطف عند الزمخشري في الكشاف في حديثه عن عطف جملة على جملة، 228/1، وتعدّد المعطوف عليه، 353/1، وجاء العطف السببي عند الفخر الرازي في التفسير الكبير، 5/3، وجاءت الإحالة الضميريّة عند القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط2، 1984، ص356–357=

والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط5، 2003م، 50/11، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، د. ط، 1987، 19/2، ووردت الإشارة عند الزمخشري في الكشاف، 176/1، أما التكرير فقد ورد عند الفخر الرازي في تفسيره الكبير، 56/3، وابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير التونسي، مؤسسة التاريخ، ط1، 2000م،، 466/1.

[2] – لمزيد من التوضيح ينظر الشواهد: ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، القاهرة: دار الكتب، د. ط، 1944، ص56–58. والعكبري، أبو البقاء، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المسمّى التبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت: دار المعرفة، د. ط، د. ت، 53/1.

والإشارات التي قدّموها تشكّل إرهاصاتٍ للتحليل النصي المعاصر في تبيان وسائل التماسك النصي، وتضافرها جميعاً في تحقيق التماسك بين أجزاء النص كلها داخلياً وخارجياً.

- الإحالة عند المحدثين:

ما ندعوه (إحالة) يُعبّر عنه بشكل عام في اللّغة الفرنسية بـ:Re`fe`rence وفي اللغة الانكليزيةReference نسبة إلى Re`ferent في الفرنسية وReferent في الإنكليزية، وربما تُرجم هذا المصطلح بالإشارة، ولا ضير في ذلك من الناحية اللّغوية المحضة، بيد أنه قد يسبب مشكلةً اصطلاحية ومنهجية، لالتباسه بما يعرف في العربية بأسماء الإشارة، التي هي نوعٌ واحدٌ من أنواع الإحالة، ومن هنا يمكن القول إنّ العلاقة بين الإحالة والإشارة هي علاقة الكل بالجزء، والعام بالخاص، فكل إشارة إحالة وليس كل إحالة إشارة .ويوازي الإحالة اسم (مرجع) في العربية،فعلى سبيل المثال تمت ترجمة "Reference"من الفرنسيّة في القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان لـ"أزوالدديكرو وجان ماري سشايفر "بالمرجع[1] وترجم معجم "علم اللّغة النظري "مصطلح""Reference Theory" بـ"نظرية الدلالة" مع أنّ المؤلف يترجم في الصفحة ذاتها "Reference" بـ"معنى دلالي" وإلى "إرجاع أو إسناد" في آن معاً"[2]. واشتقت الترجمات العربية تسميات من مثل (الإرجاع) أو (الإرجاعية) أو (المرجعية) من الأصل الذي يعود إليه (مرجع)[3] لكن مفهوم "المرجع" كاسم مكان وهو الذي يدل على موضع وقوع الفعل[4]، يتعارض مع مفهوم الإحالة بمعناها الاصطلاحي الذي نستند نحن إليه في موضوع بحثنا، والذي يركّز على فعل الرجوع بدلاً من مكان الرجوع. كما نجد كتاب" معجم اللّغة الوظيفي لمقاييس الأدوات النحويّة والصّرفيّة" يستخدم "Reference"

---

[1] – ديكرو، أزوالد، سشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: د. منذر عيّاشي، المغرب:المركز الثقافي العربي، ط2، 2007م، ص325.

[2] – الخولي، د. محمد علي، معجم علم اللّغة النظري، بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1982م، ص238.

[3] – فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)، دمشق :منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السوريّة، د. ط، 1998م، ص13.

[4] – السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربيّة، ط1، 1981م، ص41.

في مقابل المرجع (الربط الذهني في اللّغة العربيّة)[1]. ونحن نفضّل تسمية (إحالة) على (إرجاع أو إرجاعيّة أو مرجعية) لعدة أسباب "فعلى صعيد الكلام: لا نقول أرجع إلى هذا المرجع أو ذاك، بل أحال إلى هذا المرجع أو ذاك، وإذا ما أبقينا على الأصل (رجع) في استعمال الفعل، فإننا نضطر أن نستبدل الاسم المشتق المتمم للفعل وهو (مرجع) بآخر مرادف له فنقول: رجع إلى هذا المصدر أو راجع هذا المصدر، فمن حيث التعبير نحتاج على الأقل إلى جذرين مختلفين للحديث عن الإحالة أو الإرجاع من جهة، وعن المستهدف من هذه العملية أو المرُجع إليه من جهة ثانية"[2].

وفي اللّسانيات النظريّة، ولاسيّما في علم الدلالة، رُبط مفهوم الإرجاع بدلالة العلامة اللغوية أو مفردات اللغة، فعدّت هذه العلامة قائمة في بعض جوانبها على علاقات ثلاث تجمع بين الدال (اللفظ) والمدلول (المعنى) والمرجع (الشيء الذي يدل عليه) ونلاحظ هنا أنّ ألفاظ اللغة (الدال) لا تحيل مباشرةً إلى الأشياء التي وضعت لها (المرجع) إنّما إلى المعاني (المدلول) فتكون العلاقة الإرجاعيّة قائمة مباشرة بين المدلول والمرجع، وبشكل غير مباشر بين الدال والمرجع[3].

بادئ ذي بدء نشير إلى أنّ مفهوم الإحالة الذي ننشده من خلال بحثنا ليس ذلك المفهوم الفلسفي التقليدي الذي هو" العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات"[4]، بل نقصد من وراء إطلاق مصطلح الإحالة " المفهوم النّصي" الذي يتردّد على ألسنة علماء النص؛ إذ" يثير

---

[1] – عبد الجليل، عبد القادر، المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحويّة والصّرفيّة، عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص46.

[2] – فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، د. ط، 2001م، ص14.

[3] – المرجع السابق، ص16.

[4] – براون، جوليان، يول، جورج، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق، د. محمد لطفي الزليطي و د. منير التريكي، الرياض:جامعة الملك سعود، د. ط، 1997، ص36. وينظر: http://www. lissaniat. net/viewtopic. php?t=1148

مفهوم الإحالة مشكلاً اصطلاحياً، إذ هي تعني تارةً العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم أي ما كان يسميه القدامى "الخارج" وهي تعني تارةً أخرى إحالة اللفظة على لفظة متقدّمة عليها"[1]، إنّ مصطلح الإحالة في البحث اللساني يشير إلى مفهومين مختلفين: أولهما تقليديّ: وهو ما كانت اللسانيات التقليدية ولاسيّما البنيويّة لا تعدّه من صميم الدراسة اللسانية العلمية، فكانت تعدّ المرجعيّة "مجالاً ينبغي إبعاده من الدراسة اللسانية بالرغم من الأهمية التي يكتسيها في فهم الخطاب البشري"[2]، وثانيهما: هو إحالة العناصر اللغوية بعضها إلى البعض داخل نص من النصوص لتشكل عالماً نصيّاً[3] فـ"الإحالة هي العلاقة بين العبارات والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص،إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص"[4].

ويرى (كلماير) أنّ الإحالة "هي العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه عنصر علاقة، وضمائر يطلق عليها صيغ الإحالة، وتقوم المكوّنات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسّر أو العائد إليه..." [5]. ويعرّف (أجريكولا) الإحالة بأنها "رجوع كل من المتكلم والسامع إلى نموذج الواقع في أثناء عملية الاتصال، ومن ثمّ يدل التحوّل على

---

[1] – الشاوش، د. محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تونس: المؤسسة العربية للتوزيع، ط1، 2001م، ص125.

[2] – حمو الحاج، ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الجزائر :دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط , 2005م ص92.

[3] – http://www. lissaniat. net/viewtopic. php?t=130

[4] – دي بو جراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسين، القاهرة :عالم الكبت، ط1، 1998م، ص320 .

[5] – بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، القاهرة:مكتبة الآداب، ط1، 2005، ص98.

الإحالة المشتركة لوحدتين معجميتين على الأقل إلى الشيء ذاته"[1]. ويرى (تنيير) "أنّ الربط يمكن أن يكون نتيجة علاقة إحالته حين تنشأ علاقة إحالية بين جملتين مستقلتين، وحين تكون العلاقة بينهما ذات طبيعة دلالية غير تركيبية على الإطلاق، فالربط من خلالها يكون ضعيفاً وضئيلاً"[2]، ونجده يقول: "تفترض الإحالة إذن علاقتين دلاليتين، واحدة تسير موازية للعلاقة التركيبية، والأخرى علاقة دلالية إضافية تشكّل أساساً الإحالة"[3].

"ويستعمل الباحثان (هاليداي ورقية حسن) مصطلح"الإحالة" استعمالاً خاصاً وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثَيْنْ: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة"[4].

إنّ المتأمّل في التعريفات السابقة يجد أن هذه التعريفات إما عرضت لأحد أنواع الإحالة (وهي الخارجية) دون التطرق للأنواع الأخرى، كما جاء عند (روبرت دي بوجراند و أجريكولا)، وإما عرضت لعنصر من عناصر الإحالة الداخلية كما جاء عند (كلماير) في حديثه عن الضمائر، وإما عرضت للإحالة بمفهومها العام والمتكامل كما جاء عند (هاليداي ورقية حسن)، في حين لم تخلُ بعض التعريفات من القصور أو الافتقار إلى التفصيل والتحديد كما جاء عند (براون ويول وتنيير).

كما وردت تعريفات عديدة تبعاً لذلك في الثقافة اللغوية العربية المعاصرة تعكس مصادر متعددة للتلقي العربي المنهجي عن الآخر، لعلّ أهمها تعريف حسام أحمد فرج

---

[1] – هانيه، فولفجانج، فيهفجر، ديتر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة:فالح بن شيب العجمي، الرياض :جامعة الملك سعود، د. ط، 1998ص35.

[2] – بحيري، سعيد حسن، نظرية التبعية في التحليل النحوي، دار الفكر العربي، ط1 1998، ص 273.

[3] – المرجع السابق، ص104.

[4] – خطابي، محمّد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص16.

للإحالة بأنها: "يقصد بها وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتُسَمّى تلك العناصر عناصر محيلة وهي: الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، فهذه الكلمات تعود إلى عناصر أخرى مذكورة في أجزاء من النص"[1].

والإحالة عند أحمد عفيفي " ليست شيئا يقوم به تعبير ما، ولكنّها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً"[2]. وهناك مؤلفون تناولوا موضوع الإحالة، ولم يذكروا شيئاً عن تعريفها، ولكنهم عرضوا لبعض الشذرات التي نستشف منها نظرتهم وفهمهم للإحالة، ومن هؤلاء المؤلفين نذكر الأزهر الزّناد في كتابه(نسيج النص)، حيث وضع عنواناً هو "في مفهوم الإحالة" دون أن يتناول مفهومها، فقد بدأ الكلام على عناصرها وأنواعها وممّا أورده نذكر قوله: "تُطلق تسمية (العناصر الإحالية) على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي لذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد، وينتمي بعض هذه العناصر إلى المعوّضات فهي مزدوجة الدور في اللّغة، تشير وتعيّن المشار إليه في المقام الإشاري، فهي ذات صلة بما يخرج عن مقام ورودها، ويكتفي سامعها بها في تحليلها، تعوّض المشار إليه فتحيل عليه وترتبط به، وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضار عهد أو إدراك حسي أو غيره"[3].

---

[1] – فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، تقديم الأستاذ الدكتور سليمان العطار والأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي، القاهرة:مكتبة الآداب، ط2، 2009م، ص83.

[2] – عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001ص116.

[3] – الزّناد، الأزهر، نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1993ص118.

في قول الزّناد السابق نلحظ تبلور مفهوم الإحالة في ذهن المؤلف حتى لو لم يخصّ الإحالة بتعريف مستقل في مؤَلَفهِ.ومن هؤلاء المؤلفين أيضاً محمد خطّابي في (لسانيات النص)، حيث جاءت الإحالة عنده مفرغة من التعريف، فبعد عنوان الإحالة أشار إلى استعمال المصطلح استعمالاً خاصاً، ثمّ دلف سريعاً إلى العناصر المحيلة وتأويلها، ولعلّ الإشارة المهّمة التي ذكرها والتي تقترب من مفهوم الإحالة هي قوله: " تعتبر الإحالة علاقة دلالية ومن ثم لا تخضع لقيود نحويّة إلاّ أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[1].

ونذكر من هؤلاء أيضاً سعيد حسن بحيري الذي تتطرّق إلى الربط الإحالي دون أن يحدّد مفهوم الإحالة أو يخصّها بتعريف، إلا أننا نراه يقترب من مفهومها كثيراً، فهو يرى أنه "يمكن من خلال العناصر الإحالية أن تتشكّل شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، وتتضام الأجزاء المتباعدة وتتآزر مع بعضها البعض، وينتج عن هذا الانسجام والائتلاف بين الأجزاء المتقاربة التي تترابط من خلال روابط صرفية في الأغلب والأجزاء المتباعدة التي لا يمكن أن تقام الجسور بينها إلاّ من خلال عناصر قوية قادرة على الربط الدلالي الإضافي بين المفاهيم والتصورات بنية متداخلة معقدّة تشكّل الأحداث الاتصالية التي تحددّ كم ورود صيغ الإحالة بوجه عام في النص"[2].

والإحالة عند مريم فرنسيس" ملازمة لكل فعل كلامي بغض النظر عن طبيعة الأشياء أو الأمور التي تحيل إليها، وعن موضوعيّة الإحالة وتطابقها مع حقيقة المرجع أو الواقع"[3]. والإحالة عند د. داليا أحمد موسى: "هي تلك الوظيفة التي تؤديها مجموعة من

---

[1] – خطابي، محمد، لسانيات النّص، ص16.

[2] – بحيري، د. سعيدحسن، ظواهر تركيبته في مقابسات أبي حيان التوحيدي، القاهرة:مكتبة الآداب، ط1، 2006م، ص235.

[3] – فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته، محاور الإحالة الكلامية، ص21.

الآليات اللّغوية وغير اللّغوية المشفّرة لتحديد علاقة الخطاب الأدبي بإطاره المرجعي الذي ينبثق عنه من خلال مجموعة من الاستراتيجيات النّصيّة التي يستخدمها الأديب من أجل إيصال مقصديّة معيّنة يتحدّد على أساسها علاقة الأديب بالخطاب، والخطاب بالعالم والمتلقّي، ثمّ علاقة الأديب بالمتلقي"[1].

تبرز في جميع التعريفات السابقة وإشارات المؤلفين المحدثين قواسم مشتركة للإحالة تُعدّ من الدعائم الأساسية فيها هي:

1. عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل بل تحتاج إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها (أي لا تملك دلالة مستقلة) وتسّمى العناصر المحيلة.
2. العناصر المحيلة تأخذ معناها عن طريق قصد المتكلم.
3. العناصر المحيلة تعود على عنصر أو عناصر مذكورة في أجزاء من الخطاب تسّمى العناصر المحال إليها.
4. ضرورة تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.
5. العنصر المحال إليه يمكن أن يكون مذكوراً في السياق أو يدل عليه المقام.
6. الإحالة بين العناصر المحيلة والمحال إليها تشكل شبكة من الترابط بين الأجزاء المتقاربة في النص والأجزاء المتباعدة، وهذا بدوره يسهم في خلق بنية متداخلة معقّدة داخل النص.
7. الإحالة ربط للآخر بالأوّل .
8. للإحالة دور فاعل في الاختصار والتعويض والربط والتماسك.
9. الإحالة مجموعة آليات لغويّة وغير لغويّة مشفّرة تؤدي وظيفة ضمن مجموعة من الاستراتيجيات النصيّة التي يقوم بها الأديب.

[1] – موسى، د. داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، دمشق :دار التكوين، ط1، 2010م، ص40.

وبناءً على ما تقدّم يمكننا وضع تعريفٍ شاملٍ للإحالة فنقول:

هي علاقة معنوية بين متكلم ومخاطب، يهدف المتكلم من ورائها إلى تحفيز ذهن المخاطب عن طريق كلمات مبهمة الدلالة، يتوقف تفسيرها على كلمات أخرى تقدّمت أو سيأتي ذكرها، يسمّى طرفاها العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، وفيها يشير المتكلم إلى أنّ موقفاً أو شيئاً أو شخصاً أو لفظاً أو عبارةً ما ارتبط بشيء آخر خارج النص أو داخله، في سياق لغوي أو غير لغوي، والقصد بذلك تحقيق الاقتصاد في اللفظ، وربط الكلام بعضه ببعض بما يحقّق الاستمرارية والتماسك بين أجزاء النص الواحد.

-العنصر الإشاري (المحال إليه):

يعرّفه الزّناد بأنّه "كل مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكون أخر يفسّره"[1]، فقد يكون لفظاً دالاً على حدثٍ أو ذات كإحالة ضمير المتكلم (أنا) على ذات صاحبه، وحينئذٍ يرتبط العنصر الإحالي بعنصر إشاري غير لغوي ممثلاً بذات المتكلم، أو موقع ما في الزمان نحو: بعد أسبوع، أمس، غدا، الآن، الأسبوع الماضي، يوم الجمعة، السنة المقبلة، منذ شهر... الخ، فهذه العناصر الإشارية تحدّد زمناً بعينه بالقياس إلى زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية[2].

أو المكان نحو: ظروف المكان (هنا، هناك، فوق، تحت... الخ) وأسماء الأماكن[3]. وقد يكون عبارة عن مفاهيم جرى التعبير عليها في صورة أسماء مفردة أو مركبات اسميّة تُذكّر صراحةً أوّل مرة في النّص[4].

---

[1] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص 127.

[2] – نحلة، د. محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د. ط 2002 م، س20.

[3] – المرجع السابق، ص20–23.

[4] – بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص102.

وبالتالي فالعنصر الإشاري يشار إليه إشارة أوّلية بحيث لا يرتبط بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة لأنه مؤشر لذاته، وفهمه ليس مبنياً على غيره من العناصر اللسانية بسبب ارتباطه بالحقل الإشاري ارتباطاً مباشراً دون توسّط أية عناصر إحاليّة أخرى لأنها تكوّن العناصر الأساسية الدّنيا في عالم أي خطاب[1]. ولذلك فهي ضرورية الورود لتجيز وجود العناصر الإحالية.

وبناءً على ذلك يذكر الأزهر الزناد أنه بمجرد أن يتلفّظ الإنسان يصبح ذلك الملفوظ ملكاً له، فتنحسر الأبعاد الجماعية في اللغة كي تحلّ محلّها الأبعاد الفردية المقترنة بالآن والهنا والأنا والأنت ... وقرائنها هي العناصر الإشارية... وهذه القرائن شرط في فهم الملفوظ وإعطائه معنى لأنها ترتبط بالمقام"[2]. فتلك العناصر اللسانية المحُيلة إلى الذوات أو الأزمنة أو الأمكنة أو أجزاء من ملفوظات أو ملفوظات برّمتها لا يمكن معرفة ما تدل عليه لأنها أشكال لسانية فارغة في المعجم، فينبغي تفسيرها في ضوء ارتباطها بالمقام أو الحقل الإشاري لمعرفة قرائنها التي تحدد معانيها وتعيّن دلالاتها.

ومن الأهميّة العلميّة التنويه بأنّ هناك نوعين من العناصر الإشارية تتمثّل في:

-العناصر الإشارية المعجمية: تتمثل في الوحدات المعجمية المفردة التي يُحال عليها.

-العناصر الإشارية النصّية: هي مقطع أو جزء من ملفوظ أو ملفوظ كامل يُحال عليه.

وهنا يذكر بحيري أن العنصر الإشاري النّصي "يتميز عن الأول في طبيعة تكوينه والهدف منه، أي أن العناصر الإشارية النصية هي مقاطع من الملفوظ قد تطول وقد تقصر، وقد تمثل جزءاً من مقاطع تجري الإحالة عليها للاختصار واجتناب التكرار، وتتميز هذه

---

[1] – المرجع السابق، ص100 – 101.

[2] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص 116 – 117.

العناصر الإشارية النصّية عن العناصر الإشارية المعجمية بكونها أقل انتشاراً"[1]. ومثالها قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تسيمون* يُنبتُ لكم به الزرعَ والزّيتون والنخيلَ والأعنابَ ومن كلّ الثمرات إنّ في ذلك لآية لقومٍ يتفكّرون﴾[2]، نلاحظ احتواء هذه الآية على عناصر إشارية معجميّة وعنصر إشاري نصّي واحد ،وتتمثل الأولى في (السماء ، شراب، شجر، الزرع ،الزيتون، النخيل، الأعناب، الثمرات)، بينما يتمثل الثاني في الملفوظ السابق على العنصر الإحالي وهو ضمير الإشارة (ذلك) حيث ورد هذا الأخير اختزالاً للكلام واقتصاداً للجهد واجتناباً للتكرار حين أحال إلى ملفوظ يحتوي عناصر إشاريّة معجميّة ومجموعة أحداثٍ تلتقي كلّها في نتيجة ينبني عليها الحدث أو المعنى الذي يحيل عليه العنصر الإحالي الجامع لكلّ ماتقدّم عليه[3].

-العنصر الإحالي (المحيل):

يعرّفه الأزهر الزناد بقوله: "العنصر الإحالي هو كل مكوّن يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره"[4] وبذلك تكون العناصر الإحالية فارغة دلالياً ممّا يجعل تفسيرها رهين ربطها بالعناصر الإشارية التي تعوّضها، ويذكر محمد خطابي بأنّ" العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصّية الإحالة"[5].

---

[1] – بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص102.

[2] – سورة النحل، الآيتان 10-11.

[3] – نزار، ميلود، نحو نظريّة عربيّة للإحالة الضميريّة: دراسة تأصيليّة تداوليّة، الجزائر: مجلة العلوم الإنسانيّة، العدد42، السنة السابعة، 2009م، ص4.

[4] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص131-132.

[5] – خطّابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، ص16.

ولحاجة القارئ إلى مزيد من المعلومات والتوضيح يذكر الأزهر الزناد في مقام آخر أنّ "العنصر الإحالي– كما تقرّر في الدرس اللغوي – مكوّن يعوّض مكوناً آخر ذُكر في موضع آخر سابق عادة ... فعوض أن يرد العنصر الإشاري في موضع الحاجة إليه بعد أن ورد أوّل مرّة يرد عنصر إحالي ينوب عنه ويؤدي معناه ويحمل جملة المقولات التي يحملها مفسّره: الجنس والعدد... وهو صدى لغيره من المكونات إذ لا يفهم إلاّ بالعودة إليها، ثم هو يطابقها في عدد السّمات التركيبية والمقوليّة"[1].

ومن ذلك الإحالة على مفسّر نكرة بأحد المضمرات، وهي من المعارف كما هو معلوم، والمعرفة هنا معرفة عهد، وهذا وجه يتصل بعمل الذاكرة، فالعنصر الإشاري الوارد نكرة أول الأمر يمثل مَعْلَماً تتوفر فيه جميع السمات المقوليّة التي تميزه ومن بينها التنكير (رجل: عاقل، مذكر، مفرد، كهل، معرفة) لكن اللّغة تحيل عليه عند الحاجة إلى ذكره ثانية بمضمر يطابقه في جميع السمات المقوليّة ماعدا التعريف، بل إنّ إعادة ذكر(رجل) بلفظة النكرة في النص الواحد قد تؤدي إلى تعطل الفهم، إن لم يُفهم منها (رجل) آخر يخالف (رجل) المستفادة من الأولى، فذكر اللفظ نكرة أول الأمر مثّل معلما غائماً (واحد من الرجال) رُبط به الكلام وحُفظ في الذاكرة بما أسند إليه من أحداث أو صفات إسناداً تركيبياً في الجملة كقولنا: (وصل رجل طويل) فقد تعيّن بذلك تعيّناً لا يصل درجة التعريف المطلق، وإنما هو تعيّن يحد من شيوع الذات التي يدل عليها اللفظ، والمنطلق في هذا التعيين يكون من الأصل: جنس الرجال، المعجم، فهو تعيين من درجة أولى، ولا تجري الإحالة عليه إلّا وقد تعيّن أي كان معلماً، فيرتبط العنصر الإحالي بمفسر معهود ضبطه المقام هو (رجل) غائم دون شك،ولكنّه محدّد، إذ تجري الإحالة على (رجل)التي وردت في سياق الكلام وليس

[1] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص133.

أي رجل،وذاك مدخل التعريف في المضمرات العائدة على النكرات، وهذا يفسّر سبب غياب العنصر الإحالي الخاص بالنكرات من نظام الإحالة في اللّغة العربية[1].

-الإحالة الخارجية:

يذهب الباحثان (هاليدي ورقية حسن) إلى أنّ "السامع أو القارئ حين يحدّد، بوعي أو دون وعي وضعية عيّنة لغوية يستدعي بنيتين: خارجية وداخلية، تتمثل البنية الداخلية في اعتماد الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما، وتكمن الخارجية في مراعاة المقام، أي أن المتلقي يضع في اعتباره كل ما يعرفه عن المحيط"[2] ترتبط الإحالة الخارجية إذن بالمقام التداولي المحيط بالنص أو الملفوظ، فالعناصر الإحالية نحو: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، و الظروف...إلخ يرتبط تفسيرها بالمقام الإشاري الخارجي، وبالتالي فلسياق الحال دورٌ حاسم في تأويلها وتحديد دلالاتها وضبط معانيها لأنها عناصر لسانية فارغة معجمياً، ولا يكون لها من معنى إلاّ عند تموضعها في سياق تركيبي، فحينئذٍ تُفسّر في إطار بنية النص أو في بنية السياق المقامي.

فالإحالة الخارجية علاقة بين النص أو بعض عناصره وبين السياق الخارجي، وهذا يُوّجه إلى أنّ النص يُفّسر بإشاراتٍ ومعانٍ قائمة بالخارج وتُعد هذه الإشارات منه بمنزلة الأسباب التي أوجدته؛ لذا إذا فُهمت هذه الأسباب الخارجية زال إشكال الإبهام وحصل فهم دلالة النص بواسطة هذه الإحالة الخارجية. "فالإحالة إلى الخارج النصي تتطلب من المستمع أن يلتفت خارج النص حتى يتعّرف على الشيء المحال عليه"[3]، إنّ ارتباط العناصر الإحالية بالعناصر الإشارية يجعلها تفيد ولا تعني فهي غير ذات معنى خارج سياق ورودها، فوظيفتها الدلالية رهينة بوجودها في السياق؛ فإذا علقت بمفسر مقامي تغذّو عندئذٍ

---

[1] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص135.

[2] – خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص14نقلاً عن هاليدي ورقية حسن، ص20.

[3] – براون، جوليان، ويول، جورج، تحليل الخطاب، ص238.

الإحالة خارجية، تؤول عبرها العناصر الإحالية من منظور وسيط تداوليّ، ومن هنا أطلق عليها بعض الباحثين اسم الإحالة المقامية[1] فمصطلح الإحالة الخارجية يشير إلى "الأنماط اللغوية التي تشير إلى الموقف الخارجي عن اللغة، غير أنّ هذا الموقف يشارك الأقوال اللغوية. ومن أمثلة تلك الأنماط المشيرة إلى ما هو خارج النص him و there و that ومصطلح المرجعية الخارجية، يقابل بمصطلح المرجعية الداخلية"[2]. فالوحدات اللسانية لأي لغة طبيعية ليست مجرد سلسلة من صنع الكلمات، فهناك مكونات غير لغوية تفرض نفسها دائماً أثناء الإنجاز على مكونات لغوية في كل بنية تواصلية محكيّة اللسانية في تحديد معناها وإدراك كنهها وفك شفرة قطبيها (الإحالي والإشاري)، والوقوف "على معرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف التي تحيط بالنص، حتى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأشياء والملابسات المحيطة بالنص"[3].

إنّ الإحالة الخارجية تتحدد بإيجاز "بأن يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج النص ولا تدخل تلك الإحالة في إطار السبك وإنما ننظر لها في إطار الموقف الخاص بالنص"[4]. إنّ الناظر إلى الإحالة الخارجية وصفاً وتفسيراً، ينتهي إلى التأكيد على الدور الحاسم الذي تؤديه المتغيرات المقامية التي تكتنف البنية اللسانية واستعمالاتها، فالمعاني المعجمية والصرفية والتركيبية ليست كل شيء في إدراك مقصديّة المتكلم؛ فثمة عناصر غير لسانية ذات أهمية كبرى في ضبط معنى بعض العناصر المرتبطة بالسياق التداولي أثناء توظيفها في سياق تواصليّ، ويذكر الأزهر الزناد في تعريفه للإحالة المقامية بأنها" إحالة

---

[1] – الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم اللغة النصي ومجالات تطبيقه، ص89، الزّناد، الأزهر، نسيج النص، ص149.

[2] – الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقيّة على السور المكيّة، دارقباء للطباعة والنشر، ط1، 2000م، 41/1.

[3] – المرجع السابق، ص41.

[4] – فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص84.

عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ... ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملاً إذ يمثل كائناً أو مرجعاً موجوداً مستقلاً بنفسه"[1].

فالإحالة الخارجية " تتعالى فيها العلاقة بين التعبير المرجع (العائد إليه) والتعبير المستأنف، وتتجاوز النظام اللغوي بمفهوم أضيق وتُؤسّس على خبرات ومعارف موسوعية لشركاء التواصل؛ أي على علم الدلالة بمفهوم أوسع الذي يشتمل على المعرفة القائمة على الخبرة والمعرفة بالعالم للمتكلم والسامع، ولا يفهم النص في تلك الحالات على أنه نصٌ متماسك إلا حين تتوفر لدى السامع المعرفة التي يفترضها المتكلم لديه"[2]. ويتضحّ من الإحالة الخارجية "أنّ ثمة تفاعلاً متبادلاً بين اللغة والموقف فالموقف يؤثر بقوّة في استعمال طرق الإجراء"[3].

ويضيف دي بو جراند: "وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف... وإذا كان معنى مفهوم ما هو موقعه في عالم النص فإنّ معنى المرجع في الإحالة لغير مذكور هو مكانه في عالم النص مع التركيز على عالم الموقف الاتّصالي"[4].

ويرى الدكتور سعيد حسن بحيري أنّ "الإحالة الخارجية ترتبط بأنواع محددة من النصوص، وتحتاج أحياناً إلى جهد أكبر للكشف عنها وإيضاح كيفيتها وتأويل العنصر غير اللغوي الذي يحكمها، الذي يقع خارج النص، ويستعان في تفسيره بالسياق أو المقام الخارجي

---

[1] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص119.

[2] – برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة : د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1،، 2005م، ص58.

[3] – دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص339.

[4] – دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص232.

والإشارات الدالة عليه"[1]، ونسوق من أمثلة الإحالة الخارجية ما جاء في قوله تعالى: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر ، فصلِّ لربك وانحر﴾[2]، فهنا أسند الفعل إلى الخالق مباشرة؛ أي أنّ حدث (الإعطاء) يوجّه من خلال الضمير (عنصر الإحالة) إلى ذاتٍ تقع خارج النّص اللّغوي[3]، "وعلى سبيل المثال الجملة: (هو قال ذلك) لا تعرف من يكون (هو) وماذا قال، لهذا نؤكد شيئاً آخر؛ ألا وهو السياق بمعنى: ماذا حدث قبل هذا القول"[4].

-الإحالة الدّاخلية:

تعني الإحالة الداخلية في أدبيات الدّراسات النصّية الحديثة العلاقات الإحالية داخل النص بحيث ترتبط العناصر الإحالية بالعناصر الإشارية النصّية أثناء تسييقها في التركيب اللغوي، حيث "يعتمد عنصر معين في الخطاب على عنصر آخر، فالأول يفترض الثاني، بمعنى أنّنا لا يمكننا فك شفرته بنجاح إلا بالعودة إلى الثاني"[5] وبذلك فهي: "إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة أو لاحقة، فهي نصيّة"[6]. والإحالة الداخلية – كما يرى إبراهيم الفقي: "هو مصطلح استخدمه بعض اللغويين للإشارة إلى علاقات التماسك التي تساعد على تحديد تركيب النص وتقسم إلى قبلية وبعدية"[7].

-الإحالة الداخليّة القبليّة:

---

[1] – بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص105، وينظر: http://www. lissaniat. net/ viewtopic. php?t=533

[2] – سورة الكوثر، الآيتان 1–2.

[3] – بحيري، د, سعيد حسن، دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدلالة، ص116.

[4] – الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص166.

[5] – براون، جوليان، ويول، جورج، تحليل الخطاب، ص2.

[6] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118.

[7] – الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص40/1.

"هي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة"[1]. "فهي الإحالة التي يشير فيها العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه"[2].أمّا وظيفتها فهي "الإشارة إلى ما سبق من ناحية، والتعويض عنه بالضمير أو بالتكرار أو بالتوابع أو بالحذف من ناحية أخرى ، ومن ثمّ الإسهام في تحقيق التماسك النصي من ناحية أخرى ثالثة[3]. وأمّا الأزهر الزناد فيعدّها "إحالة بالعودة وهي تعود على مفسّر سبق التلفظ به"[4]. وحسب سعيد بحيري فإنّ الإحالة القبلية إلى سابق تتم "حين تحيل صيغة الإحالة إلى عنصر لغوي متقدم، وقيل: "إنها إحالة بالعودة؛ حيث تعود إلى مفسّر أو عائد سبق التلفظ به، ومنها يجري تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المُضمر"[5]. فالمفسّر أو العنصر الإشاري يُشار إليه أولاً ثم يعاد ذكره في صورة بنية مضمرة تحيل إليه وتعوّضه، وبذلك يأتي الضمير "بعد مرجعه في النص السّطحي"[6]. كما اعتبر إلهام أبو غزالة الإحالة القبلية بأنها "الإشارة اللاحقة، أي استعمال شكل بديل لاحق لتعبير يشاركه في المدلول"[7]. وهكذا فالإحالة القبليّة تعني إحالة عناصر لسانية واردة في الملفوظ ذات سمة إحالية إلى عنصر إشاري، سبق التلفظ به سابقاً عليها، بحيث تعوّضه وتختصره وتتجه إليه بالإحالة فترتبط به شكلاً ودلالة، بيد أنه يشترط أن تتفق معه في الخصائص الدّلالية، ولتوضيح ذلك نورد المثال الآتي:

---

[1] – المرجع السابق، ص39.

[2] – Halliday&Hassan: Cohesion in English,London,Longman,1976. p31

[3] – الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص39.

[4] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118.

[5] – بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص104.

[6] – دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص301.

[7] – أبو غزالة، إلهام، حمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص ، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراندوولفجانج دريسلر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1999ص92.

أ–محمد انتقل إلى منزل جديد.

ب–منزل محمد جميل. هو(محمد) بناه (المنزل) منذ عام

ج–هذا المنزل الجديد لمحمد.

فالضمير(هو) في الجملة الرابعة يعود إلى "محمد" المذكور في الجمل الثلاثة الأولى، والهاء المتصلة بالفعل "بناه" في الجملة الرابعة تعود إلى المنزل المذكور في هذه الجمل الثلاث[1].

–**الإحالة الداخليّة البعديّة:** "وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة"[2]. ويعرّفها إلهام أبو غزالة بأنها " استعمال الشكل البديل الذي يسبق التعبير المشارك في المدلول"[3]. كما حدّها روبرت دي بوجراند بأنّها" نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير قبل مرجعه في النص السطحي"[4].

ولا يبعُد عن هذا التحديد لمفهوم الإحالة البعديّة كافة علماء النص؛ فجلّهم يتفقون من حيث المبدأ الذي يقوم عليه هذا النوع من الإحالة وهو تقدّم العنصر الإحالي على مفسّره، فالإحالة إلى لاحق أو متأخّر تتم" حين يحيل عنصر لغوي أو مكوّن ما إلى عنصر أخر تالٍ له في النص، أو مكونات من عدة عناصر متأخرة عن عنصر الإحالة، وقيل هي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها"[5]، فالعنصر الإشاري يذكر بعد العنصر الإحالي ويأتي لاحقاً عليه. فالإحالة البعديّة أو اللّاحقة إذن تعني ورود العنصر الإحالي قبل مرجعه ومفسّره الذي يعود عليه ويحيل إليه، وهي عكس الإحالة القبلية، أما الدور الذي تحققه فهي "تستخدم لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه، ولهذا فهي تعمل

---

[1] – الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 163/2.

[2] – المرجع السابق، ص40/1.

[3] – أبو غزالة، إلهام، حمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، ص93.

[4] – دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص301.

[5] – بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص104–105.

على تكثيف اهتمام القارئ، ففي تلقي النص يؤدي وجودها إلى خلق مكان فارغ مؤقت حتى يتم شغله بالمرجع المطلوب"[1]. "إنّ الربط بطريق الإحالة إلى مذكور لاحق صالح على نحو خاص لأن يثير لدى القارئ تشوقاً وتوقع معلومة جديدة، وربما يكون ذلك هو السبب للاستعمال الغالب للإعادة المتعلّقة بالإحالة إلى مذكور لاحق في الأدب وفي نصوص الصحف"[2]. ومثال الإحالة الداخلية البعدية قوله تعالى:"﴿قل هو الله أحد﴾[3]، ففي هذه الآية الكريمة ورد العنصر الإحالي المتمثّل في ضمير الشأن "هو" قبل مرجعه، وقد فسّر إبهامه وغموضه ما تلاه وهو العنصر الإشاري "الله أحد" ولذلك فإحالة ضمير الشأن "هو" في الآية إحالة داخليّة بعديّة أو لاحقة"[4].

-**المدى في الإحالة:** تنقسم الإحالة، باعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسّره، إلى نوعين:

- إحالة ذات مدى قريب: و"تجري في مستوى الجملة الواحدة حيث لا توجد فواصل تركيبيّة جمليّة.

- إحالة ذات مدى بعيد: وهي تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص، وهي تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية بين الجمل[5].

"وسواء كانت الإحالة إلى بعيد أو إلى قريب، فإن عامل الإحالة يسهم بدور فعّال في ترابط النص وتماسكه، إلى جوار العامل التركيبي والعامل الزمني، إذ إن الملفوظ نصّاً يكتمل

---

[1] - deBeaugrand,Robert&Dressler,Wolfgang, Introduction to Text linguistics, ,Logman , London 1981,p. 61

[2] – برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص، ترجمة : د. سعيد حسن بحيري، ص49.

[3] – سورة الإخلاص، الآية 1.

[4] – ميلود، نزار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميريّة: دراسة تأصيليّة تداوليّة، ص8.

[5] – الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص 123–124، بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص150.

عندما تترابط أجزاؤه باعتماد الروابط الإحالية، وهذه الروابط تختلف من حيث مداها ومجالها، فبعضها يقف عند حدود الجملة الواحدة، يربط عناصرها الواحد منها الآخر، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص، فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي، ولكن الواحد منها متصل بما يناسبه أشدّ الاتصال، من حيث الدلالة والمعنى"[1]. وهو ما سنتعرّض له بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا الباب. فمن أمثلة إحالة المدى القريب ما ورد في قوله تعالى: "﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾[2]، نلاحظ في بداية الآية ورود المسند إليه "الله" كعنصر إشاري يفسّر كل المحيلات اللاحقة عليه «الذي، أنزل(هو)، عبده (الهاء)، يجعل (هو)"[3] ومن أمثلة إحالة المدى البعيد نورد القطعة النثريّة الآتية: "ترك وجهه يغتسل بنسيم الفجر، لكن روحه لم تنتعش، تريّث قبل أن ينحدر في الأرض المسوّاة الممتدّة وراءها غابات النخيل، ووراء ذلك النخل يلوح هنا وهنا بين فرجات الشجر، المنظر، كان محيميد يراه آخر مرّة..."[4]، ففي هذه العبارة أضمر المسند إليه في الفعل "ترك" منذ البداية، ثمّ فُسّر بعد ذلك بالعنصر الإشاري وهو اسم العلم "محيميد" رغم البعد الفاصل بينهما.

-**التماسك النّصي:** على الرغم من أهمية الإحالة في ربط أجزاء النص بعضها ببعض، وتعزيز وحدته العضوية، إلا أنه لا ينبغي أن يفهم أنّ التماسك متوقف على وجودها أو وجود غيرها من وسائل التماسك الأخرى، بل واقع الأمر أنّ هذه الوسائل ربما لا تكون وحدها كافية في إضفاء صفة التماسك على النص، وهو ما قال به بعض محلّلي

---

[1] – المرجع السابق، ص124.

[2] – سورة الكهف، الآية1.

[3] – ميلود، نزار، نحو نظرية عربيّة للإحالة الضميريّة، ص7.

[4] – أبو غزالة، إلهام، حمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النّص، ص94.

الخطاب[1]. إذ قد يكون الرابط بين أجزاء النص المناسبة السياقية بحيث يمكن للمخاطب أن يجد بعض العلاقات والصّلات بين أجزاء الخطاب في عناصر السياق الخارجيّة، مستعيناً في ذلك بقدراته العقلية في الربط بين تلك العناصر. فالإحالة في كثير من الأحيان لا تفهم إلاّ من خلال السياق، وإن كان فهمها في المقام الأول يعتمد على داخل النص، ومهما يكن من أمر فإنّ المناسبة السياقية بين أطراف الخطاب ضرورية لحصول التماسك المنطقي حتى مع وجود أدوات التماسك النصي، فإن فُقدت المناسبة لم تعد أدوات التماسك وحدها كافية في صبغ النص صبغةً منطقيةً مقبولةً، وهو ما أثبته انكفيست عندما أتى بمثال غني بأدوات التماسك ، ولكنه يعوزه الربط المنطقي بين أجزائه[2]. ويبدو أنه قد تناط بالمتلقي مهمة صوغ السياقات التي تربط بين بعض التراكيب إشراكاً له في عملية التخاطب، وحثاً له على الاجتهاد، واحتراماً لقدراته العقلية في إمكان الربط بين أجزاء الخطاب وهذا يؤكد أن التماسك النصي بوسائله وأدواته الآنفة الذكر لا يحقق حصول التماسك المنطقي، بل قد يكون الارتباط بين عناصر النص كامناً في البنية العميقة، والسياقات الكامنة التي تحكمها بحيث لا يمكن نظمها في سلك متسق إلاّ بإعمال الفكر والاجتهاد. ومع ذلك ينبغي ألا نغالي كما فعل ويدوسون وإدمنسون عندما زعما أنه يمكن أن نجعل من أي مجموعة من الجمل غير المترابطة نصاً متماسكاً بصوغ سياقات ملائمة[3].

---

[1],Nunan, David − Introducing Discourse Analysis, London ; penguin Group , 1993 , p . 6.

[2] − EnkvistK, J. O ,ostman, j . o ,pseudo-Coherence, and non – coherence. N. ECohrencefinland AboAkademi Foundation semantics , (ed) , cohesion and semantics 1978 , p . 110.

[3] − Edmonson, W, Spoken . Discourse :AModel For language as longman;1981,P. 13.

See also: Widdowson, H . G , Teaching , Communication , oxford University Press,1978 and Nunan, Introducing Discourse Analysis,pp. 60-64.

وربما كان من أقوى الأدلة على أنّ الإحالة ليست دائماً ضرورية أنّ الناظر في شواهد كثيرة من العربية، ولا سيما من القرآن الكريم ليستنتج أن عدم مراعاتها ربما لا يؤثر في تماسك النص ووحداته، بل إنّ انتهاك قوانين التماسك قد تكون لتحقيق أغراض بلاغية. فالبحث في الإحالة يتأسس على السؤال التالي:

كيف تفسّر الإحالة؟ وأي العوامل يؤدي دوراً في تفسير العملية؟ فليست المعرفة النحوية فقط كافية في تحديد عودة الضمير مثلاً، بل إن الاكتفاء بها قد يكون سبباً في تضليل المتلقي، وبعده عن الفهم الصحيح للإحالة، ونلحظ ذلك في مبدأ القرب الذي يرى أن الضمير يحيل إلى أقرب مذكور، أضف إلى ذلك طول المدة التي قد تستغرقها القراءة، مما يدل على أهمية معرفة القارئ العامة. فهناك مشكلتان يمكن أن تواجها عملية التماسك النّصي من قبل القارئ المشكلة الأولى تتمثّل في الغموض، خاصة حينما يتعدد المحال إليه سابقاً، ولا نعرف إلى أي شيء يرجع الضمير وكلما ازداد هذا الغموض، ازداد أمر تحقيق التماسك صعوبةً، وهذا لأنّ "الغموض يؤدي إلى غموض الدلالة، وغياب الدلالة يؤدي لا ريب إلى غياب التماسك"[1]. وهناك مشكلة أخرى متعلّقة بالسابقة، وهي غياب أدوات التماسك المعروفة أو بعضها، وفي الغالب تكون الأدوات المفقودة هي الأدوات الشكلية مثل: الضمائر، العطف، التكرار.... والحل في هاتين المشكلتين يتمثّل في العثور على السياق المحيط بالنص أو معرفته، فمن خلاله تدرك الصلة بين الجمل التي لا تبدو بينها صلة[2].

ويضرب هاليدي مثالاً لذلك بقوله: " فإذا نظرت إلى هذين المثالين:

أ– جرس الباب يدق. ب – أنا في الحمام

[1] – الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 100/1 نقلاً عن هاليدي ورقية حسن ص 294.

[2] – المرجع السابق، 1 / 100.

فمن الوهلة الأولى نفترض عدم وجود علامة واضحة للعلاقة بين الجملة الأولى والجملة الثانية. غير أن القارئ العادي سوف يشير بالطبع إلى أن هذين التعبيرين يكونان النص ... وسوف يفسّر الثانية في ضوء الأولى. إنه سوف يشير إلى أنه توجد "علاقات دلالية" بين الجملتين. وذلك في غياب العلاقات الشكلية الواضحة ولذلك فإن الأمر الأساسي أنّ المشار إليه لا بد أن يكون قابلاً للتعريف، وهذا التعريف لا يتأتى إلاّ بمعرفة السياق المحيط بالنص"[1]. فالجمل إذن وأشكال القول الأخرى "يتماسك بعضها مع بعض الآخر دلالياً من خلال المعلومات التي يقدمها النص... ولكن إذا فقدت الجمل السياق مثل: اشتدت الأعاصير، ثم جرى في الطريق حاملاً حذاءه عندما جفت البحار، وانتشر الذباب في الطرقات... تكون غير متماسكة الأجزاء"[2]. "لم تعد تُراعى إذن الجوانب النحوّية فحسب، بل يشترط في النص جوانب أخرى بعضها يتعلق بالدّلالة بمفهوم واسع، حيث أسند إليها تحقيق التماسك النصي، فتحديد المعنى عند فاينريش يتحقّق من خلال وحدة النص، وهو يعتمد اعتماداً أساسياً على السياق الذي يقدم من خلاله معلومات معيّنة أي على سياقات دلالية"[3]. "يتضح مما سبق أن التماسك النّصي ذو طبيعة دلالية من ناحية، وذو طبيعة خطية شكلية من ناحية أخرى، وأنّ الطبيعتين تتضافران معاً لتحقيق التماسك الكلّي للنص"[4]. "فالتماسك يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى"[5]. والتماسك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضاً بالعلاقات بين جمل النص،وبين فقراته، بل بين

---

[1] – المرجع السابق، 1 / 101 نقلاً عن هاليدي ورقية حسن ص 33.

[2] – العبد، د . محمد، اللغة والإبداع الأدبي، القاهرة :دار الفكر، د. ط، 1983م، ص37.

[3] – بحيري، د . سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص128.

[4] – الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 98.

[5] – Carter, David, Horwood, Ellis, Interpreting Anaphors in natural Language Texts , Limited ,England (1987) , p . 32.

النصوص المكونة للكتاب... ويهتم أيضاً بالعلاقات بين النص و ما يحيط به، ومن ثم يحيط التماسك بالنص كاملاً داخلياً وخارجياً"[1].

-**السّياق:** السياق لغةً من الجذر اللغوي (س و ق)، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقاً وسياقاً)، فالمعنى اللّغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع[2]. وذكر التهانوي: أنّ السياق في اللغة بمعنى الإيراد[3]. ويعد مصطلح "السياق" في الدراسات اللغوية الحديثة من المصطلحات العصّية على التحديد الدقيق وإن كان يمثل نظرية دلالية من أكثر نظريات علم الدلالة تماسكاً وأضبطها منهجاً[4]. و"السياق لم يهتم به علم اللغة النصي وحده، بل كان محور اهتمام علم اللّغة بصفة عامة مع التأكيد أنّ هذا الاهتمام بالسياق، ودوره في توضيح المعنى، لم يكن وليداً للمدارس الحديثة وحدها، بل اهتم به علماء العربية بداية بسيبويه والمبرد وابن جني والجرجاني وغيرهم"[5].

-**السياق التاريخي:** "اهتم البحث اللغوي الحديث بدراسة السياق" فمعنى الكلمة في المعجم متعدّد ومحتمل، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد بسبب ما في السياق من قرائن مقاليّة تعين على التحديد، وارتباط كل سياق بمقام معّين"[6]، "فالنّص ليس إلا حالة خاصة من البيئة المحيطة،... والمرجعية القبليّة والمرجعيّة البعديّة، كلتاهما تعتمد على الفكرة التي تسعى لاستقصاء المعاني من البيئة المحيطة.."[7] و"كل نص له سياق، والنص بصفته يمّيز بالتماسك... "فأي نقطة أو جملة بعد البداية -أي بداية النص- ترتبط بما

---

[1] – الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 97.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة سَوَق.

[3] – التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1977م، 27/4.

[4] – حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، د . محمد يوسف، مكتبة عالم الكتب، ط1، 1991م، ص 28.

[5] – ياقوت، د. محمود سليمان، فقة اللغة وعلم اللغة(نصوص ودراسات)، دار المعرفة الجامعية، د. ط،1991م، ص238.

[6] – حسّان، د . تّمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، د. ط، 1973، ص 316.

[7] – Halliday &Hassan: Cohesion in English ,. p. 84.

سبقها ، وبالبيئة المحيطة، وترتبط بما سوف يأتي بعد"[1]. ولعل هذه الأهمية للعلاقة بين النص والسياق هي التي دفعت هاليدي ورقية حسن إلى جعل عنوان كتاب لهما "اللغة، السياق والنص" وأكدا فيه أن" الفكرة الأساسية، تهدف إلى إجلاء العلاقة بين النص والسياق هذه العلاقة مؤكدة، فكل من النص والسياق يمكن تفسيره بالرجوع إلى الأخر"[2].

ومصطلح السياق Context نفسه اشتق بصورة تؤكد هذه العلاقة، فالسابقة Con تعني المشاركة أي توجد أشياء مشاركة في توضيح النصWiththetext وهي فكرة تتضمن أموراً أخرى تحيط بالنص كالبيئة المحيطة، والتي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحال"[3]. وفيما يخصّ البيئة العباسيّة التي أحاطت بنصوص البخلاء، فنحن نعلم أنّ الدولة العباسيّة تأسست على أنقاض الدولة الأمويّة سنة 132 هـ ، "وأخذ عدد الموالي يزداد في العراق منذ الخلافة الأموية نظراً للفتوح الإسلامية وما كانت تجلبه من الأسرى، فضلاً عن هدايا الولاة إلى الخلفاء، وكان جلّها رقيقاً بدلاً من الخراج"[4]. انصرف بعض الموالي إلى الصناعة، وبعضهم إلى التجارة أو الزراعة وبعضهم إلى العلوم والآداب والفنون، كان العرب ينظرون إلى الموالي نظرة السيد للمولى فامتعض هؤلاء، ومنهم من ينتسب إلى دول كان لها من الحضارة شأن كبير، كأبناء فارس واليونان وروما، فما أطاقوا الحيف طويلاً، بل راحوا يذودون عن رامتهم، فنشأت الشعوبيّة[5]. "كان الأمويون يسيئون معاملة الموالي، وكان هؤلاء يضمرون لهم شرّاً فاستغلّ هذا الشعور العثمانيون، واختاروا أهم دعاتهم من بينهم، ورأى الموالي في مثل تلك الدعوة مجالاً للتشّفي، وتفريج الكرب، فأخلصوا لهم"[6]، "لقد دفع

---

[1] – المرجع السابق، ص84.

[2] – المرجع السابق، ص84,

[3] – الفقي، د . صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 108/1.

[4] – جبر، د . جميل، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، بيروت:الشركة العالمية للكتاب، د . ط و د . ت، ص 15.

[5] – المرجع السابق، ص 15.

[6] – المرجع السابق، ص16.

الحذر من ردة فعل الأمويين وأنصارهم ببني العباس إلى الاعتماد على الفرس أولاً، ثم على الأتراك، في شؤونهم الخطيرة فكان البرامكة أهم وزرائهم، وكان الخراسانيون والترك نواة جيشهم فقويت شوكة الأعاجم وتغلغلت الشعوبيّة في كل حقل"[1].

-السياق الاجتماعي:

"إنّ أي قطعة من نص، طويل أو قصير، منطوق أو مكتوب، سوف تحمل معها إشارات عن سياقها، وعلينا فقط أن نسمع أو نقرأ جزءاً منها لنعرف من أين أتت هذه القطعة... بمعنى آخر أعطنا النص، ونحن نشكل سياق الحال منه"[2]. "فهل معنى هذا أنه يمكننا بمجرد سماع نص أو قراءته أن نعرف السياق المحيط به ؟! نرى أن هذا لا يكفي، فهاتان الوسيلتان يمكن من خلالهما معرفة بعض جوانب السياق، وذلك من خلال النبر والتنغيم في النص المنطوق، وعلامات الترقيم في النص المكتوب وهكذا.

وهذه الأمور ليست كل ما يتعلّق بالسياق، فهناك السياق الاجتماعي والثقافي، وكلاهما يحتوي على أركان كثيرة،ذكرها فيرث ومالينوفسكي منها الزمان والمكان والمشاركون ونوع النص وتغير الأحداث وغيرها"[3]. فالسياق عند فيرث ينقسم إلى قسمين:

1-السياق الداخلي، ويتمثل في العلاقات الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة بين الكلمات داخل تركيب معيّن.

2-السياق الخارجي، ويتمثل في السياق الاجتماعي أو سياق الحال بما يحتويه، وهو يشكّل الإطار الخارجي للحدث الكلامي[4]. إنّ "بنية النص محكمة بسياق الحال... وهذا السياق

---

[1] – المرجع السابق، ص16.

[2] – Halliday&Hassan: Cohesion in English,p. 37

[3] – الفقي، د . صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 109/1.

[4] – خليل، حلمي، الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، دار المعرفة الجامعية، ط2، 1993م، ص167.

يمكن استخدامه لصنع تنبؤات معيّنة حول بنية النص"[1] ويمكن توضيح ذلك عند سماعنا – مثلاً– لحوار معيّن بين عدة أفراد، ونحن نعرف هؤلاء الأفراد، وطبيعة كل منهم، وثقافته، ونعرف كذلك القضية التي يدور حولها الحوار... فإذا كان الأمر كذلك، فإنّنا بعد سماعنا لبعض جمل الحوار من بعض الأفراد، يمكننا بالفعل التنبؤ بردود الأفراد والآخرين، ومن ثم التنبؤ ببنية النص. "فالمجتمع هو المنتج للنّص وهو المتلقي له، ومن ثمّ فهو الذي يحدّد معناه من خلال البيئة المحيطة التي يعيش فيها المجتمع، والتي أُفرز فيها النّص"[2]، وقد أدرك مالينوفسكي أهمية العلاقة المتمثلة بين النص والسياق، وأنه ينبغي معرفة السياق حتى يمكن تفسيره للنص، ولهذا – حتى يمكنه تفسير النصوص المتعلقة بالصيادين – قام بمعايشتهم في أمورهم كلّها، وذلك للإلمام بالخلفيّة الثقافيّة لهم، وتوّصل في النهاية إلى جعل السياق يدور حول محورين: الأول: سياق الحال، والثاني : السياق الثقافي، وكلاهما ضروري في فهم النص فهماً كاملاً[3].

ولو فتّشنا عن الأركان التي ذكرها فيرث و مالينوفسكي في نصوص البخلاء لوجدنا أنّ الجاحظ" فتح عينيه على الدنيا فإذا كل ما حوله يرسم الفقر ويوحي بالفاقة، واستفاق يجري بين الطلب والحرمان، وكأنّ هذا عدواً يريد قتله والانتقام منه، يقوده نوعان من التعطّش والجوع، جوع إلى الرغيف الذي يمسك به حياته ويغذي جسده وجوع إلى خبز المعرفة تطميناً لعقله المبدع وغذاءً له، فقسم حياته إلى شطرين: قسم منها يرتاد حلقات الجامع الكبير لكسب العلم والأدب، وقسم منها يبيع الخبز والسمك ليجمع ما يسكنّ به جوعه ويكسب المال ... فيرى على مسرح الوجود الفقراء الذين يتهافتون نحوه ليشتروا الخبز والسمك... وصورة المجتمع البصري الذي يضم الموالي من العجم الذين جمعوا إليهم رؤوس

---

[1] – الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 108/1.

[2] – المرجع السابق، ص106/1.

[3] – الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 108/1.

الأموال دون العرب المهتمين بشؤون الجهاد وإعمار الدولة ... فرسخ في ذهن العربي كرهه للموالي لاستئثارهم بالمال وجمعه"[1].

وقد "عمّ الترف مدينة الرشيد،نتيجة البحبوحة الاقتصاديّة، واتّبع الخلفاء الطريقة الفارسيّة في العيش والحكم والهندسة، فإذا موائدهم تُعدّ على أفخر ما كانت تُعدّ عليه موائد أسياد فارس، وإذا مجالسهم تفرش وتزين على طراز مجالسهم، وإذا دواوينهم تغصّ بالوزراء والمستشارين والحجّاب على أحسن ما عرفه أنوشروان"[2].

"نستطيع أن نميّز في المجتمع العباسي ثلاث طبقات اجتماعية هي الطبقة العليا، والطبقة الوسطى، وطبقة العامة"[3]. أي: "الفقراء المفرطين في الفقر،والأغنياء المفرطين في الغنى، والطبقة الوسطى التي بينهما سلكت طريق البخل كي لا تقع في الموت ولكي تحصل الثروة الواسعة التي يمتلكها الموالي ويعيشون بها عيشة واسعة"[4]. ومن بين هؤلاء البخلاء ظهر المتسولون، واللصوص ، والمشردون" فليس ظهور المكدين بالظاهرة الأدبية بقدر ما هو بالظاهرة الاجتماعية فهم وإن برز بينهم من مارس الشعر والنظم، فئة كبيرة فقيرة بائسة اضطرتها ظروف العصر إلى الاستجداء والتسول، فإن لم تصب مغنماً فإلى التحايل والابتزاز، ولعل فقر هذه الفئة يبدو جلياً حين نقارنه بغنى وثراء الفئة الأخرى، فئة الكبراء والأمراء، فقد رأى زائر لقصر المقتدر عنده أحد عشر ألف عبد خصي، ورأى شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم عليها طيور مصنوعة من الفضة، وشاهد ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج المذهبة"[5].

---

[1] – حسن، د . حسين الحاج، أعلام في العصر العباسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1985م، ص514.

[2] – جبر، جميل، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، ص16.

[3] – عويس، د . محمد، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ، دار الثقافة للطباعة والنشر، د. 1977م، ص70.

[4] – حسن، أ. د. حسين الحاج، أعلام في العصر العباسي، ص515.

[5] – المالح، د. غسان، أدب الشحاذين، دراسة مقارنة، مجلة العربي، العدد 119 أكتوبر 1968م، ص71.

"والباحث المتعمّق يجد في سخرية الجاحظ من أكثر الطبقات الاجتماعية، بدءاً بالملوك والرؤساء، وانتهاءً بعامة الناس، مروراً بمن كانوا من أئمة المعتزلة، الذين ينتسب الجاحظ إليهم مثل أبي الهذيل العلاف، وعلي الأسواري، كما نجد في سخريته من الأصمعي العربي، وأبي سعيد المدائني أسباباً أبعد من تلك التي تعود إلى نزعته الفنية، وقد يكون من أهمها توجيه النقد اللاذع، بأسلوب ساخر خفيف، إلى الطبقة التي أعماها الثراء عن التبصّر في أمور الآخرين، وكشف زيف ذلك الثراء الذي قام على استغلال جهد الآخرين، وبذلك يكون الجاحظ قد أسهم أدبياً في خلخلة البناء الطبقي الاجتماعي، ونبّه السلطة الحاكمة، إلى ما هي فيه من غربة، وإلى القطيعة بين الحاكم والمحكوم"[1]، "ولا يمكن البحث عن دافع الجاحظ في الكتابة عن البخل والبخلاء بمعزل عن حركة تجمّع وتركز رأس المال في عصره. فقد أدّت دوراً رئيسياً في تغيير المفاهيم الاجتماعية خاصة، والمفاهيم الحياتية عامة. وكان التجاذب الحاصل بين مقومات الحياة العربية المتطوّرة وعناصر المجتمعات الأجنبية الداخلة يتوّلد دائماً ودون انقطاع عن ذلك التصاعد المادي المستمر في الحاضرة العربية في ذلك الحين، وما كان هذا التصاعد ينتج ويندفع إلاّ من حركة تجمع رأس المال الذي أصبح يشكل القوّة المسيّرة للفعاليات الاقتصادية في الدولة والمجتمع"[2].

"وكان لا بدّ من حصول تصادم بين الكيانات الاقتصادية والاجتماعية الحادثة من حركة تجمع رأس المال وبين القيم العربيّة خاصة والقيم الإسلاميّة عامة وما تتضمنه من مُثل تشّبع بها في الأصل المجتمع العربي المتطوّر"[3]، "لقد كان الجاحظ يسعى إلى إظهار تناقض الهوية العربّية الثقافية التي تعتّد بالكرم والكرماء وتدين البخل والبخلاء، دون الالتفات

---

[1] – نصر، صالحة، البخيل والبخلاء بين الجاحظ وموليير، دراسة مقارنة لأنموذج البخيل بين الأدب العربي والأدب الفرنسي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 384 نيسان 2003م، صفر 1422هـ، ص4.

[2] – سعد، فاروق، مع البخلاء، عرض دراسي لكتاب البخلاء، بيروت:الشركة اللبنانية للكتاب، ط1، 1971م، ص16.

[3] – المرجع السابق، ص16.

إلى ظروف الكرماء والبخلاء المعيشيّة ودوافعهم الثقافية"[1]. وكان الجاحظ أيضاً يّوجه نقداً ساخراً لأوضاع ذلك المجتمع، الذي أصبح فيه الأديب مستجدياً في بلاط الخلفاء، لا يجد قوت يومه.

وأراد الجاحظ أن يرّد على الفرس ادعاءاتهم ضد العرب، وينتصر للعرب،" وكانت أهم حجج العرب على الشعوبيّة أنهم أكرم الناس للضيف وأنجدهم للمستصرخ، وقادة الأمم في البيان وحسن التعبير، ومعدن الشعراء، وأحفظ الناس لأنسابهم، بينهم نشأ الإسلام، ورسول الله منهم، وهم الناشرون له، والداعون إليه، فكل من أسلم من العجم في عنقه منةٌ للعرب"[2]. ويظهر دفاع الجاحظ عن العرب في اختياره لشخصيات وقصص فارسية كنوادر أهل خراسان، ومحاولته تعرية بخلهم أمام المجتمع.

وإذا ما حاولنا إحصاء أسماء أبطال القصص في البخلاء نلاحظ أنهم بلغوا حوالي أربعين بخيلاً من العرب والفرس، منهم عشرة بخلاء من الفرس، وثلاثين من العرب. وهذا يوحي بحيادية الجاحظ التامة، فهو يجمع القصص والنوادر من ألسنة الرواة الآخرين الذين سمعوها أو شهدوها بأنفسهم، أو كانوا أحد أبطالها، فيضفي المصداقيّة والواقعيّة على قصصه، ويجعلنا نرجح أنّ الغرض الذي قصد إليه إصلاحي أولاً.

-السياق اللغوي:

"إنّ الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلاّ بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً"[3].

---

[1] – سرحان، د. هيثم، الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م، ص248.

[2] – جبر، د . جميل، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، ص 16.

[3] – دي سوسير،، فردينا ند، دروس في الألسنية العامة، ترجمة : محمد الشاويش ومحمد عجينة، تونس: الدار العربية للكتاب، 1985م، ص186.

وقد دفعت تلك المقولة بعض اللّغويين إلى دراسة السياق وعلاقته باللغة والمعنى[1].

والسياق اللّغوي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى، ممّا يكسبها معنىً خاصاً محددّاً"[2]. ويمكن التمثيل له بكلمة (good) الإنكليزية ومثلها حسن العربيّة التي تقع في سياقات لغوية متنوعة، فإذا وردت وصفاً لأشخاص كانت تعني الناحية الخلقية، وإذا جاءت وصفاً لطبيب أو معلم مهنّي دلّت على التفوق في العمل والأداء الممتاز، وإذا جُعلت وصفاً لمقادير ومحسوسات دلّت على الصفاء والنقاء والخلّو من الغش[3]. ويصرّح فيرث "بأنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة ... فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"[4].

"ومن المؤكد أن ما ذُكر لا ينطبق على أمثلة محدودة، وكلمات متصيدة من هنا وهناك، إنما ينطبق على جلّ المفردات حين ترد في السياق.... وبهذا يشتمل المعنى الدلالي على عنصرين لا غنى للسياق عن أحدهما، هما المعنى المقالي ويشمل (المعنى الوظيفي، المعنى المعجمي، القرائن المقاليّة) والمعنى السياقي ويشمل (ظروف أداء المقال، القرائن الحاليّة) وبعزل السياق عند تحليل المعنى لا تكون للعلاقة النحويّة ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في وضعها الصحيح ميزة في

---

[1] – لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة : عباس صادق الوهاب، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د. ط، 1987م نقلاً عن جون لاينز ص 607.

[2] – قدوّر، د. أحمد محمّد، مبادئ اللسانيات، بيروت :دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط2، 1999م، ص 295م.

[3] – قدوّر، د. أحمد محمّد، مبادئ اللسانيات، بيروت :دار الفكر المعاصر، ص296.

[4] – عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، ط 2، 1988، ص68.

ذاتها ما لم يكن كلّه في سياق ملائم"[1]، وهناك اتجاه معروف ضمن الدرس السياقي اقتصر أصحابه (فيرث وأتباعه) على السياق اللغوي وحده وتوافق الوقوع أو الرصف[2].

"وعلى الرغم من اعتبار هذا الرأي امتداداً لنظرية السياق أو تطوراً عنه فهناك من عدّه نظرية مستقلة، نظراً لما تميّزت به من إحكام وما وضع لها من قواعد"[3].

ويتلخّص مفهوم (الرصف) بالارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة، أو استعمال وحدتين معجميتين –استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى– ومن أمثلة ذلك ارتباط كلمة منصهر مع مجموعة من الكلمات: حديد – نحاس – ذهب – فضة... ولكن ليس مع جلد مطلقاً؛ لأن المجموعة الأولى تتقاسم عدداً من الترابطات، مثل الصلابة والثقل والبريق، والبرودة التي لا توجد في مجموعة الجلد، وإنما يوجد بدلاً منها، صفات الليونة والخفة وانطفاء اللون[4]. "وعلى هذا، فإنّ قائمة الكلمات المتراصفة مع كل كلمة تعدّ جزءاً من معناها، ومن هنا يعالج الرصف الكلمات المفردة التي لها علاقة متبادلة ذات أهمية دلالية"[5]. ولمّا كان من المعتاد أن تنتظم الكلمة مع أكثر من مجموعة، وأن تقع في أكثر من سياق، فقد ظهر مصطلح الوقوع المشترك والمصطلح احتمالية الوقوع[6] لقد وضع فيرث ما سمّاه اختبار الوقوعيّة أو الرصفيّة الذي يقوم على أساس تبديل المفردات المعجميّة، أو تبديل أنواع السياق اللغوي لإصدار الأحكام.

ويكون الرصف مقبولاً في مستويين من الاستعمال اللّغوي :

---

[1] –عكرمة، أ. هند، الكلمة بين المعجم والسياق، رسالة ماجستير، اللاذقية: جامعة تشرين، إشراف الأستاذ الدكتور:سامي عوض، مشاركة: د. ماهر حبيب، 2007م، ص202.

[2] – عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص74.

[3] – عكرمة، أ. هند، الكلمة بين المعجم والسياق، ص203 نقلاً عن فيرث.

[4] – المرجع السابق، ص204.

[5] – المرجع السابق، ص204.

[6] – عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص75.

1- حين يكون متماشياً مع الاستعمال العادي الذي ارتضاه أبناء اللّغة.

2-حين يمكن تفسيره حسب الاستعمال المجازي المقبول. ولا تعتبر الجملة كاملة المعنى إلاّ إذا صيغت طبقاً لقواعد النحو، وراعت توافق الوقوع بين المفردات، وتقّبلها أبناء اللغة، وفسّروها تفسيراً ملائماً، وهو ما أطلق عليه اسم التقبليّة[1].

-**سياق الموقف:** "إنّ النص خطاب مترابط ترابطاً دلالياً، وذلك باعتبار وجود سياق للموقف"[2]. "وهو في اللّغويات الحديثة البيئة غير اللغوية التي تستخدم فيها اللغة. ويمكن لنا أن نستخدم مصطلح co- text الذي قدمه كاتفورد للإشارة إلى نفس المفهوم"[3]. "ويعد مالينوفسكي أول من استخدام مصطلح سياق الموقف للإشارة إلى الأحداث والمواقف التي ينتج فيها النص. كما يؤكد أنّ الفهم الحقيقي للكلمات مستمد من الخبرة الفعلية والمعرفة بمظاهر الواقع الذي تنتمي إليه تلك الكلمات"[4]. ثم تطوّر هذا المصطلح تطوراً آخر باستعمال فيرث له في دراسته اللغوية محاولاً فهم الدلالة اعتماداً على السياق" وسياق الحال عند فيرث نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام"[5]. والمحيط الخارجي هو سياق غير لغوي، فقد سمّاه فيرث "سياق الحال" وأطلق عليه كمال بشر "المسرح اللغوي"[6] أما تمّام حسّان فأطلق عليه "المقام"[7] أخذاً عن اللغويين العرب الأقدمين، إذ يعتبر هذا المصطلح أشمل من سياق الحال الآني. "وعلى هذا يمكن أن يُعرّف سياق

---

[1] – عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 77- 78 .

[2] – فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص 24 نقلاً عن رقية حسن ص225.

[3] – المرجع السابق، ص24.

[4] – المرجع السابق، ص25 نقلاً عن مارتن ص4.

[5] – السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة، د . ط . و د . ت، ص310.

[6] – بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، مصر :دار المعارف، د. ط، 1969م، ص165.

[7] – حسّان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص337.

الموقف بأنه الموقف الخارجي الذي يمكن أن يقع فيه الكلام، أو بتعبير آخر هو دراسة الكلام في المحيط الذي يقع فيه، أي دراسة (السياق اللغوي + سياق الموقف)"[1] وعناصر الموقف متعدّدة[2] أوّلها المتكلّم نفسه، أهو ذكر أم أنثى؟ صغير السن أم كبيره؟ واحد أم اثنان أم جماعة أم جمهور؟ وما جنسه، ودينه، وشكله الخارجي، ومكانه الاجتماعي؟ وهذا ينطبق أيضاً على المستمع، وإلى جانب ذلك علاقة المتكلم بالمستمع من حيث القرابة أو الصداقة أو المعرفة أو اللامبالاة أو العداوة أو المركز الاجتماعي أو المالي أو السياسي...إلخ، ومن عناصر الموقف أيضاً موضوع الكلام، وفي أيّ جو يقال، وفي أي مكان؟ وأيّ زمان؟ وكيف يقال؟ وما الداعي لقوله؟ وغير ذلك من عناصر كثيرة جداً يؤثّر كل منها مباشرةً في كيفية قول الكلام وفي تركيبه، وفي معانيه وفي الغرض من قوله. ويضاف إلى عناصر الموقف الأحداث الواردة في الوقت الذي تمّ فيه أداء المقال. وما يقدّمه العنصر الاجتماعي من قرائن حاليّة أو مقاليّة[3] ومثاله قول للإمام علي بن أبي طالب_كرّم الله وجهه–حين ردّ على هتاف الخوارج "لا حكم إلّا لله" بقوله:" كلمة حق أريد بها باطل"[4]، وكان يعني أنّ النّاس ربما قنعوا بالمعنى الحرفيّ لهذا الهتاف، فصدّقوا أنّ الخوارج أصحاب قضيّة تستحقّ أن يدافع الناس عنها، وربما غفل الناس عن المقام الحقيقيّ الذي ينبغي لهذه الجملة أن تُفهم في ضوئه، وهو مقام" محاولة إلزام الحجة سياسيّاً بهتاف ديني" فالمقام في هذا الهتاف من السياسة، والمقال من الدين، وكان ينبغي للنّاس أن يفهموا المقال في ضوء المقام"[5].

---

[1] – عكرمة، أ. هند، الكلمة بين المعجم والسياق، ص205.

[2] – حسّان، د. تمام، اللغة العربية، معناها ومبناها، ص338.

[3] – المرجع السابق، ص353.

[4] – الرّضي، الشريف، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، مكتبة الأندلس، بيروت: د. ط، 1954م، ص113.

[5] – حسّان، د. تمام، اللغة العربية، معناها ومبناها، ص338.

-**التّناص:** إنّ كل نص هو تشرّب وامتصاص ومحاذاة وملامسة ومماسة ومداعبة ومحاورة ومعارضة ومقابسة من نصوص أخرى"[1]. وقد تعددت وجهات نظر المؤلفين العرب والنقاد حول التناص فهو "علاقة بين نصين أو أكثر، وهي العلاقة التي تؤثّر على طريقة قراءة النص المتناص أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى أو أصداؤها"[2]. وهو "تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحّي الحدود بينها وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها، وغاب الأصل فلا يدركه إلاّ ذوو الخبرة والمران"[3]. والتناص "فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة"[4]. وهو "تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة تشكيلاً وظيفياً، بحيث يغدو النص المتناص خلاصةً لعدد من النصوص التي امحّت الحدود بينها، وكأنها حطام لمعدن ما، أو حطام لأنواع من المعادن أعيد تشكيلها وصياغتها تشكيلاً جديداً، بحيث لا يبقى بين النص الجديد وأشلاء النصوص السابقة سوى المادة وبعض البقع التي تشير أو تومئ إلى النص الغائب، كأن تأخذ أشكالاً مختلفة من الزجاج المحطمّ وما يقاربه ويتفاعل معه، ثم تعيد صهرها لتصنع منها مادة جديدة وأشكالاً جديدة، ولذلك يدخل الشعري في اللاشعري ويتفاعل معه، ويتضّام ويتواشج ويتعاقد ويتناسل، حتى يغيب الأصل غياباً لا يدركه سوى أصحاب الخبرة"[5]. "فكل نص

---

[1] – مرتاض، د . عبد الملك، الكتابة أم حوار النصوص ؟ الموقف الأدبي، إصدار اتحاد الكتاب العرب، دمشق : العدد330 تشرين الأول 1998م، ص15.

[2] – فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص 194.

[3] – عزام، محمد، النص الغائب (تجليّات التناص في الشعر العربي)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، 2001م، ص27.

[4] – مفتاح، د. محمد، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، بيروت &الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م، ص121.

[5] – الموسى، د . خليل، التناص والإجناسية في النص الشعري، مجلة الموقف الأدبي، يصدرها اتحاد الكتاب العرب، دمشق: العدد305 أيلول1996م، ص 81.

ليس إلاّ نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة"[1]، "ولئن كان هناك اختلاف بين اللغويين في تعريف هذه الظاهرة النصيّة فالإجماع حاصلٌ بينهم على أنه نوع من التعالق أو التبادل أو التداخل بين مختلف النصوص"[2]. "فكلّ نص يّمثل فضاءً تلتقي فيه نصوص عديدة بما تتضمّنه من رؤى فكرية وحضارية مختلفة، يُحكِم الكاتب مزجها بطريقته الخاصة فيشكل نصّاً منسجماً متناسقاً"[3]. "إنّ التناص لا مناصَ منه؛ لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومستوياتهما ومن تاريخه الشخصي، أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضاً"[4].

"والصلة في التناص بين النص الراهن والنص الغائب (المرجع) صلة الحضور بالغياب، أو هي حضور الغياب في التناص، وغياب الحضور في النص الغائب ، ولذلك يكون النّص الغائب في النص الراهن ، وهو يمثّل صورة من صور استلهام التراث وتوظيفه إذا كان النص الغائب قديماً، ويمثّل صورة من صور المثاقفة إذا كان النص الغائب معاصراً، وإذا كان حضور النص الغائب في النص الراهن حضور إعجاب فإنّ النص الراهن يظل تابعاً للنموذج المقدّس الذي يمثله النص الغائب، وتكون وظيفة النص الراهن – حينذاك – استدعاء التراث استدعاءً إحيائياً ضمن صورته الأولى، أما إذا كان حضور النص الغائب في النص الراهن حضور منافرة وحوار فإنّ النص الراهن يحاول بالتناص ومن خلال الهدم وإعادة البناء تجاوز النص الغائب ومزاحمته ومنافسته له في سبيل الاستقلالية والتفرّد، وتكون وظيفة النص الراهن – حينذاك – استلهام التراث استلهاماً توظيفياً ضمن صورة

---

[1] – البقاعي، د. محمد خير، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1998م، ص38.

[2] – الصبيحي، د . محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص100.

[3] – المرجع السابق، ص101.

[4] – خطابي، محمّد، لسانيات النص، ص 315 – 316.

مختلفة عن صورته الأولى ومعّبرة عن زمن إنجاز النص الراهن، وهكذا تكون هذه الصلة بين النصين اتصالية من جهة وانفصالية من جهة أخرى، والصلة بين النصين صلة اللاحق بالسابق، فالسابق هو الأصل (النص الغائب) واللاحق هو التابع"[1]. ولعلّ ذلك هو الدافع الأكبر وراء إدراجنا التناص ضمن هذه الدراسة، فهو يتقاطع مع الإحالة في هذه الناحية، فكما أن الإحالة تربط سابق بلاحق، أو بالعكس فكذلك التناص. و"تأتي أهمية التناص من أنه يمثّل عملية إثراء و إغناء للنصوص بعضها بعضاً بقيم دلالية وشكلية متعددة ومتنوعة، كما يمثّل تحرراً وانعتاقاً للمبدع نفسه من قيود الثقافة الواحدة، ومن قيد الزمان والمكان، إنه معانقة أجواء أخرى أكثر رحابة ومساحة"[2]. "إنّ كل نصّ هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى، إذ نتعرف نصوص الثقافة السالفة والحالية"[3]. وقد قال الإمام علي بن أبي طالب(كرّم الله وجهه): "لولا أنّ الكلام يُعاد لنفد"[4].

وللتناص في البخلاء نوعان: تناص داخلي أو ذاتي و تناص خارجي. "**فالتناص الداخلي:** هو حوار يتجلّى في توالد النص وتناسله، وتناقش فيه الكلمات المفاتيح أو المحاور، والجمل المنطلقات والأهداف والحوارات المباشرة وغير المباشرة، فهو إعادة إنتاج سابق في حدود من الحرية، وأما **التناص الخارجي** فهو حوار بين نص ونصوص أخرى متعددة المصادر والوظائف والمستويات، واستشفاف التناص الخارجي في نصٍ عملية ليست بالسهلة وعلى الخصوص إذا كان النص مبنياً بصفة حاذقة، ولكنها مهما تسترت واختفت

---

[1] – الموسى، د. خليل، التناص ومرجعياته، مجلة المعرفة، تصدر عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، العدد476أيار 2003م، ص112.

[2] – الصبيحي، د. محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 102.

[3] – البقاعي، محمد خير، دراسات في النص والتناصية، ص38.

[4] – ابن رشيق، العمدة،، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت :دار الجيل، ط1، 1981، 91/1.

فإنها لا يمكن أن تخفى على القارئ المطّلع الذي بإمكانه أن يعيدها إلى مصادرها، وإذن فإن هناك نصاً مركزياً يتجلى في النصوص السابقة، ونصوصاً فرعية تتمثّل في النصوص اللاحقة"[1].

2-أشكال التناص: يمكننا التمييز بين شكلين للتناص:

أ-تناص مضموني مباشر. ب- تناص مضموني غير مباشر.

أما التناص المضموني المباشر فقد تعدّدت مصادره في نصوص البخلاء، بما يكشف عمّا تختزنه ذاكرة الكاتب من موروث ثقافي كبير ومتنوع تمثّل في حفظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأشعار والأمثال والأسماء، بما يعبّر عن تواصله الإيجابي مع الموروث الثقافي العربي الذي هيّأ له أرضيّةً خصبةً بنى على أساسها هذا اللّون النّثري. "إنّ وجود تلك الأشكال من المصادر يؤكد على أن أي أديب لا يملك فكاكاً من التأثّر بما سبقه من نصوص مختلفة، وهو في ذلك مسّير، إذ لا يمكن أن يصل بأي حال إلى درجة الاستقلالية التي تؤهله للإبداع والإنتاج دون الاستفادة بالمخزون الثقافي لديه، واستلهام نصوص من التراث يجب أن يدعمه حسّ تاريخي يجعله وهو في زمانه ومكانه الخاص يستشرف آفاق الثقافة في أزمنة وأمكنة مغايرة"[2]. وأما التناص المضموني غير المباشر فيأتي على صورتين: تضمين معنى النص المقتبس بذكر لفظة محورية فيه تدل عليه،أو ذكر مسمى صاحب النص أو الموقف المراد أخذ أو تضمين معناه.

نتائج الفصل الأول:

[1] – عزام، محمد، النص الغائب، ص 30، وانظر: الموسى، د. خليل، التناص ومرجعياته، ص108.

[2] – فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص219.

1-لقد كانت غايتنا عند وقوفنا عند مفهوم الإحالة بين علماء اللغة القدامى وعلماء النص المحدثين، إقامة تأصيل للفكر اللّغوي العربي القديم، محاولين اكتشاف نظرية عربية للإحالة، ووضعها ضمن إرثٍ نظري عربي أصيل، وملامسة أوجه التطابق والتقاطع عند كليهما في التحليل اللغوي من حيث المنهج والمصطلحات.

2-لقد كشفنا عن تطابقٍ شبه تام بين الفريقين رغم ما بينهما من حقب زمنية طويلة،واختلاف السياقات التاريخيّة والحضاريّة والآليّات المساعدة، وهذا فضلاً عن اختلاف الذهنيّة العلميّة التي تقوم بالبحث والاستقصاء والاستنباط والتجريد والتقنين والتفسير وما إلى ذلك،فبينما رأينا ميل المحدثين إلى الكلية والشمولية مال اللغويون القدامى إلى الجزئية في إطار نحو الجملة باستثناء المفسرين الذين عكفوا على النص القرآني في علاجهم للإحالة وأهميتها في تحديد دلالات الآيات وتحكمها بالسياق النّصي الداخلي والمقام التداولي إلى جانب شرّاح الشعر الذين عالجوا الضمائر في فضاء نصّي يتجاوز الجملة إلى النص برمّته، بل قد يتجاوز السياق اللغوي إلى المقام الخارجي.

3-للروابط الإحالية دور مهمّ في تحقيق التماسك بين أجزاء النص كما تكشف عن مواضع الغموض والتعمية.

4-كانت الأسس المعرفية للإحالة حاضرةً في الدرس اللساني القديم وخاصة عند البلاغيين والمفسرين وشرّاح الشعر .

5-درس علماء العربية القدامى من نحاة ومفسرين ونقاد وشرّاح الشعر وغيرهم الإحالة في شتى مستوياتها: الداخليّة والخارجيّة، وأنواعها القبليّة والبعديّة، وبذلك لم يكونوا بعيدين عن علماء النص المحدثين في درسهم للإحالة.

6-مبحث الإحالة واسع يشمل الإحالة النحوية داخل الجملة، ويشمل تعلق الجمل بعضها ببعض وهو ما يسّمى بالإحالة النصية.

7–لموضوع الإحالة قسمان: إحالة داخلية بين عناصر النص، وإحالة خارجية تكون علاقة النص أو بعض عناصره ذات علاقة مع السياق الخارجي.

8–كل جملة تحمل قيمة إحالية لأنها تختصر كلاماً كثيراً أو تحيل إلى جزء من النص أو إلى جملٍ أو كلامٍ كثير.

9–للإحالة دورٌ فعّال في تحقيق الربط، والتعويض، والاختصار والانسجام أو التماسك المعنويّ بين العناصر المتباعدة في نص ما.

10–التماسك بين أجزاء النّص لا يمكن أن يحدث إلّا إذا تحقّقت الفائدة عند المتلقي أو المخاطب، وهذه الفائدة قد ترتبط بمرجع خارجي لا يمكن معرفته إلا من خلال السياق المقامي الذي يجري فيه الحديث، فدون السياق نقف عاجزين أمام تفسير مايقال.

11–يتقاطع التناص مع الإحالة في عقده للصلة والربط بين نصيّن، الأول غائب وهو (الأصل) والثاني لاحق وهو (التابع)، فتكون الصلة بذلك صلة للاحق بالسابق.

الفصل الثاني

الإحالة الخارجيّة في نصوص البخلاء

المبحث الأول: السياق التاريخي.

المبحث الثاني: السياق الاجتماعي.

المبحث الثالث: السياق اللّغوي.

المبحث الرابع: سياق الموقف.

بعد العرض النّظري السابق للإحالة الخارجية نأتي إلى الأمثلة التطبيقيّة التي رُصدت في نصوص البخلاء للجاحظ حسب السياقات المختلفة:

1-السياق التاريخي:

ومن أمثلة **الإحالة الخارجيّة** التي تندرج ضمن السياق التاريخي نورد أمثلةً من نصوص البخلاء:يقول الجاحظ:" المخطراني: الذي يأتيك في زيّ ناسك، ويريك أنّ بابك قد قوّر لسانه

من أصله لأنه كان مؤذّناً هناك"[1]. فالإشارة الظرفية (هناك) أحالت إلى المكان الذي كان يؤّذن فيه للصلاة وهو المسجد القائم في قرية أو بلدة فأحالت بذلك إحالة خارجيّة إلى حقبة زمنية ساد فيها الإسلام.

ومن ذلك قول الجاحظ:" فلمّا كثر الأمر في ذلك قال: أظن الذي دعا صاحبك إلى ما قال أنّه عربي وأنا مولى، فإن جعلتَ شفعاءك من الموالي أخذتُ هذا المال، وإن لم تفعل فإنّي لا آخذه، فجمع الثقفي كل شعوبيّ بالبصرة حتى طلبوا إليه حتى أخذ المال"[2]، الضمير في (قال) يعود إلى أبي سعيد المدائني، والضمير في (صاحبك) يعود إلى رجل ثقيف المعرّض، والإحالة هنا خارجيّة فهمت من السياق، ويظهر السياق هنا مكانة الشعوبيّة في ذلك المجتمع وكثرتهم، وعكس أيضاً رفعة شأنهم من خلال اشتراط أبي سعيد المدائني أخذ المال بشفاعتهم ورفضه أخذ المال بدون شهادتهم وحضورهم، وبيّن أيضاً مكانة العرب الوضيعة في ذلك الوقت إذ جمع رجل ثقيف كل شعوبي في البصرة نزولاً عند رغبة المدائني، وبعد حضورهم وإلحاحهم عليه في قبول المال أخذه.

ومن أمثلة الإحالة الخارجية ضمن السياق التاريخي قول الجاحظ: "وممّا يدلّ على أنّ الروم أبخل الأمم أنّك لا تجد للجود في لغتهم اسماً، يقول: إنّما يسمّي الناس ما يحتاجون إلى استعماله، ومع الاستغناء يسقط التكلّف، وقد زعم ناسٌ أنّ ممّا يدلّ على غش الفُرْس أنّه ليس للنصيحة في لغتهم اسم واحد يجمع المعاني التي يقع عليها هذا الاسم، وقول القائل: (نصيحة) ليس يراد به سلامة القلب، فقد يكون أن يكون الرجل سليم الصدر، ولم يُحدث سببٌ من أجله يقصد إلى المشورة، وحملك بالرأي على الصواب، فللنصيحة عندهم أسماءٌ مختلفة، إذا اجتمعت دلّت على مايدلّ عليه الاسم الواحد في لغة العَرب، فمن قضى عليهم بالغش من هذا الوجه فقد ظلم"[3] فهنا أحال الضمير في (يقول) إلى طاهر الأسير الذي سمع الجاحظ منه هذا الحديث، والضمائر في (يقصد، رأيه، لغتهم، عندهم) تحيل إلى صاحب الثريدة البلقاء الذي كان يفتنّ في الحزم والعزم، والضمائر في (عليك، عليك، فيك، نفعك) تحيل إلى الجاحظ، أما الضمير في (عندهم) فيحيل إلى العرب، والإحالات هنا كلّها خارجية وقد فهمت من السياق وجاءت في معرض المفاخرة بكرم العرب وذمّ الموالي من فُرسٍ وروم. ومن أمثلة الجاحظ نذكر: "فمتى تعجب فاعجبْ من خمسين رجلاً من العرب فيهم أبو رافع الكِلابي، وهو شاعرٌ بذِيّ، يفطرون عند أبي عثمان الأعور، فإفطاري من طعام نصرانيّ

---

[1] - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البخلاء، قدّم له وحققّه: الشيخ: محمد سويد، راجعه: مصطفى قصّاص، دار إحياء العلوم، بيروت: د. ط ود. ت. ص 86، حديث خالد بن يزيد، وبابك هو بابك الديلمي الخارج على الخليفة العباسي المعتصم.
[2] - المصدر السابق، قصة أبي سعيد المدائني(بخيل عزيز النفس) ص217.
[3] - الجاحظ، البخلاء، الرجوع إلى أحاديث البخلاء(لا يعرف لفظة الجود)، ص294.

أشدّ من إفطاري من طعام مسلم يقرأ القرآن ويقول الحقّ"[1] أحال هنا الضمير في (تعجب) إلى أحد ضيوف الباسياني الذين كانوا يتعشون عنده، والضمائر في (إفطاري، إفطاري) تحيل إلى المكيّ، وذكر العرب هنا جاء في معرض التفاخر بكرمهم وذمّ الفُرس ولو كانوا من المسلمين، فهو يفضّل الإفطار من طعام نصرانيّ على أن يفطر من طعام مسلم يقرأ القرآن تعريضاً بالحاضرين من الضيوف وتذكيراً لهم بمنّته عليهم كما كان يفعل الباسياني، إذ كان يقرأ الآية(إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً)[2]. ومن الإحالة الخارجيّة قول الجاحظ:" فبينا أنا جالسٌ ذات يوم، إذ أنا بأصوات ملتفّة على الباب، وإذا صاحبي ينتفي[3] ويعتذر، وإذا الجيران قد اجتمعوا إليه وقالوا: ما هذا الثّلط[4] الذي يسقط من جناحك، بعد أن كنا لا نرى إلا شيئاً كالبعر من يبس الكعك، وهذا ثلط يعبّر عن أكل غضّ، ولولا أنك انتجعت[5] على بعض من تستر وتوارى لأظهرته. . . . قال عبد النور: هذه والله القِيافة، ولا قِيافة بني مُدلج، إنّا لله! خرجت من الجنة إلى النار، وقلتُ: هذا وعيدٌ وقد أعذَرَ من أنذرَ، فلم أظنّ أنّ اللؤم يبلغ ما رأيتُ من هؤلاء، ولا ظننتُ أنّ الكرمَ يبلغ ما رأيتُ من أولئك"[6]، أحال هنا الاسم الموصول (من) والضمائر في (تستر، توارى) إلى عبد النور، والضمير في (أظهرته) يحيل إلى رجل من شقّ بني تميم، واسم الإشارة (هؤلاء) يحيل إلى جيران الرجل التميمي واسم الإشارة (أولئك) يحيل إلى العرب الذين استخفى عندهم عبد النور وأحسنوا معاملته وإكرامه وهم (عبد القيس) والإحالات كلّها خارجية فهمت من السياق، والسياق جاء هنا في معرض الدفاع عن العرب وامتداح مذهبهم في الكرم وذمّ الأعاجم (الجيران) الذين أساؤوا معاملة (عبد النور) وما دلّنا على ذلك تصريحه بذكر (العرب).

وكذلك قول الجاحظ:" والشعوبيّة والآزادمرديّة المبغضون لآل النبيّ (ص) وأصحابه ممّن فتح الفتوح، وقتل المجوس، وجاء بالإسلام، تُزَيّد في جشوبة عيشهم[7]، وخشونة ملبسهم، وتُنقص من نعيمهم ورفاغة عيشهم[8]، وهم من أحسن الأمم حالاً مع الغيث، وأسوئهم حالاً إذا خفّت السحاب"[9]، أحالت هنا الضمائر في (تُزَيّد، تُنقص) للشعوبية

---

[1] - المصدر السابق، (يطعمهم لوجه الله)، ص296.
[2] - سورة الإنسان، الآية 3.
[3] - ينفي التهمة عن نفسه.
[4] - الثّلط: السلح الرقيق.
[5] - المراد هنا وقعت أو ظفرت.
[6] - الجاحظ، البخلاء، (الكنانيّ والخابية)، ص303,
[7] - جشوبة: غلاظة العيش وخشونته.
[8] - الرفاغة: سعة العيش.
[9] - الجاحظ، البخلاء، ضروب الطعام عند العرب، ص342.

والآزادمرديّة، والضمير (هم) يحيل إلى العرب، والشعوبيّة قومٌ يصغّرون من شأن العرب ولا يفضّلونهم على العجم، والآزادمرديّة نسبة إلى ازادمرد (وهو الرجل الحر) وهي طائفة شديدة التعصّب للفُرس، فهنا يدافع الجاحظ عن مذهب العرب في الكرم أمام انتقاص الأعاجم منهم وحطّهم من شأنهم، وساق الجاحظ الأدلة والبراهين مَدافعاً عن العرب، محاولاً إقناع خصومه ببطلان رأيهم فقد قال بعد ذلك مباشرة:" وإذا نظرتَ في أشعارهم علمتَ أنّهم قد أكلوا الطيّبَ وعرفوه، لأنّ النّاعم من الطعام لا يكون إلّا عند أهل الثراء وأصحاب العيش، فقال زياد بن فيّاض، يذكر الدرمك، وهو الحواريّ. . . . "[1].

ومن ذلك قول الجاحظ : "فبينا أنا أتعجب في نفسي، وأسأل الله، جلّ ذكره، العافية والستر، إذ دخل شيخٌ من أهل مرو، فنظر إلى العود فقال: يا أبا فلان فررت من شيء ووقعت في شيء، أما تعلم أنّ الريح والشمس تأخذان من سائر الأشياء؟ أوليسَ قد كان البارحة عند إطفاء السراج أروى، وهو عند إسراجك الليلة أعطش؟ قد كنت أنا جاهلاً مثلك! اربط، عافاك الله، بدل العود إبرة أو مِسلّة صغيرة، وعلى أن العود والخِلال والقصبة ربما تعلّقت بها الشعرة من قطن الفتيلة إذا سوّيناها بها فيشخص لها، وربما كان ذلك سبباً لانطفاء السراج. . . ففي تلك الليلة عرفتُ فضل أهل خراسان على سائر الناس، وفضل أهل مرو على سائر أهل خراسان"[2].

فهنا أحالت الضمائر في (أنا، أتعجبُ، نفسي، عرفتُ، أسألُ) إلى خاقان بن صبيح الراوي، والإحالة هنا خارجيّة، وقد ساقها الجاحظ على لسان خاقان بن صبيح في معرض ذمّ بخل أهل خراسان، ولا سيما أهل مرو منهم، فالتعريض هنا ببخل الفرس، يحاول الجاحظ تعريتهم أمام المجتمع ويدفع التهمة عن العرب.

ومن ذلك قول الجاحظ:". . . ثمّ نظر إليّ وأنا أنظرُ إليه، فقال: يا هناه أنا رجل حسن الأكل، لا آكل إلّا طيّب الطعام، وأنا أخاف أن تكون عينُكَ مالحة، وعين مثلك سريعة، فاصرف عنّي وجهك، قال: فوثبتُ عليه، فقبضتُ على لحيته بيدي اليسرى، ثمّ تناولتُ الدجاجة بيدي اليمنى"[3]، أحالت الضمائر في قوله(قال، أخاف) إلى الشيخ الأهوازي الذي كان يركب السفينة مع رمضان، وأحالت الضمائر في(اصرف، قال، وثبتُ، قبضتُ، تناولتُ) إلى رمضان، وهنا أراد الجاحظ أن يؤكد بخل الفرس وحقدهم على العرب من خلال معاملة

[1] - المصدر السابق، ص343.
[2] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان (الشيخ المروزي وعود المسرجة)، ص 42.
[3] - الجاحظ، البخلاء، (رمضان والشيخ الأهوازي)، ص226.

هذا الأهوازي لرمضان، ومايؤكد ذلك قول الأهوازي لرمضان (عينُ مثلك سريعة) أراد العرب وانتقاص شأنهم.

ومن أمثلة الإحالة الخارجية أيضاً قول الجاحظ:" وهذا وشبهه إنّما يطيب جداً إذا رأيت الحكاية بعينك"[1]. فأحالت هنا كلمة (شبهه) على حكايات البخلاء الماضية التي تشبه القصة التي يرويها، وهي قصة أبي جعفر الطرسوسي فعقد الجاحظ بالإحالة الخارجية مقارنة بينهما. ومن أمثلة الإحالة الخارجية قول الجاحظ: "فما رأينا عربيّاً سفّه حلْم حاتم بجوده بجميع ماله، ولا رأينا أحداً منهم سفّه حِلمَ كعبٍ على جوده بنفسه، بل جعلوا ذلك من كعبٍ لإياد مفخَراً، وجعلوا ذلك من حاتم لطيء مأثرة، ثمّ لعدنان على قحطان، ثمّ للعرب على العجم، ثمّ لسكان جزيرة العرب، ولأهل تلك التربة على سائر الجزائر والترب"[2]، أحال الضمير في (رأينا) إلى أبي العاص بن عبد الوّهاب مرسل الرسالة، وأحال الضمير في (منهم، جعلوا) إلى العرب فالإحالة هنا خارجية وقد جاءت في معرض الدفاع عن العرب والافتخار بكرمهم، وذمّ بخل الأعاجم والحطّ من شأنهم.

2- السياق الاجتماعي:

ومن أمثلته في الإحالة الخارجية قول الجاحظ:" سألت أن أكتب لك علّة خبّابٍ في نفي الغيرة، وأنّ بذل الزوجة داخل في باب المواساة والأثرة، وأنّ فرج الأمَة في العارية كحُكم الخدمة، وأنّ الزوجة في كثيرٍ من معانيها كالأمَة، وأنّ الأمَة مالٌ كالذهب والفضة، وأنّ الرجل أحقّ ببنته من الغريب وأولى بأخته من البعيد، وأنّ البعيد أحقّ بالغَيْرة والقريب أولى بالأنفة، وأنّ الاستزادة في النسل كالاستزادة في الحرث، إلّا أنّ العادة هي التي أوحشت منه والديانة هي التي حرّمته، ولأنّ الناس يتزيّدون أيضاً في استعظامه وينتحلون أكثر ممّا عندهم في استشناعه.... ومذهب صحصح في تفضيل النسيان على كثيرٍ من الذكر، وأنّ الغباء في الجملة أنفع من الفطنة في الجملة، وأنّ عيش البهائم أحسن موقعاً من النفوس من عيش العقلاء"[3]، أحالت الضمائر هنا في(سألتَ، لك) إلى عظيم من عظماء الأمة كما أشار الجاحظ إلى ذلك في مقدمة كتابه، والراجح أنّه واحدٌ من ثلاثة هم: محمد بن عبد الملك الزيّات وزير المعتصم، أو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، أو ابن المدبّر، بحكم الصداقة والصلة القويّة بينهم وبين الجاحظ. وخبّاب هذا مجهول السيرة والراجح من السياق أنه داعٍ من دعاة المزدكيّة وهي مذهب يقول بالنور والظلمة، ويبيح النساء والأموال لجميع الناس، وقد كان الجاحظ مطّلعاً على المانويّة والمزدكيّة وجميع المذاهب التي سبقته والتي ظهرت

[1] - المصدر السابق، قصة أبي جعفر الطرسوسي، ص 97.
[2] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص241.
[3] - المصدر السابق، المقدمة (ربّ أنعمت فزد)، ص22-23.

في عصره، وذكر شيئاً من معتقدات المزدكيّة كإباحة فرج الأمَة لسيدها ولمن أعاره إياها لخدمته دون مقابل، وأحقيّة الرجل بابنته وأخته من الغريب، وتحديد النسل في الديانة، وفي قوله (صحصح) أحالنا الجاحظ إلى داعٍ من دعاة إحدى الفرق، يمجدّ النسيان والغباء وهو من المتكلمين الذين يقولون بدخول الحيوانات الجنة، فالسياق هنا اجتماعي عكس لنا بعض المعتقدات الدينيّة التي كانت سائدة في عصر الجاحظ عند بعض الفرق والطوائف.

ومن أمثلة الإحالة الخارجية قول الجاحظ:" فلستم عليّ تردون، ولا رأيي تفنّدون، فقدّموا النظر قبل العزم، وتذكّروا ما عليكم قبل أن تذكروا ما لكم، والسّلام"[1]. فهذا القول ساقه الجاحظ على لسان سهل بن هارون في رسالة بعثها إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه حين ذمّوا مذهبه في البخل في وقت مضى، فأحال الاسم الموصول في قوله (ما عليكم) إلى ما يترتّب عليهم من حقوق وواجبات اتجاهه، والإحالة هنا خارجيّة، فالرسالة عرضت ما لهم من حقوق على سهل بن هارون، والإحالة استدعت في الأذهان ما عليهم من هذه الحقوق.

ومنها قول الجاحظ: "فقال له قائل: السَنة وبئة والأمراض فاشية، وأنت عالم، ولك صبر وخدمة، ولك بيان ومعرفة، فمن أينَ تُؤتى في هذا الكساد؟ قال: أما واحدة فإني عندهم مسلم، وقد اعتقد القوم قبل أن أتطّببَ، لا بل قبل أن أخلقَ، أنّ المسلمين لا يفلحون في الطّب، واسمي أسد، وكان ينبغي أن يكون اسمي صليبا وجبرائيل ويوحنا وبيرا[2]، وكنيتي أبو الحارث، وكان ينبغي أن تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو إبراهيم..."[3]، فقد أحال الجاحظ في الضمائر(أنتَ، قال، إنّي، أتطبّبُ، أخلقُ) إلى طبيب يُدعى أسد بن جاني وقد شكا الكساد في زمنه لوجوده بين من يدينون النصرانيّة، وهو مسلم، ويعكس السياق الدور الذي كانت تؤديه هذه الطائفة في ذلك الوقت من حيث السعة والنفوذ والإحالة خارجيّة.

ومن الإحالة الخارجيّة قول الجاحظ:" وأتى ضيعةً له يتنزّه إليها، ومعه خمسة رجالٍ من خاصته، وقد حملوا معه طعام خمسمائة، وثُقُل عليه أن يأكلوا معه، واشتدّ جوعُه، فجلسَ على مشارة بقل[4]، فأقبل ينتزع الفجلة.... ثمّ يأكلها من غير أن تُغسل، من كلَب الجوع، ويقول لواحدٍ منهم، كان أقربَ الخمسة إليه مجلساً: لو قد ذهبَ هؤلاء الثقلاء لقد أكلنا"[5]، أحالت الضمائر في قوله (يتنزّه، معه) إلى الأمير، والمعنى فُهم من السياق السابق (بيضة العقر)، وهي تعكس سخرية الجاحظ من بخل الأثرياء، فقد نعت الأمير (يأكلها من غير أن تغسل من كلب الجوع) والإحالة هنا خارجية.

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه، ص38.

[2] - بيرا: بطرس.

[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني، ص160.

[4] - مشارة بقل: البقعة التي تزرع من الأرض.

[5] - المصدر السابق، قصة الأصمعي(لا يأكل لئلا يُطعم)، ص233.

ومن ذلك قول الجاحظ: "وجاء مرّةً أبو همّام السّنوط، يكلّمه في مرمّة داره التي تطوّع ببنائها في رِباط عَبّادان[1]، فقال: ذكّرتني الطعنَ وكنتُ ناسياً، قد كنتُ عزمتُ على هدمها حين بَلَغَني أنّ الجبريّة[2] قد نزلتها، قال: سبحان الله! تهدم مكرُمة وداراً قد وقفتها للسّبيل؟[3] قال: فتعجبُ من ذا؟

قد أردتُ أن أهدم المسجد الذي كنتُ بنيتهُ ليزيدَ بن هاشم حين ترك أن يبنيَه في الشارع، وبناه في الرّائغ[4]، وحين بلغني أنّه يخلط في الكلام، ويعين الشمريّة[5] على المعتزلة[6]" [7]، أحالت هنا الضمائر في قوله (فقال، ذكرتني، كنتُ، كنتُ، عزمتُ، أردتُ، أهدمَ، بنيته، بلغني) إلى ثمامة بن أشرس، وأحال الضمير في (قال) مرّةً إلى أبي همّام السّنوط ومرةً إلى ثمامة، والإحالات هنا خارجيّة فهمت من السياق، وقد ألمح الجاحظ على لسان ثمامة إلى بعض المعتقدات التي كانت سائدةً في عصره، ودفاع الجاحظ عن معتقده ومذهبه في الاعتزال، فثمامة في هذا السياق يسوق التبريرات لأبي همّام السّنوط عن تأخره في ترميم دارٍ يرابط بها المقاتلون على نهر دجلة ويلازمون ثغر العدو، وقد كان بدأ العمل بها، فبيّن ثمامة أنّ تأخره في الترميم كان لغاية، فهو يريد هدم الدّار بعد أن بلغه أنّ (الجبريّة) قد نزلت بها وهي فرقة دينيّة، وعندما تعجّب أبو همّام من عمله ونيته هدم هذا الدار وهو مكرمة في سبيل الله أجابه ثمامة مُدافعاً عن نفسه (فتعجبُ من هذا!) إنّني عقدت العزم على أن أهدم مسجداً كنت بنيته ليزيد بن هاشم حين ترك أن يبنيه قرب الطريق وبناه في مكان مائلٍ عنه، وذلك حين علمتُ أنه لا يستقر على مذهب معيّن ويدين (الشمريّة) على المعتزلة، ويتضح من السياق دفاع ثمامة عن مذهبه في الاعتزال وتعصبه له، ومن ثمّ دفاع الجاحظ عن المعتزلة بروايته للنادرة.

ومن أمثلة الإحالية الخارجيّة قول الجاحظ:"وابن القعقاع عربيّ كرِه لمولاه أن يرغب عن طعام العرب إلى طعام العجم، وأراد دوام قومه على مثل ما كانوا عليه، وعلى أن التّرفة[8] تفنخهم[1] وتفسدهم وأنّ الذي فُتح عليهم من باب الترّفة أشدّ عليهم ممّا أغلق عليهم

---

[1] - رباط عبّادان: مكان المرابطة وملازمة ثغر العدو، وعبادان جزيرة يحيط بها نهر دجلة.

[2] - الجبريّة: فرقة تقول بأنّ الإنسان مجبر على عمله لا مخيّر، وهي تنسب إلى الحسين بن محمد البصري.

[3] - للسبيل: أي في سبيل الله وطاعته.

[4] - الرّائغ: المائل عن الطريق.

[5] - الشمريّة: لعلها نسبة إلى أحد متكلّمي المرجئة وقد وردت في نسخة أخرى (البشرية) نسبة إلى بشر المريسي أحد متكلمي المرجئة الذي كان يقول: إن أدخل الله أصحاب الكبائر النار فإنهم سيخرجون منها بعد ان يعذبوا بذنوبهم، وأما التخليد في النار فمحال وليس بعدل.

[6] - المعتزلة: من القدرية: زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلال عندهم أهل السنة والخوارج، أو سمّاهم به الحسن البصري حين اعتزله واصل بن عطاء من أجل مسألة المنزلة بين المنزلتين، وأخذ يدرّس أتباعه في ناحية من المسجد فقال الحسن: (اعتزل واصل عنّا).

[7] - الجاحظ، البخلاء، (ثمامة وطالبا الدجاجة)، ص314.

[8] - التّرفة: النعمة.

من باب فضول اللّذة"[2]. أحال الاسم الموصول (الذي) إحالة خارجيّة إلى أصناف الطعام الذي كانوا يأكلونه.

ومن الإحالة الخارجيّة قول الجاحظ أيضاً:" كان ابن العقدي ربّما استزار أصحابه إلى البستان، وكنت لا أظنّه ممّن يحتمل قلبه ذلك على حال"[3]، أحال هنا الاسم الموصول (من) إحالة خارجيّة إلى البخلاء.

3-السياق اللّغوي: ومن أمثلتة في الإحالة الخارجيّة في نصوص البخلاء: "الناسُ لم يقولوا: هذا رأس الأمر، وفلانٌ رأس الكتيبة، وهو رأس القوم، وهم رؤوس الناس وخراطيمهم وأنفهم، واشتقوا من الرأس االرياسة والرئيس، وقد رأسَ القومَ فلان، إلاّ والرأسُ هو المثل وهو المقدّم وكان إذا فرَغ من أكل الرأس عمد إلى القحف وإلى اللحيين"[4]. فهنا نرى كلمة "رأس" كيف جاءت في سياقات لغوية متعدّدة وفي كل سياق اكتسبت معنىً جديداً دلالياً فرضه عليها السياق، وهذه المعاني تنوعت بين أن تدل كلمة رأس على المهم، والقائد، والكبير، والوجهاء، والسلطة، والرئيس، والرأس الحيواني الذي يؤكل..

ومن ذلك قول الجاحظ: "فلمّا أن نظرَ ثُمامة إلى الثريدة مكشوفة القناع، مسلوبة عارية، واللّحم كلّه بين يدَيه، وبين يدي ابنه، إلّا قطعة واحدة بين يديه، تناولها فوضعها قُدّام إبراهيم ابنه، فلم يدفعها، واحتسب بها في الكرامة والبرّ"[5].

أحال الضمير في (يديه) الأولى إلى قاسم التمّار، والضمير في (يديه) الثانية إلى ثمامة والإحالة خارجية فُهمت من السياق اللاحق (تناولها فوضعها قدّام إبراهيم ابنه).

4- سياق الموقف: ومن أمثلته في الإحالة الخارجيّة قول الجاحظ: "أسألكم بالذي لا شيء أعظم منه، أنا الساعة أيسرَ وأغنى أو قبل أن تأكلوا طعامي"[6]. فهنا أحال الاسم الموصول (الذي) إحالة خارجية إلى ذات الله عز وجل وهي واقعة خارج النص اللغوي. فهنا دلّ السياق على أن المتكلم يحمل السامع على القسم بالذات الإلهية التي دلّت عليها عبارة (لا شيء أعظم منه). ومن أمثلة الإحالة الخارجية قول الجاحظ: "واعتلال البخيل بالحِدْثان، وسوء الظن بتقلب الزمان، إنما هو كناية عن سوء الظن بخالق الحدثان، وبالذي يُحدث الأزمان وأهل الزمان"[7]. فقد أحال الاسم الموصول (الذي) إحالة خارجية إلى الله عز وجل، وهذا ما فُهم

---

[1] - الفنخ: ارتخاء المفاصل وضعفها.
[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحارثي، ص121.
[3] - المصدر السابق، قصة ابن العقدي، ص198.
[4] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني، ص168.
[5] - المصدر السابق، الرجوع إلى أحاديث البخلاء(أسخى الناس على طعام غيره)، ص299.
[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة أحمد بن خلف، ص 73.
[7] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص244.

من السياق من خلال عبارة (خالق الحِدْثان ويحدُث الأزمان وأهل الزمان). وكذلك أكدّ ذلك ما لحقها من قول "وهل تجري الأحداث إلاّ على تقدير المحُدِث لها وهل تختلف الأزمنة إلاّ على تصريف من دبّرها؟ أولسنا وإن جهلنا أسبابها، فقد أيقنا بأنها تجري إلى غاياتها"[1]. ففي هذا النص أيضاً أحال الضمير المتصل في (دبّرها) إلى الخالق عزّ وجل وإن لم يُصرّح باسمه، والسياق السابق واللاحق هو الذي أرشدنا إلى هذه الإحالة الخارجية.

ومن ذلك قول الجاحظ: "فأقبل عليهم شيخٌ فقال: هل شعرتم بموت مريم الصّناع؟ فإنها كانت من ذوات الاقتصاد وصاحبة إصلاح، قالوا: فحدّثنا عنها، قال: نوادرها كثيرة وحديثها طويل، ولكنّي أخبركم عن واحدة فيها كفاية"[2]، فهنا أحال الضمير في (عليهم) إلى أهل البصرة من المسجديين الذين عرّف الجاحظ بهم في مطلع حديثه عن نوادرهم، وسمّاهم أهل الجمع والمنع، والإحالة هنا خارجية فهمت من السياق.

ومن ذلك قول الجاحظ: "اعلموا أنّي لم ألتمس بهذه الأحاديث عنه إلّا موافقته وطلب رضاه ومحبّته"[3]، أحالت الضمائر في (عنه، موافقته، رضاه، محبته) إلى صاحب القصة وهو أحمد بن خلف، والإحالة هنا خارجية فهمت من السياق.

ومن ذلك قول الجاحظ: "قالوا: وإنّك لتعرف المُكدين؟ قال: وكيف لا أعرفهم؟ وأنا كنت.... وإنما أراد بهذا أن يوئسهم من ماله، حين عرف حِرصهم وجشعهم وسوء جوارهم"[4]، أحال الضمير في قوله (أراد) إحالة خارجية إلى خالد بن يزيد الذي يسوق حديثاً عنه في البخل والتكدية وجمع المال.

ومثال عليه قوله: "وهو الذي قال لابنه عند موته: إنّي تركتُ لك ما تأكله إن حفظته، ومالا تأكله إن ضيّعته"[5]، أحال هنا الاسم الموصول (الذي) إلى خالد بن يزيد الذي كان يوصي ابنه بالبخل عند موته والإحالة خارجيّة. ومثالها قول الجاحظ:" فلمّا صار المنزل نظر إلى جرّة خضراء معلّقة، قال: أيّ شيء في هذه الجرّة؟ قالوا: ليس اليومَ فيها شيء، قال: فأيّ شيء كان فيها قبل اليوم؟ قالوا: سمن، قال: وما كان يصنع به؟ قالوا: كنّا في الشتاء نلقي له في البُرمة[6] شيئاً من دقيق نعمله له، فكان ربّما برّقه[7] بشيء من سمن.... "[8]، أحالت

---

[1] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص 244.
[2] - المصدر السابق، قصة أهل البصرة من المسجديين (مريم الصناع وحسن تدبيرها)، ص57.
[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة أحمد بن خلف، ص74.
[4] - المصدر السابق، حديث خالد بن يزيد، ص78.
[5] - المصدر السابق، حديث خالد بن يزيد، ص79.
[6] - البُرمة: قدر من حجارة.
[7] - برّقه: من برق الأدم بالزيت والدسم أو السمن، يبرقه برقا وبروقاً: جعل فيه شيئاً يسيراً وهي البريقة.
[8] - الجاحظ، البخلاء، حديث خالد بن يزيد، ص86.

هنا الضمائر في قوله (صار، نظر، قال) إلى الغلام الذي كان يوصيه أبوه قبل موته بالبخل وهو خالد بن يزيد، وأحال الضمير في (قالوا) إلى أهل بيته لأنه دخل المنزل بعد موت أبيه ليستكشف ماترك، وأحال الضمير في قوله (يصنع، كان، له) إلى أبيه (خالد بن يزيد) والإحالات هنا خارجيّة فهمت من السياق. ومنها قول الجاحظ: "وقلتُ له مرّةً: أعلمتَ أنّ خبز البلدي ينبُت عليه شيء شبيه بالطين والتراب والغبار المتراكم؟"[1]، أحال الضمير في (قلتُ) إلى الجاحظ، والقول موجّه إلى الحزامي والإحالة خارجيّة. ومنها كذلك قوله: "واستسلفَ منه علي الأسواري مائة درهم، فجاءني وهو حزين مُنكسر، فقلتُ له: إنما يحزن من لا يجد بُدّاً من إسلاف صديق"[2]، أحال الضمير في (استسلف) إلى الحزامي، أما في (جاءني) فيحيل إلى الجاحظ الراوي.

ومن الإحالة الخارجية قول الجاحظ: "وكنّا مرّةً في موضع حشمة، وفي جماعة كثيرة، والقوم سكوتٌ، والمجلس كبير، وهو بعيد المكان منّي، فأقبل عليّ المكي وقال: والقوم يسمعون، فقال: يا أبا عثمان من أبخل أصحابنا؟ قلتُ: أبو الهذيل، قال: ثمّ من؟ قلتُ: صاحبٌ لنا لا أسمّيه، قال الحزامي من بعيد: إنّما يعنيني"[3]، أحال الضمير في (كنّا) إلى الجاحظ إحالة خارجيّة، وقد فُهم ذلك من السياق اللاحق عندما جاء المكيّ وسأله: يا أبا عثمان من أبخل أصحابنا؟ وأحال الاسم (صاحبٌ) إلى الحزامي لأنّ القصة تدور حوله والسياق اللاحق أكّد ذلك عندما قال الحزامي: إنما تعنيني.

ومن ذلك قوله: "ثمّ قال وفي الجارود بن أبي سبرة لكم واعظ، وفي أبي الحارث جُمين زاجر، فقد كانا يُدْعيان إلى الطعام وإلى الإكرام لظرفهما وحلاوتهما وحسن حديثهما وقصر يومهما، وكانا يتشهيان الغرائب، ويقترحان الطرائف، ويكلّفان الناس المؤن الثقال.... فكان جزاؤهم من إحسانهم ما قد علمتم"[4]، أحال هنا الضمير في قوله (علمتم) إلى البخل الذي كان جزاءً لهما والإحالة هنا خارجيّة.

ومنها قول الجاحظ: "وقال عوف بن القعقاع لمولاه: اتخذ لنا طعاماً يُشبع فضلُه أهل الموسم، قلتم: فلمّا رأى الخبز الرّقاق والغلاظ والشواء والألوان.... قال: فهلّا جعلته طعام يد، ولم تجعله طعام يدين، فقلتم: اتسعَ ثمّ ضاق...."[5]، أحال الضمير في (قلتم) إلى علي الأسواري وعيسى بن سليمان بن عليّ عندما وضع الحارثي أمامهم سمكة فأساؤوا الأكل،

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحزامي، ص100.
[2] - المصدر السابق، قصة الحزامي (طمع الناس يجر الإفلاس)، ص101.
[3] - المصدر السابق، قصة الحزامي (لا المفسد ينجو ولا المصلح يسلم)، ص 107.
[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحارثي، ص115.
[5] - المصدر السابق، قصة الحارثي(طعام يد لا طعام يدين)، ص120.

وقد فُهم ذلك من السياق السابق إذ قال: وأنا كيف أؤاكل أقواماً يصنعون هذا الصنيع ثمّ يحتجون له بمثل هذه الحجج، وأحال الضمير في (قال) إلى الحارثي الذي أراد أن ينصح عوف بن القعقاع على مائدة أقامها لهم، وأحال كذلك الضمير في (اتسعَ) إلى الحارثي لأنه أراد إطعامهم الثريد بيد واحدة دون يدين.

ومن ذلك قول الجاحظ:" وأما ما ذكره من الضيف والضّيَفن، فإنّ الضّيفن ضيف الضيف"[1]، أحال الضمير في(ذكره) إلى الحارثي الذي ذكر هذا الكلام زيادةً على ما ذكره أبو فاتك وأتى الجاحظ على تفسيره.

ومن ذلك قوله: "والله ياأخوتي لو رأيتُ رجلاً يفسد طين الردَغة، ويُضيع ماء البحر، لصرفتُ عنه وجهي، فإذا كان أصحاب النّظر وأهل الدّيانة والفلسفة، هذه سيرتهم، وهكذا أدبهم، فما ظنّكم بمن لا يعدّ ما يعدون، ولا يبلغ من الأدب حيث يبلغون"[2]، أحال هنا الحارثي في قوله (أصحاب النّظر وأهل الدّيانة والفلسفة) إحالة خارجيّة إلى علي الأسواري الذي هو في الطبقة السابعة بين متكلمي المعتزلة، وإلى عيسى بن سليمان بن عليّ من أهل الفلسفة، وقد فُهم ذلك من السياق فقد جاء على ذكرهم سابقاً.

ومن ذلك قول الجاحظ: "وقد أريناكم أنّ حكم النازلين كحُكم المقيمين، وأنّ كلّ زيادة فلها نصيب من الغلّة، ولو تغافلتُ لك يا أخا أهل البصرة عن زيادة رجُلين لم أبعِدك، على قدر ما رأيت منكَ..."[3]، أحال الكندي هنا بقوله(أخا أهل البصرة) إلى معبد الذي كان مستأجراً داره واستضاف أقرباء له.

ومن ذلك قول الجاحظ: "قال المدائني: أما ما ذكرتم من انتفاض البدن، فإنّ الذي أخافُ على بدني من الدّعة، ومن قلة الحركة أكثر"[4]، أحال الضمير في (ذكرتم) إلى أصحاب العِينة والبخلاء الذين يتذاكرون الإصلاح وجاء ذكرهم في أول القصة، وقد فهمت الإحالة الخارجيّة من السياق.

ومن ذلك نذكر: "قال: وكان على شُرَطَته عبدُ الرحمن بن طارق، فقال لرجل من الشُّرط: إن أقدمتَ على جَدْي الأمير أسقطتُ عنك نوبة سنة، فبلغه ذلك، فشكاه إلى الحجّاج فعزله وولّى مكانه زياد بن جرير، فكان أثقلَ عليه من عبد الرحمن، ولم يقدر على عزله إذ كان من قبل الحجّاج، فكان المغيرة إذا خطَبَ قال: ياأهل الكوفة من بغاكم الغوائل وسعى بكم

---

[1] - المصدر السابق، تفسير كلام أبي فاتك، ص 125.
[2] - المصدر السابق، تفسير كلام أبي فاتك، ص128. الردَغة: الطين والوحل الشديد.
[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي (شروط الكندي على سكّان داره)، ص141.
[4] - المصدر السابق، قصة أبي سعيد المدائني (يسافر ونعله في يده وسراويله في كمه)، ص210.

إلى أميركم، فلعنه الله ولعن أمّه العوراء، وكانت أم زياد عوراء"[1]، أحالت هنا الضمائر في قوله (بلغه، شكاه) إلى المغيرة، وأحالت في قوله (بغاكم، سعى، لعنه، أمه) إلى زياد بن جرير، والإحالة هنا خارجيّة فُهمت من السياق.

ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ: "قال معبد: نزلنا دار الكنديّ أكثر من سنة، نروّج له الكِراء، ونقضي له الحوائج، ونفي له بالشرط، قلتُ: قد فهمتُ ترويج الكراء، وقضاء الحوائج فما معنى الوفاء بالشرط؟ قال: في شرطه على السكان..."[2]. فالضمير في (قلتُ) يحيل إلى الجاحظ فأحال بذلك إحالة خارجية فُهمت من السياق.

ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ:" فهذه الخصال المذمومة كلّها فيكم، وكلّها حجّة عليكم، وكلّها داعيةٌ إلى تُهمتكم وأخذ الحذر منكم، وليست لكم خصلة محمودة، ولا خلّة فيما بيننا وبينكم مرضيّة"[3]، أحالت الضمائر هنا في (فيكم، عليكم، تهمتكم، منكم، لكم، بينكم) إلى مستأجري دار الكندي، والإحالة هنا خارجيّة دلّ عليها السّياق.

ومنها قول الجاحظ: "وقد رأيته أنا زماناً من الدهر، ما رأيته قطّ إلّا ونعله في يده أو يمشي طول نهاره في نعل مقطوعة العَقب"[4]، أحالت الضمائر في قوله (رأيته، أنا) إلى الجاحظ إحالة خارجية والحديث هنا عن الثوري فُهم من السياق.

ومن الإحالة الخارجية قول الجاحظ:" ولا يعجبني هذا الحرفُ الأخير لأنّ الإفراط لا غاية له، وإنما نحكي ما كان في الناس، وما يجوز أن يكون فيهم مثله، أو حجّة أو طريقة فأما مثلُ هذا الحرف فليس ممّا نذكره، وأمّا سائر حديث هذا الرجل فإنه من هذه البابة"[5]، أحالت الضمائر في قوله (يعجبني، نحكي، نذكره) إلى الجاحظ إحالة خارجية فهمت من السياق. ومنها أيضاً قول الجاحظ:" تمشّى قوم إلى الأصمعي مع تاجر كان اشترى ثمرته، لخُسرانٍ كان ناله، وسأله حسن النّظر والحطيطة، أسمعتم بالقسمة الضيزى؟ هي والله ما تريدون شيخكم عليه"[6]، أحال الضمير في (تريدون) إلى القوم، وأحال الضمير في (شيخكم) إلى التاجر، وقد فُهمت من السياق.

ونذكر منها قول الجاحظ: "فقال له إنسان ما أدري من أيّ أمريك أعجب: أمن صبرك على الضحك، وقد أورد عليك ما لا يُصبر على مثله، أم من تركك إعطاءه، وقد كنت عزمت

---

[1] - المصدر السابق، قصة الأصمعي (جدي المغيرة)، ص227.
[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي، ص130.
[3] - المصدر السابق، قصة الكندي (شروط الكندي على سكان داره)، ص141.
[4] - المصدر السابق، قصة أسد بن جلني (يمشي ونعله في يده)، ص162.
[5] - المصدر السابق، قصة ابن العقدي (حديث على وجه الدهر)، ص202.
[6] - المصدر السابق، قصة الأصمعي، ص220.

على إعطائه، وهذا خلاف ما أعرفك به"[1]، أحالت الضمائر هنا في قوله (قال) إلى جعفر بن يحيى إحالة خارجية فهمت من السياق اللاحق، وأحالت الضمائر في (إعطاءه) إلى الأصمعي، وكان جعفر قد طلب من خادمه أن يعطيه كيساً فيه ألف دينار عندما يشاهده يضحك، فعندما لم يعجبه الحال غمز غلامه بأن لا يعطيه المال والإحالة هنا فُهمت من السياق السابق.

ومنها قوله:" وفيما ذكرنا دليلٌ على ما قصدنا إليه من تصنيف الحالات، فإن أردْته مجموعاً فاطلبه في كتاب الشعوبيّة، فإنه هناك مستقصى"[2]، أحال هنا الضمير في قوله (ذكرنا) إلى الجاحظ، والضمائر في(أردته، اطلبه) إلى القارئ، والإحالات خارجيّة فُهمت من السياق جاءت في معرض عرض الجاحظ للطعام الذي يُعاب عند العرب.

ممّا تقدّم تبيّن لنا الدور الذي يؤديه السياق على مستوى الإحالة الخارجيّة، "فأي وحدة لغوية في النص الواقع تحت إطار التحليل تشمل بيئتين:1-البيئة الخارجية في النص (السياق)، وهي تتصل بالنص. 2-البيئة اللغوية المصاحبة للنص، فالتفسير للأداة الضمنية يراد به ما هو خارج النص، ويمكن فقط هذا التفسير من خلال السياق"[3].

وفيما يأتي عرض تحليلي إحصائي لتواتر الإحالة الخارجيّة في نصوص البخلاء عند الجاحظ، وقد رأينا تصنيف نصوص المدوّنة في ثلاثة أصناف :قصص، نوادر، رسائل، أما الرسائل فثلاثة وهي (رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد، ورسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ورسالة ابن التوأم) وأما النوادر: (نوادر أهل خراسان، نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتى، أحاديث البخلاء) وقد اخترنا للنوادر هذه التسمية انطلاقاً من طبيعة أصحابها فهم مغالون في البخل، والجاحظ نفسه نعت بعضهم بأنه أعجوبة في البخل كالغزّال، ونعت بعضهم الآخر بأنه يتجاوز حدّ البخلاء في البخل كسليمان الكثري، ونعت آخر بالبخيل النّفّاج الذي يفتخر بما ليس عنده، وأما القصص فقد رأينا تقسيمها حسب موضوعاتها على النحو الآتي:

1-قصص بخلاء الجمع والمنع وتشمل (قصة أهل البصرة من المسجديين، قصة ليلى الناعطية، قصة ابن العقدي) وقد أطلقنا عليهم هذه التسميّة انطلاقاً من تعريف الجاحظ بهم فقد قال: "اجتمع ناسٌ في المسجد ممّن ينتحل الاقتصاد في النفقة والتثمير للمال، من أصحاب الجمع والمنع" وهو وصفٌ ينطبق على قصة أهل البصرة من المسجديين، وقصة ليلى

[1] - المصدر السابق، الرجوع إلى أحاديث البخلاء (اللسان يكذب والحال لا تكذب)، ص308.
[2] - الجاحظ، البخلاء، ضروب الطعام عند العرب، ص354.
[3] - الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللّغة النّصي بين النظريّة والتطبيق، ص117.

الناعطيّة التي تناولت حجج البخلاء في المنع، وقصة ابن العقدي الذي كان ممّن يثمّر المال فقد قال:" البِشر وقاية دون المال".

2-قصص بخلاء اجتماعية وتشمل: (قصة زبيدة بن حميد) وقد جاءت التسمية من أحداث القصة فهي تدور حول استسلاف زبيدة مالاً من بقّالٍ، واختلافهما على وفاء الدين، وتناولت أيضاً حياة زبيدة الشخصيّة عندما سكر مرّةً وضيّع قميصه بكسوته لصديق له.

3-قصص البخلاء الظرفاء وتشمل (قصة أحمد بن خلف) وقد آثرنا تسميتهم بالظرفاء انطلاقاً من شخصياتهم أنفسهم، فقد عُرفوا بالظرف والمرح والدعابة، وكان الجاحظ قد نعتهم بقوله:" ومن طيّاب البخلاء أحمد بن خلف اليزيدي" وساق الجاحظ في قصته ما يدلّ على ظرفه ودعابته من مثل قوله: الولد سرّ أبيه، أجهز على الجرحى، يطعم لوجه الله.

4-قصص البخلاء المتسولين وتشمل: (حديث خالد بن يزيد) وقد جاءت التسميّة ممّا اقترنت به فحديث خالد بن يزيد عرض الجاحظ فيه لحيل المتسولين وأصنافهم وتصرّفاتهم وتفننهم في البخل.

5-قصص البخلاء النفسية وتشمل:(قصة أبي جعفر الطرسوسي، قصة الحزامي، قصة الكندي) وقد أدرجنا هذه القصص تحت هذا المسمّى نظراً لتحليلها لنفسيّة البخلاء، فقد عكست تصرّفات البخلاء العفويّة، فأبو جعفر الطرسوسي حريصٌ على عدم فقد ذرّة من الطعام إذا حكّ شفته العليا، والحزامي الذي كان صاحب منصب فهو كاتب مويس وكاتب داود بن أبي داود، كان الجاحظ قد وصفه بقوله:" كان له في البخل كلام " وتحدّث الجاحظ عن طبعه الخاص في التعطّر واللّباس والطبخ والدَّين، وسوقه الحجج والبراهين التي يدافع بها عن سلوكه، غائصاً في أعماق النفس البشريّة من مثل قوله:" ولا يقال أيضاً فلانٌ سخيٌّ إلا وهو ذو مال، فقد جمع هذا الاسم الحمد والمال، واسم البخل يجمع المال والذّم. . . في قولهم بخيل تثبيت لإقامة المال في ملكه، وفي قولهم سخيٌّ إخبارٌ عن خروج المال من ملكه" وأما الكندي فقد عكس هو الآخر طبع البخل في نفسه عندما احتج على زيارة أقرباء المستأجرين لداره وسوقه للحجج والبراهين مُدافعاً بها عن رأيه من مثل قوله:" وجرم آخر وهو أنكم أهلكتم أصول أموالنا وأخربتم غلاتنا وحططتم بسوء معاملتكم أثمان دورنا ومستغلاتنا".

6-قصص البخلاء النبلاء وتشمل:(قصة الحارثي) لقد آثرنا إطلاق هذه التسمية انطلاقاً من سلوك البخيل نفسه، فالحارثي يصرّح بأنه يحتمل الضيف وضيف الضيف ولكنه لا يحتمل

الشهواني الذي ينهش العظم ملء فمه، ولا الذي يأكل بيمينه ويساره، ولا يحتمل الطفيليّ الذي يتطفل على الطعام بدون دعوة. .

7-قصص البخلاء الشّرّاه والطفيليين، وتشمل: (تفسير كلام أبي فاتك، قصة الأصمعي) جاءت التسميّة مستوحاة من سلوك البخلاء، فالجاحظ في تفسيره لكلام أبي فاتك أتى على ذكر طفيل العرائس، وأما الأصمعي فقد عرض لنماذج من البخلاء الطفيليين الذين يقصدون بيوتاً بعينها وقت الطعام طمعاً فيه، ومن ذلك قوله: "وكان رجلاً يغشى طعام الجوهري وكان يتحرّى وقته ولا يخطئ " وكذلك مجيء الأعرابي إلى المغيرة عندما وضع جديه على المائدة بعد الطعام كما تعود وقوله:" وتناول أعرابي من بين يدي سليمان بن عبد الملك دجاجة" وقوله أيضاً:" وتناول رجلٌ من قدّام أمير كان لنا بيضة".

8- قصص البخلاء المحتالين (قصة محمد بن أبي المؤمل)، وقد أدرجنا هذه القصة تحت هذه التسميّة لما ساقه للجاحظ من دفاعٍ عن نفسه عندما ذمّه في تقليل الخبز على الطعام مع كثرة المدعويين، فكان جوابه:" يا أبا عثمان أنت تخطئ وخطأ العاقل أبداً يكون عظيماً.... بل الذي أصنع أدلّ على سخاء النفس بالمأكول، وأدلّ على الاحتيال ليبالغوا لأن الخبز إذا كثُر على الموائد ورّث ذلك النفس صدوداً...

9- قصص البخلاء الواعظين الحكماء (قصة أسد بن جاني، قصة أبي سعيد المدائني، قصة تمام بن جعفر)، أما تصنيفنا لهذه التسمية فقد جاء من شهادة الجاحظ بأولئك البخلاء، فأسد بن جاني كان حكيماً ومن حكمته أنه كان يجعل سريره في الشتاء من قصب مقشّر لأنّ البراغيث تزلق عن ليط القصب لفرط لينه وملامسته وكان يقول: "أنا أفضلهم أيضاً بفضل الحكمة وجودة الآلة" وأما أبو سعيد المدائني فقد قال الجاحظ عنه في مقدمة قصته:" كان أبو سعيد إماماً في البخل عندنا بالبصرة، وكان شديد العقل شديد الرأي وحسن البيان حاضر الحجة بعيد الرويّة" وأما تمام بن جعفر فقد وصفه الجاحظ في مقدمة قصته بقوله:" كان تمام بن جعفر بخيلاً على الطعام، مفرط البخل، وكان يُقبل على كل من أكل خبزه بكلّ علّة، ويطالبه بكلّ طائلة".

الإحالة الخارجيّة في نصوص البخلاء للجاحظ		
نوع النص	**عنوان النّص**	**تواتر الإحالة الخارجيّة**
	رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد	**109**

رسائل		رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	113
		رسالة ابن التوأم	311
		عدد تواتر الإحالة الخارجية في الرسائل	533
نوادر		نوادر أهل خراسان	51
		نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	4
		نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	64
قصص		عدد تواتر الإحالة الخارجية في النوادر	119
	بخلاء الجمع والمنع	قصة أهل البصرة من المسجديين	10
		قصة ليلى الناعطية	13
		قصة ابن العقدي	20
		تواتر الإحالة االخارجية في قصص بخلاء الجمع والمنع	43
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	14
	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	75
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	16
	البخلاء النفسية	قصة أبي جعفر الطرسوسي	5
		قصة الحزامي	8
		قصة الكندي	12
		تواتر الإحالة الخارجية في قصص البخلاء النفسية	25
	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	4
	البخلاء الشرّاه والطفيليين	تفسير كلام أبي فاتك	5
		قصة الأصمعي	45
		تواتر الإحالة الخارجيّة في قصص البخلاء الطفيليين	50
	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	16
	البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أسد بن جاني	9
		قصة أبي سعيد المدائني	28
		قصة تمام بن جعفر	3
		تواتر الإحالة الخارجية في قصص البخلاء الواعظين	40
		مجموع الإحالة الخارجية في القصص	158
		المقدمة(ربّ انعمت فزد)	92

		ضروب الطعام عند العرب	17

جدول رقم(1)

من استقرائنا للجدول السابق يمكننا استخلاص **النتائج** الآتية:

1-أكثر الإحالات الخارجيّة كانت في نصوص الرسائل فقد تواترت نحو 533 إحالة خارجيّة، وجاءت القصص بعدها من حيث التواتر فقد بلغ مجموع إحالاتها الخارجيّة 158، وكانت النوادر ثالثاً نحو119 إحالة خارجيّة، ويمكننا تفسير غلبة الإحالات الخارجيّة على الرسائل بما تميّزت به الرسائل من طبيعة خاصة في مدح كرم العرب كرسالة ابن التوأم ورسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، وذمّ بخل الأعاجم كرسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، واحتواء الرسالة على أكثر من محال إليه زادت من نسبة الإحالة فقد رأينا الإحالة الخارجية مثلاً تتوزع في رسالة سهل بن هارون بينه وبين محمد بن زياد، وكلّما زادت الشخصيّة التي يتحدّث عنها أهميةً زادت الإحالة التي تؤكد على الوجود المستمر لها وفاعليتها في صنع الإحداث، وكذلك احتوت رسالة ابن التوأم على شكل من أشكال الحوار باعتبارها جاءت ردّاً على رسالة أبي العاص إلى الثقفي، فكان ثمة تشابه بنائي بينهما، فعندما صاغ أبو العاص رسالته على شكل حوارٍ قائمٍ على المحاجات، ألزم ابن التوأم نفسه أن يشكل رسالته على نفس المنوال، فزادت بذلك الإحالة الخارجية تواتراً في الرسائل.

2-غلبة ضمير الغائب على الإحالات الخارجيّة جاء من رغبة الجاحظ في أن يجعل نفسه خارج نصوصه، ويترك أحداث قصصه تقدّم نفسها للقارئ، وهذا يعني أن هناك ذاتاً مستمرة (حاضرة بقوة) في النصوص جميعها، فضمير الغائب يفصل بين زمنية المتحدث عنه وزمنية القول ذاته، لما يقوم به هذا الضمير من زمن "كان" هو وهذا يعطي القارئ فرصة التصديق أو عدمه، خاصة أنه "بمقدار ما يبعد الفعل عن العصر بمقدار ما يجسّد هذا العصر في صورة من العلاقات الإنسانية المتشابكة في مجتمع يظل أبد الدهر قائماً على ثنائية الخير والشّر والحق والباطل"[1].

3-رأينا أنّ الإحالة الخارجيّة علاقة موجودة بين نص أو بعض عناصره وبين السياق الخارجي، وهذا يوّجه إلى أنّ النص يُفسّر بإشارات ومعانٍ قائمة بالخارج، وتُعدّ هذه

[1] - مرتاض، د. عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: ع 240 ديسمبر 1998، ص181.

الإشارات منه بمنزلة الأسباب التي أوجدته، لذا إذا فُهمت هذه الأسباب الخارجية زال إشكال الإبهام، وحصل بالتالي فهم دلالة النص بواسطة هذه الإحالة الخارجيّة.

4- إنّ الناظر إلى الإحالة الخارجيّة في الأمثلة السابقة ينتهي إلى التأكيد على الدور الحاسم الذي تؤديه المتغيرات المقامية التي تكتنف البيئة اللسانية واستعمالاتها، فالمعاني المعجمية والصرفيّة والتركيبية ليست كل شيء في إدراك مقصدية المتكلم، فثمة عناصر غير لسانية ذات أهمية كبرى في ضبط معنى بعض العناصر المرتبطة بالسياق الإحالي أثناء توظيفها في سياق تواصلي.

5-يتوضح من تتبّع الإحالة الخارجيّة أنّ ثمة تفاعلاً متبادلاً بين اللّغة والموقف "فالموقف يؤّثر بقوة في استعمال طرق الإجراء"[1]، وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف.. "[2].

6-كانت الإحالة الخارجيّة إلى الجاحظ (الراوي) هي النسيج الرابط لهذه النصوص، إذ تتوفر في هذه النصوص وحدة الراوي (الجاحظ)، ووحدة البطل (البخلاء) في الغالب، ووحدة المكان (البيئة العباسيّة على امتداد مساحتها)، ووحدة الزمان (القرن الثالث الهجري) بل ووحدة القضية أو الغرض والمتمثل في توجيه نقدٍ لاذعٍ للأثرياء وأصحاب السلطان والجاه في ذلك العصر، لأنهم دفعوا الناس إلى التفكير في أساليب الاحتيال والتكدي من أجل كسب قوت يومهم فكانت نصوص البخلاء بمنزلة السجل الذي يجمع بين دفتيه ذلك الواقع المرير والمؤلم.

7-يحيل ضمير الجمع (نا) المرتبط بالفعل (حدّث) أو ضمير المتكلم (ي) المرتبط بالفعل (حدّث) إحالة نصيّة خارجيّة إلى راوٍ غير متعين في الزمان والمكان، وتكرار هذه الجملة في نصوص المدوّنة يوحي بمدى ترابط النصوص فيما بينها على الرغم من ظهورها المفرّق في شكل نوادر ورسائل وقصص.

8-التصريح باسم البخيل وتكراره مرّات عدة على لسان الجاحظ (الراوي) يوّلد "قوّة في اللفظ وقوّةً في الدلالة"[3]، وهذا أسهم في تحقيق استمراريّة النصوص وترابطها على اختلاف أنواعها.

---

[1] - دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص 339.
[2] - المرجع السابق، ص232.
[3] - الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللّغة النصي بين النظريّة والتطبيق، ص29.

9-قام الجاحظ بإقحام إحالات خارجيّة متعددّة المراجع والآليات ضمن النص الواحد، بحيث ينغلق المعنى على القارئ، بسبب غموض هذه الإحالات وتقاطعها وتصادمها، فتغيّبت الدلالة وتشتّتت أمام القارئ، ممّا اضطّره إلى بذل جهدٍ مساوٍ للجهد الذي بذله الجاحظ في نسجه لهذه النصوص، وهذا يجعل القارئ يعيش تجربةً مشابهةً في القراءة لتجربة الجاحظ في الكتابة.

10- وجدنا أنّ الجاحظ لا يعتمد كثيراً على الإحالات النّصيّة الداخليّة التي سنعرض لها في الفصل الثالث والتي تحقّق له التماسك النّصي، بل يحلّ نصوصه من روابطها من خلال التركيز على نوع آخر من الإحالة وهي الإحالات السياقيّة الخارجيّة التي يتم فيها التركيز على علاقة العنصر الإحالي بالعنصر المحال إليه والتي تحققّ مستوى آخر من التماسك وهو الانسجام الدلالي.

الفصل الثالث
الإحالة الداخلية في نصوص البخلاء

المبحث الأول: الإحالة بأسماء الإشارة.
المبحث الثاني: الإحالة بالاسم الموصول.
المبحث الثالث: الإحالة بالضمائر.
المبحث الرابع: الإحالة بأدوات العطف.
المبحث الخامس: الإحالة بالمقارنة.
المبحث السادس: الإحالة بأداة التعريف.
المبحث السابع: الإحالة بالتكرار.
المبحث الثامن: الإحالة بالإعراب.
المبحث التاسع: الإحالة بعلامات الترقيم.

1-الإحالة بأسماء الإشارة:

أطلق القدماء على أسماء الإشارة الأسماء المبهمة من ذلك قول المبرّد: " ومن الأسماء المبهمة، وهي التي تقع للإشارة، ولا تخصّ شيئاً دون شيء، وهي هذا وهذاك وأولئك وهؤلاء ونحوه"[1].

و"اعلم أنّ (ها) كلمة تنبيه وهي على حرفين كـ (لا و ما)، فإذا أرادوا تعظيم الأمر والمبالغة في إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة، وقالوا: هذا وهذه... فها للتنبيه وذا للإشارة، والمراد : تنبّه أيّها المخاطب لمن أشير إليه، وتسقط ألفه في الخط لكثرة الاستعمال، وهي ثابتة لفظاً"[2].

---

[1] - المبّرد، المقتضب، 186/3.
[2] - ابن يعيش، موفق الدين يعيش ابن علي النحوي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، د. ط، ود. ت، 137/3.

وأسماء الإشارة تقع في الكلام لتوضيح مدى القرب أو البعد من المتكلم، وفي العربية ثمة مستويان يمكن التمييز بينهما بوضوح في استخدام أسماء الإشارة، هما قريب، ويُعبر عنه (بهذا) وفروعه، وبعيد ويعبر عنه (بذلك) وفروعه، وعلاوة على ذلك يرى البلاغيون أنّ هناك مستوىً ثالثاً هو المتوسط الذي يُعبّر عنه بحذف اللام من (ذلك) فتصبح ذاك، وهو أيضاً رأي جمهور النحاة كما يقول ابن عقيل: "والجمهور على أنّه له ثلاث مراتب، قربى، ووسطى، وبعدى، فيشار إلى من في القربى بما ليس فيه كاف ولا لام كـ(ذا وذي)، وإلى من في الوسطى بما فيه الكاف وحدها نحو (ذاك)، وإلى من في البعدى بما فيه كاف ولام نحو (ذلك)"[1].

وتتكّون الكلمة المركّبة ذلك من ثلاثة أجزاء: ذا وهو اسم الإشارة، واللام وهو حرف البعد، والكاف وهي حرف المخاطب، ويلفت الجزء الأخير من الكلمة (وهو حرف الخطاب) الانتباه، لأنّه سمة من سمات العربية، إذ ليس له صلة مباشرة بالإشارة، وإنما أتي به لتحديد نوع المخاطب من حيث الجنس والعدد، يقول الزمخشري: "ويتصّرف (أي الكاف) مع المخاطب في أحواله من التذكير والتأنيث والتثنية والجمع"[2]. ويقول المالقي: "الكاف حرف خطابٍ لا موضع لها من الإعراب إلاّ أنها أبداً تفتح للمذكر وتكسر للمؤنث وتلحقها ميم التثنية وألفها، وميم الجمع وواوها، ونون جماعة المؤنث"[3].

ولكي نوضّح ذلك يمكن أن تمثّل له بقوله تعالى:﴿فذلكنّ الذي لُمتنّني فيه﴾[4].

فقد استخدم الضمير (كنّ) لأن المخاطبات نسوة، أما في قوله تعالى: ﴿ قال كذلكِ قال ربك﴾[5]. فقد استخدم الضمير (كِ) لأن المخاطب امرأة، وفيما يلي أمثلة أخرى من نصوص البخلاء للجاحظ، يتضح لنا من خلالها أنّ(ذا) وما تفرع عنها سيختلف باختلاف جنس المشار إليه وعدده وأن (ك) سيختلف باختلاف جنس المخاطب وعدده:

"أنكّم تنغصون عليه تلك الشربة"[6].

المرجع مفرد مؤنث، والمخاطب جمع مذكر

"كيف رأيت يا أبا عمران، تلك الدجاجة"[7].

---

[1] - ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية الإمام أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك، مطبعة السعادة، ط1، 1964، 135/1.

[2] - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في علم العربيّة، النعساني، محمد بدر الدين أبي فراس الحلبي، كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل، بيروت: دار الجيل، ط2، د. ت، ص141.

[3] - المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق : أحمد محمد الخراط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، د. ط، 1975م، ص206.

[4] - سورة يوسف، الآية 32.

[5] - سورة مريم، الآية 21.

[6] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتى(العجلة من الشيطان)ص196.

[7] - المصدرالسابق، قصة ابن العقدي(أبو الهذيل ودجاجته)ص207.

المرجع مفرد مؤنث، والمخاطب مفرد مذكر.

"فهما في ذلك اليوم أودعُ أبداناً وأحسن حالاً"[1].

المرجع مفرد مذكر، والمخاطب مثنى مذكر.

وذهب بعضهم إلى التوسع في دلالة (الكاف) هذه على الجنس والعدد وجعلها في ثلاث لغات" الأولى أن تختلف لاختلاف أحوال المخاطب في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، كالكاف التي هي ضمير المخاطب، وهذه اللغة الفصيحة، والثانية أن تُفرد مفتوحة في الأحوال كلّها فلم يقصد بها على هذه اللغة إلاّ التنبيه على مطلق الخطاب لا على أحوال الخطاب، والثالثة أن تُفرد مفتوحة في التذكير ومكسورة في التأنيث. فلها على هذه حالان فقط"[2].

"إنّ الضمير الإشاري الدال على القرب يتألف من الهاء الدالة على التنبيه بإضافة (ذا) مفتوحة دالة على المذكر تارة، وذي مكسورة دالة على المؤنث تارة أخرى..... كما إن (هذي) صارت في الوقف هذه وبقي الاستعمال سائداً، أما في المثنى فنجد بأن المذكر يستعمل الذال في حين يستعمل المؤنث التاء، وهذه طريقة للتمييز بين الجنسين، أما في الجمع فإنّ الضمير الإشاري (هؤلاء) يشترك فيه الجنسان للدلالة على الجمع... أما الضمائر الإشارية المتوسطة فتضاف إليها الكاف في كل استعمالاتها وتحذف منها الهاء في حالتي المثنى والجمع... وفي الضمائر الإشارية الدالة على البعد استغناء عن الهاء في جميع استعمالاتها"[3].

وتنقسم الإحالة الإشاريّة إلى إحالة إشاريّة بعديّة، وإحالة إشاريّة قبليّة على المستوى الداخلي للنص، فالإحالة في الأمثلة المذكورة، جميعها إحالة إشارة بعدية وهي: "إنكّم تنغصون عليه تلك الشربة"[4].

"كيف رأيت يا أبا عمران، تلك الدجاجة"[5].

"فهما في ذلك اليوم أودعُ أبداناً وأحسن حالاً"[6].

فهنا أحال اسم الإشارة (ذلك، تلك، تلك) إلى الاسم الذي يليه، وهو (الشربة، الدجاجة، اليوم) إحالة داخليّة بعديّة، فأكّده، وبعث في نفس القارئ تشويقاً لتوقّعه. ومن أمثلة الإحالة الإشارية الداخلية البعدية أيضاً قول الجاحظ:

---

[1] - المصدر السابق، قصة أبي سعيد المدائني، (يسافر ونعله في يده وسراويله في كمه)ص212.

[2] - المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، بيروت:منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، ، 1983م، ص91.

[3] - مطهري، صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، 2003 م، ص210.

[4] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتّى (العجلة من الشيطان) ص196.

[5] - المصدر السابق، قصة ابن العقدي(أبو الهذيل ودجاجته) ص207.

[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة أبي سعيد المدائني، (يسافر ونعله في يده وسراويله في كمه)، ص212.

"فإن وجد قيّم ذلك البستان رمى إليه بدرهم"[1]. فهنا أحال اسم الإشارة(ذلك)إحالة داخلية بعدية إلى الاسم الذي بعده(البستان)، فأكّده، وبعث تشويقاً في نفس القارئ لتوقّعه.
ومن أمثلة الإحالة الإشارية القبلية في نصوص البخلاء قول الجاحظ: "اعلم أنّه إذا كان في الطعام شيء طريف، ولقمة كريمة، ومضغة شهية، فإنما ذلك للشيخ"[2].

فقد أحال اسم الإشارة (ذلك) إحالة قبليّة إلى الطعام السابق، فاختصره، وعوّضه، وربط الكلام بعضه ببعض، وعزّز المعنى، فلو أعدنا ذكر الطعام عوضاً عن اسم الإشارة، لأصبحت العبارة غير واضحة واكتنفها الغموض. ومن الإحالة الإشارية القبلية قول الجاحظ:" وأنا لست أطعم الجزر المسلوق بالخلّ والزيت والمرّي دون الكمأة بالزبد والفلفل لمكان الرّخص، أو لموضع الاستفضال، ولكن لمكان طيبه في الحقيقة، لأنه صالح للطبيعة، علم ذلك من علم، وجهل ذلك من جهل"[3]. أيضاً أحال اسم الإشارة (ذلك) هنا إحالة قبلية إلى عبارة سابقة، وهي (لمكان طيبه في الحقيقة)، فاختصرها وعوّضها، محقّقاً الربط والتماسك بين أجزاء النّص.

وتمتاز (ذا) و(هذا) و (ذلك) من بين أسماء الإشارة، بالإحالة إلى قطعة من النص، أو لفحوى النص الذي سبق، "فاسم الإشارة المفرد يتميز بالإحالة الموسعة، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل"[4]. ومثال ذلك: "أي بنيّ قد بلغت تسعين عاماً، ما نغض لي سن، ولا تحرّك لي عظم، ولا انتشر لي عَصَب، ولا عرفتُ دنين أذن ولا سيلان عين ولا سلس بول. ما لذلك علّة إلاّ التخفيف من الزّاد"[5]. هنا نلحظ أن اسم الإشارة (ذلك) قد أحال إحالة قبلية إلى مضمون الكلام السابق، فعوّضه وأكّده، وعزز معناه.

ومن ذلك قول الجاحظ أيضاً:

"وقد فعل عُمر من جهة التأديب أكثر من ذلك حين دُعي إلى عُرس، فرأى قدراً صفراء وأخرى حمراء، وواحدة مُرّة وأخرى حلوة، وواحدة محمّضة فكدّرها كلها في قدر عظيمة وقال: إنّ العرب إذا أكلت هذا قتل بعضها بعضاً"[6].

أحال هنا اسم الإشارة (هذا) إحالة قبلية إلى مضمون الفقرة السابقة، فعوّضها، واختصرها، وحقّق التماسك بين أجزاء النّص. وكذلك احتشدت الإحالات الإشارية بكثافة في القصص التي عرضها الجاحظ على نحو خاص، ومن هنا كان لها أبلغ الأثر في خلق الترابط

---

[1] - المصدر نفسه، نوادر اهل خراسان (كلام بكلام)، ص50.
[2] - المصدر نفسه، قصة أسد بن جاني(لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص169.
[3] - المصدر نفسه، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص153.
[4] - خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص19.
[5] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني(الدنيا دار همّ والدينار يدني إلى الدار)، ص172. ومعنى نغض: تحرّك بارتجاف، دنين أذن: طنين.
[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحارثي(طعام يد لا طعام يدين)، ص121. كدّرها: أي صبّها.

والتماسك بين جزئيات وفقرات النّص القصصي، ومن ذلك قول الجاحظ: "...فقلت له: وقد ورث هذا المال كلّه: ما بطّأ بك الليلة؟ قال: لا والله إلا أني تعشيت البارحة في البيت، فقلت لأصحابنا: لولا أنه بعيد العهد بالأكل في بيته، وأن ذلك غريب منه، لما احتاج إلى هذا الاستثناء، وإلى هذه الشريطة، وأين يتعشّى الناس إلا في منازلهم؟ وإنما يقول الرجل عند مثل هذه المسألة: لا والله إلا أن فلاناً حبسني، ولا والله إلا أن فلاناً عزم عليّ، فأما ما يستثنى ويشترط، فهذا ما لا يكون إلا على ما ذكرناه قبل"[1].

لقد احتشدت في هذا الجزء المقطوع من القصة الإحالات الإشارية (هذا، ذلك، هذا، هذه، هذه، هذا) اعتماداً على الجمل الفعلية، ووجود الإحالات الإشارية في القصة يؤكد على ترابط القصة، وهو أمر يسهم في تقبّل القارئ للنص، كما أنه يحافظ على استمرار خيط الأحداث دون انقطاع يخل بتتابعها. فالربط الإحالي: هو"الذي يمدّ جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النّص، إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النّص، فتجتمع في كل واحد (من تلك الأجزاء) عناصره متناغمة"[2].

ومن الملاحظ أنّ للمتكلم الخيار عادة في استخدام أي من أسماء الإشارة المذكورة، ولكن هناك من الأغراض البلاغية والمقاصد التخاطبية ما يرجح اختيار أحدها على الآخر فيختار اسم الإشارة الدّال على البعد مثلاً إذا كان المتكلم يشير إلى:

أ – شيء يعتقد أنه غائب أو بعيد منه زماناً أو مكاناً كما في قول الجاحظ: "يقولون: ثوبك على صاحبك أحسن منه عليك، فما يقولون إن كان أقصر منّي، أليس يتخبّل في قميصي؟ وإن كان طويلاً جداً وأنا قصير جداً فلبسه، أليس يصير آية للسائلين، فمن أسوأ أثراً على صديقه ممّن جعله ضحكة للناس؟ ما ينبغي لي أن أكسوه حتى أعلم أنه فيه مثلي ومتى يتفق هذا وأنّى ذاك محيا ومماتا؟"[3].

نرى هنا أن اسم الإشارة الدال على البعد (ذاك) قد أفاد بُعد تحقق ذلك اللباس في حياته وبعد مماته.

ب – شيء مهم، أو ذي قيمة أو مقدّس أو محترم، وباختصار فإن المتكلم هنا ينزل مكانة المشار إليه العالية منزلة بعده الحسي، ومن ذلك قول الجاحظ: "فعمدتُ إلى ذلك المتوضّأ"[4]. "ولاسيّما ذلك الجنس من الدجاج"[5]. فنرى هنا أن اسم الإشارة (ذلك) قد أحال إحالة بعدية إلى شيء محترم وهو المتوضأ. وأحال في العبارة الثانية إلى شيء مهم وهو جنس الدجاج، وقد يختار المتكلم استخدام اسم الإشارة الدال على القرب للتعبير عن التحقير

---

[1] - المصدر السابق، قصة أحمد بن خلف، ص71.

[2] - بحيري، سعيد حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص98.

[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحزامي (طمع الناس يجرّ الإفلاس)، ص102. يتخبّل: يتعثّر في المشي، السائلين:المارة.

[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة اهل البصرة من المسجديين (الحمار والماء الأجاج)، ص57.

[5] - المصدر السابق، قصة ابن العقدي (أبو الهذيل ودجاجته)، ص208.

كما في قول الجاحظ "فهذا ما لا يجوز"[1]. "هذا معَ نتن ريحه وقبح منظره"[2]، أو يستخدم المتكلم اسم الإشارة الدال على القرب للإشارة إلى قرب الرأي للعقل أو وضوحه فيه لتأكيد صحته، "وأقوى أسماء الإشارة ما كان للقرب ثم ما كان للوسط ثم ما كان للبعد"[3].

كما في قول الجاحظ:" إنّي قد فكرّت في هذا منذ ستة أشهر"[4].

"وقد علمنا أنّا حين أخرجنا هذا المال من أيدينا أنه معرض للذهاب"[5].

وفيما يأتي عرض تحليلي إحصائي لتواتر استخدام أسماء الإشارة في نصوص البخلاء عند الجاحظ، وتوزعها داخل النسيج النصي للقصص والرسائل والنوادر:

الإحالة الإشارية في نصوص البخلاء للجاحظ										
نوع النص	عنوان النص	عدد الإحالات الإشارية	توزع أسماء الإشارة داخل النصوص							
			هذا	هذه	ذلك	أولئك	ذاك	هؤلاء	تلك	هاتين
رسائل	رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد	18	6	-	12	-	--	-	-	-
	رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	27	10	2	7	1	2	1	4	-
	رسالة ابن التوأم	69	18	4	39	1	1	3	3	-
	عدد تواتر الإحالة الإشارية في الرسائل	114	34	6	58	2	3	4	7	-
	نوادر أهل خراسان	63	37	1	23	-	-	-	2	-

[1] - المصدر السابق، قصة أبي سعيد المدائني (يسافر ونعله في يده وسراويله في كمه)، ص213.

[2] - المصدر السابق، قصة أبي سعيد المدائني (لماذا لا يغسل ثيابه)، ص213.

[3] - حسن، عباس، النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، مصر: دار المعارف، ط5، 1974م، 212/1.

[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة أبي سعيد المدائني (لماذا لا يغسل ثيابه)، ص213.

[5] - المصدر السابق، قصة أبي سعيد المدائني (بخيل عزيز النفس)، ص215.

نوادر		نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	35	16	-	15	-	-	-	4	-
		نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	82	41	9	27	1	-	2	2	-
قصص	بخلاء الجمع والمنع	عدد تواتر الإحالة الإشارية في النوادر	180	94	10	65	1	-	2	8	-
		قصة أهل البصرة من المسجديين	31	7	6	15	-	-	-	3	-
		قصة ليلى الناعطية	5	3	1	1	-	-	-	-	-
		قصة ابن العقدي	56	22	5	20	-	-	4	5	-
		تواتر الإحالة الإشارية في قصص بخلاء الجمع والمنع	92	32	12	36	-	-	4	5	-
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	10	6	-	2	-	-	2	-	-
	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	25	9	5	8	-	-	-	3	-
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	60	18	4	32	-	-	3	2	1
		قصة أبي جعفر الطرسوسي	1	1	-	-	-	-	-	-	-

	البخلاء النفسية	قصة الحزامي	53	30	2	21	-	-	-	-	-
		قصة الكندي	58	14	4	37	-	--	1	2	-
		تواتر الإحالة الإشارية في قصص البخلاء النفسية	112	45	6	58	-	-	1	2	-
	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	37	11	1	23	-	-	1	1	-
	البخلاء الشراه والطفيليين	تفسير كلام أبي فاتك	14	5	1	7	-	-	-	1	-
		قصة الأصمعي	34	23	2	6	-	-	1	1	-
		تواتر الروابط الإحالية الإشارية في قصص البخلاء الطفيليين	48	28	3	13	-	-	1	2	-
	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	54	14	9	28	-	-	1	2	-
	البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أسد بن جاني	51	17	5	23	-	-	1	4	1
		قصة أبي سعيد المدائني	49	21	2	25	-	-	-	1	-
		قصة تمام بن جعفر	12	3	1	7	-	-	-	1	-
		تواتر الإحالات الإشارية في قصص البخلاء	112	41	8	55	-	-	1	6	1

		الواعظين									
		مجموع الإحالة الإشارية في القصص	550	204	48	255	-	-	14	23	2

جدول(2)

ومن استقرائنا للجدول السابق يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1-أكثر عناصر الإحالة الإشارية تواتراً في نصوص البخلاء هو ما دل على البعد (ذلك)، فقد تواتر وروده في النصوص 378 مرةً ما بين الرسائل والنوادر والقصص، ثم جاء العنصر الإحالي الإشاري الدال على القرب (هذا) في الدرجة الثانية، فقد بلغت مرات وروده في النصوص 332 مرة. ولوحظ شيوع العنصر الإشاري الدال على البعد في القصص أولاً، ثم في الرسائل، في حين شاع العنصر الإشاري الدال على القرب في النوادر، وهذا يؤكد لنا قرب عهد الجاحظ بتلك النوادر التي ساقها، ولاسيما أنّه خصّها في الفرس وفي البخلاء المغالين، وكأنّه أراد أن يقول لنا: إنّ أهل خراسان، هم أقرب إلى البخل من العرب الذين استخدم في سوق قصصهم العنصر الإشاري الدال على البعد (ذلك) ليؤكد بعدهم عن هذه الصفة الذميمة مقارنةً بالفرس، والذي كان أحد أهداف وضعه لكتاب البخلاء.

2-أكثر الإحالات الإشارية تواتراً في نصوص البخلاء كانت في القصص، فقد بلغت 180 إحالة إشارية، وفي الرسائل 114 إحالة إشارية، وفي النوادر 180 إحالة إشارية، وإذا كان التفاوت في الكم بين نصوص الرسائل والنوادر والقصص لا يحسم التواتر الإشاري الإحالي فيها بشكل دقيق، على اعتبار أن القصص في نصوص البخلاء أكثر نسبة من الرسائل والنوادر، قمنا بعقد مقارنة لا على التعيين بين رسالتين من الرسائل مع قصتين من القصص لهما نفس الطول تقريباً، وأجرينا المقارنة الأولى بين رسالة (سهل بن هارون*) وبين قصة (أهل البصرة من المسجديين)**. وأجرينا المقارنة الثانية بين رسالة (أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي***) وبين قصة (أسد بن جاني****) فوجدنا أنّ الإحالات الإشارية كانت أكثر تواتراً في القصتين من الرسالتين، ففي القصتين تواتر 82 إحالة إشارية في حين تواتر

*تمتد رسالة سهل بن هارون من الصفحة 29 إلى الصفحة 38 من كتاب البخلاء.

**تمتد قصة أهل البصرة من المسجديين من الصفحة 56 إلى الصفحة 63.

***تمتد رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب من الصفحة 235إلى الصفحة 256.

****تمتد قصة أسد بن جاني من الصفحة 159 إلى الصفحة 178.

في الرسالتين 45 إحالة إشارية "ويجب الأخذ في الاعتبار كذلك، أنّ أدوات السبك تختلف من نص إلى آخر تبعاً لنوع النص، وتبعاً لاختلاف المؤلفين، سواء من حيث عدد الروابط أو نوعها؛ لأن هذه الروابط"تؤدّي دوراً وظيفيّاً ليس باعتبارها وحدات نحويّة تربط بين الجمل بعضها ببعض، بل باعتبارها وحدات وظيفية تؤدي دوراً في تكوين النص كوحدة دلالية"[1].

3-شيوع الإحالات الإشارية في القصص بشكل خاص يعود إلى احتواء القصص على العنصر الحكائي، ووجود العنصر الحكائي يقود إلى كثرة الجمل الفعلية، ومن ثم فقد كثرت الإحالة الإشارية عما يحكى عنه، وعمن يسند إليه القيام بهذه الأفعال.

4-أكثر الإحالات الإشارية تواتراً في القصص، كانت في قصص البخلاء الحكماء الواعظين وهي (قصة أسد بن جاني، قصة أبي سعيد المدائني، قصة تمام بن جعفر) وقصص البخلاء النفسية وهي (قصة الحزامي، وقصة أبي جعفر الطرسوسي، وقصة الكندي) فقد بلغ تواترها في كلا الصنفين 112 إحالة إشارية، وكذلك تقارب الصنفين في توزع عناصر الإشارة في نسيجهما الداخلي؛ وهذا يعود إلى حاجة هذه القصص دون سواها إلى الإقناع وإقامة الحجة والبرهان على السامع، والتأثير فيه من خلال الوعظ والاستشهاد بنماذج من البخلاء.

5-عملت الإحالات الإشارية القبلية والبعدية التي برزت على مستوى سطح النصوص على اختزال النص واختصاره، من خلال تجنّب تكرار المشار إليه.

الإحالة الإشارية الظرفية:

في العربية اسما إشارة يفيدان الظرفية هما: ثمّ، وهنا" يشار إلى المكان القريب بهما ويتقدمها هاء التنبيه فيقال ههنا ويشار إلى البعيد على رأي المصنف بهناك وهنالك وهنّا بفتح الهاء وكسرها مع تشديد النون وبثَمّ وهِنّت، وعلى مذهب غيره هناك للمتوسط وما بعده للبعيد"[2].

وتستخدم أيضاً الإشارة الظرفية للإحالة الداخليّة بنوعيها القبليّة والبعديّة، "فالعنصر الإشاري يشمل لفظاً مفرداً دالاً على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان أو المكان جزءاً من الملفوظ، أو الملفوظ كاملاً، فالمشار إليه إذن لازم الورود (سابقاً أو لاحقاً) ليجيز وجود المحيل، ويشكّلان معاً بنية الإحالة التي تقابل بينهما بصورة ظاهرة أو ضمنية، يتأسس عليها ترابط النص وتماسكه وانسجامه، ويلاحظ أن الجامع الأساسي في النص هو ذات المتلفظ"[3].

ومن أمثلة الإحالة الإشارية الظرفية القبلية قول الجاحظ:

---

[1] - فرج، حسام أحمد. نظرية علم النص، ص82.

[2] - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 136/1.

[3] - بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقّية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص100.

"واعتبر أيضاً ذلك بالملح الذي يوضع تحت المسرجة، والنخّالة التي توضع هناك لتسويتها وتصويبها"[1].

فقد أحالت الإشارة الظرفية (هناك) إحالة قبلية إلى ما تحت المسرجة. ومن الإحالة الظرفية البعدية قول الجاحظ:

"أنا كاتبه، وصداقتي أقدم، وما ذلك به، وإنّ ههنا أمراً ما نقع عليه"[2].

فأحالت الإشارة الظرفية (ههنا) إحالة بعدية إلى (الأمر).

وإذا استعرضنا الإشارات الظرفية في نصوص البخلاء ما بين القصص والنوادر والرسائل، وجدنا أن الإشارة الظرفية لم تأتِ إلاّ في القصص، فقد وردت (هنا) 8 مرات، في حين وردت (هناك) أربع مرات، و(ثَمَّ) مرة واحدة. وتكرار الإشارة الظرفية (هنا) أفاد الإشارة إلى الأمكنة القريبة، لما لها من دور في استحضار القصة وتمثلها في ذهن السامع.

2- الإحالة بالاسم الموصول:

تسمّى الأسماء الموصولة عند القدماء الأسماء المبهمة أيضاً كأسماء الإشارة، وسبب هذه التسمية يعود لوقوعها على كل شيء من الحيوان أو النبات أو الجماد، من غير تعيين وتفصيل لذلك الشيء.

وحين يقال بين المعارف أسماء مبهمة فالمراد بها ضربان فقط (أسماء الإشارة والموصولات)، والفرق بين المضمر والمبهم أن ضمير الغائب يبيّن بما قبله في الغالب (وهو الاسم الظاهر الذي يعود عليه المضمر) والمبهم الذي هو اسم الإشارة يُفسّر بما بعده وهو الجنس... والقسم الثاني من المبهمات هو اسم الموصول "كالذي، والتي، ومَنْ، وما"... وكلها معارف بصلاتها، فبيانها بما بعدها أيضاً. إلاّ أنّ أسماء الإشارة تبين باسم الجنس، والموصولات تبين بالجمل بعدها أو أشباه الجمل[3]. فالاسم الموصول "هو ما افتقر إلى الوصل بجملة خبرية أو ظرف أو مجرور تاميّن أو وصفٍ صريحٍ وإلى عائدٍ أو خلفه"[4].

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان(الشيخ المروزي وعود المسرجة) ص44.

[2] - المصدر السابق، قصة الحزامي (الحلاوة تعقب المرارة) ص104.

[3] - ابن يعيش، شرح المفصّل، 86/5 بتصرّف.

[4] - عبد الحميد، محمد محي الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، حمص: مديرية الكتب والمطبوعات، منشورات جامعة البعث، د. ط، 1989، ص141.

وهو "الذي والتي وتثنيتهما وجمعهما، والألى والذين واللاتي واللائي، وما بمعناهنّ، وهو مَنْ للعالم، وما لغيره، وذو عند طيء، وذا بعدها أو مَنْ الاستفهاميتين إن لم تلغَ، وأيّ وأل في نحو الضارب والمضروب"[1].

"وهو -أي الاسم الموصول– ما لا بدّ له في تمامه اسماً من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه"[2].

وهنا أشار الزمخشري إلى ضرورة توافر جملة الصلة واشتراطه فيها ضمير يعود إلى السابق (الاسم الموصول).

"فالاسم الموصول اسم غامض مبهم يحتاج دائماً في تعيين مدلوله وإيضاح المراد منه إلى أحد شيئين بعده إما جملة وإما شبهها، وكلاهما يُسمى صلة الموصول، ولا بدّ في الجملة من ضمير يعود على اسم الموصول، أو ما يغني عن الضمير، طبقاً للبيان الخاص بالصلة، وهذه الصلة هي التي تفيد الموصول الاسمي التعريف"[3]. ومن الملاحظ أن الموصولات السابقة تنقسم إلى موصولات مختصة وموصولات عامة" فالمختص ما كان نصّاً في الدلالة على بعض الأنواع دون بعض مقصوراً عليه وحده، فلنوع المفرد المذكر ألفاظ خاصة به، ولنوع المفردة المؤنثة ألفاظ خاصة بها، وكذلك للمثنى بنوعية، وللجمع بنوعيه العام أو المشترك ما ليس نصّاً في الدلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض أي ليس مقصوراً على بعضها، وإنما يصلح للأنواع كلها"[4].

والموصولات المختصة تنحصر في (الذي، التي، اللذان واللذين، اللتان واللتين، الألى أو الألاء، الذين) وملحوظ أنها تبدأ كلها بأل الزائدة فلا يمكن الاستغناء عنها" وذلك أنّ "الذي" وأخواته ممّا فيه لام إنما دخل توّصلاً إلى وصف المعارف بالجمل، وذلك أن الجمل نكرات، ألا ترى أنها تجري أوصافاً على النكرات، نحو قولك: مررت برجلٍ أبوه زيد.... وصفة النكرة نكرة, ولولا أن الجمل نكرات لم يكن للمخاطب فيها فائدة ؛لأنَ ما تعرف يستفاد، فلما كانت تجري أوصافاً على النكرات لتنكرها أرادوا أن يكون في المعارف مثل ذلك فلم يسغ أن تقول: مررت بزيد أبوه كريم، وأنت تريد النعت، لأنه قد ثبت أن الجمل نكرات، والنكرة لا تكون وصفاً للمعرفة، ولم يمكن إدخال لام التعريف على الجملة، لأن هذه اللام من خواص الأسماء، والجملة لا تختص بالأسماء، بل تكون جملة اسمية وفعلية، فجاؤوا حينئذٍ بـ(الذي) متوصلين بها إلى وصف المعارف بالجمل، فجعلوا الجملة التي هي صفة

---

[1] - المصدر السابق، ص143.
[2] - الزمخشري، المفصّل في علم العربية، ص182.
[3] - عباس حسن، النحو الوافي، 341/1.
[4] - المرجع السابق، ص342.

للنكـرة صـفة للـذي، وهـو الصـفة فـي اللفـظ، والغـرض الجملـة"[1]. "ونظيـر الـذي "مـا"و"من"و"أي"و"أل" التـي فـي معنـى "الـذين"، وكـل موصـول ممّـا لـم نـذكره فهـذا مجراه"[2]. وما ذكره المبرد هو ما أطلق عليه الموصولات العامة أو المشتركة، ومنها أيضاً (ذا، وذو، وأي) وهي تلزمها الصلة كما تلزم الذي، " والتفريق بين التذكير والتأنيث في المفرد والمثنى (في الأسماء الموصولة) تم بواسطة التبادل الصامتي المحقق بين الذال للمذكر والتاء للمؤنث.

أما في حالة الجمع فنجد الضمير (الذين) للمذكر، وفي الحالات الإعرابية الثلاثة الرفع والنصب والجر، كما نجد اللات واللائي واللواتي، قد انفردت بالدلالة على الجمع المؤنث، أما بقية الضمائر الموصولة فهي (مَنْ، ما) تلزمان حالة واحدة لا تتغير، ولا تشيران إلى النوع ولا إلى العدد، والفرق بينهما هو أن (مَنْ) بالإضافة إلى دلالتها على المفرد المذكر والمؤنث، وعلى اسم الجماعة، فإنها تستعمل للدلالة على العقلاء، بخلاف (ما) التي لا تدل إلاّ على غير العقلاء كالأشياء مثلاً، وأما (أي وأل الموصولة) فتأتي أي للدلالة على النوع والعدد تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنيةً وجمعاً,وتأتي أل الموصولة بمعنى (الذي) وهي قليلة في الاستعمال"[3].

وتنقسم الإحالة الموصوليّة إلى إحالة **موصوليّة قبليّة**، وإحالة **موصوليّة بعديّة** على المستوى الداخلي للنص، أما الإحالة الموصولية القبلية فمثالها من نصوص البخلاء قول الجاحظ: "إيّاكم والفساء في ثيابكم التي تخرجون فيها، وفي لحفكم التي تنامون فيها، فإنّ الفساء يدرّ القمل"[4].

فقد أحال الاسم الموصول (التي) إحالة قبلية إلى الثياب واللّحف، ومنها أيضاً قول الجاحظ" والمصّاص الذي يمصّ جوف قصبة العظم بعد أن استخرج مخّه"[5].

أحال هنا أيضاً الاسم الموصول (الذي) إلى الاسم السابق (المصّاص) إحالة قبلية ومنها أيضاً قول الجاحظ: " أنضجْ خبزي الذي يوضع بين يديّ، واجعل خبز مَنْ يأكل معي على مقدارٍ بين المقدارين"[6]. أحال هنا الاسم الموصول (الذي) إلى الاسم السابق (خبزي) إحالة قبلية، وكذلك أحال الاسم الموصول (مَنْ) إلى الاسم السابق (خبز) إحالة قبلية.

---

[1] - ابن يعيش، شرح المفصل، 141/3.
[2] - المبّرد، المقتضب، 19/1.
[3] - مطهري، د. صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص211.
[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني (الفساء يدرّ القمل والصوت يدبغ)، ص176.
[5] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني (الفساء يدرّ القمل والصوت يدبغ) تفسير كلام أبي فاتك، ص123.
[6] - المصدر السابقء، حديث خالد بن يزيد (يجلده على إنضاج الخبز)، ص92.

أما الإحالة الموصولية البعدية فنذكر من الأمثلة عليها قول الجاحظ: " ولو كانوا لأولادهم يجمعون، ولهم يكدّون، ومن أجلهم يحرصون لجعلوا لهم كثيراً ممّا يطلبون"[1]. فقد أحال الاسم الموصول (ما) إحالة بعدية إلى ما بعده وهو الشيء الذي يطلبونه.

وكذلك من أمثلة الإحالة البعدية قول الجاحظ:

"ليس عليّ في هذا الموضع مسألة، إنما المسألة على مَنْ أكل مع الجماعة"[2].

أحال أيضاً الاسم الموصول (مَنْ) إحالة بعدية على الضمير المستتر في الفعل أكل.

وكذلك قول الجاحظ: "بل الذي أصنع أدلّ على سخاء النفس بالمأكول"[3].

أحال الاسم الموصول (الذي) إحالة بعدية إلى ما بعده الفعل أصنع.

وكذلك قوله: "حتى إذا أُتي بالذي يشتهي بلغ منه حاجته"[4].

هنا أيضاً أحال الاسم الموصول (الذي) إحالة بعدية إلى الفعل (يشتهي)، وقد يحيل الاسم الموصول كما وجدنا في اسم الإشارة إلى قطعة من النص، أو لفحوى الكلام السابق، ومثال ذلك قول الجاحظ:" وإنما يوصف بالجود في الحقيقة، ويشكر على النفع في حجّة العقل، الذي إن جاد عليك فلَكَ جاد"[5]. فقد أحال الاسم الموصول (الذي) إحالة موصوليّة قبليّة إلى فحوى الكلام السابق.

ومن ذلك قول الجاحظ أيضاً:" وتناول أعرابي من بين يدي سليمان بن عبد الملك دجاجة فقال له: يكفيك ما بين يديك وما يليك"[6]. فقد أحال الاسم الموصول (ما) إحالة قبلية إلى الكلام السابق.

ومن أمثلة الإحالة الموصولية إلى نص سابق قول الجاحظ:

"قالوا: وكان المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي يأكل تمراً هو وأصحابه، فانطفأ السراج، وكانوا يلقون النوى في طست، فسمع صوت نواتين، فقال من هذا الذي يلعب بالكعبين"[7]. فقد أحال هنا الاسم الموصول (الذي) إلى النص السابق إحالة قبلية.

أمّا الدور الذي أدته الأسماء الموصولة في جميع الإحالات السابقة الداخلية بنوعيها القبلية والبعدية، فهو تحقيق الاقتصاد في الأداء من خلال التعويض عن ذكر الاسم السابق أو اللاحق مرة أخرى وهذا يحقق التماسك التركيبي لنسيج النصوص ويربط بينها ربطاً محكماً، " فالأسماء الموصولة تكتفي بوظيفة التعويض، إذ تعوّض وتربط ربطاً تركيبياً وهي

---

[1] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي، ص247.
[2] - المصدر السابق، نوادر أهل خراسان (أبو نواس والخراساني)، ص49.
[3] - المصدر السابق، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص148.
[4] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي، ص271.
[5] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص263.
[6] - المصدر السابق، قصة الأصمعي، (دجاجة سليمان بن عبد الملك)، ص229.
[7] - المصدر السابق، قصة الأصمعي، (يلعب بالكعبين)، ص230.

بحكم إبهامها تحتاج إلى صلة تفسرها، "فالصلة ينبغي أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول"[1] وذلك يفسّر التلازم بينهما"[2].

ومن هنا أدّت صلة الموصول أيضاً دوراً في تحقيق الترابط والتماسك بين أجزاء النص، فالاسم الموصول يرتبط بالمحال إليه من جهة، ويرتبط بالصلة من جهة أخرى، لوجود ضمير فيها يعود على الاسم الموصول.

فالاسم الموصول "من الأدوات التي تشّد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدّم ذكره، والعلم به، وما يراه من المتكلم أن يعلم به، أو يضمه إلى ما سبق من العلم به"[3].

وفيما يأتي عرض تحليليّ إحصائيّ لتواتر استخدام الأسماء الموصولة في نصوص البخلاء عند الجاحظ، وتوزعها ضمن النسيج الأفقي للقصص والرسائل والنوادر:

الإحالة الموصولية في نصوص البخلاء للجاحظ								
نوع النص	عنوان النص	عدد الروابط الإحالية الموصولية	توزع الأسماء الموصولة داخل النصوص					
			الذي	التي	الذين	مَنْ	ما
رسائل	رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد	26	-	-	-	14	12
	رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	62	8	1	2	19	32
	رسالة ابن التوأم	88	10	1	3	39	35
نوادر	عدد تواتر الإحالة الموصولية في الرسائل	176	18	2	5	72	79
	نوادر أهل خراسان	30	8	3	-	4	15
	نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	34	9	1	1	4	19
	نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	77	14	2	1	16	44
	عدد تواتر الإحالة الموصولية في النوادر	141	31	6	2	24	78
	قصة أهل البصرة من المسجديين	4	-	-	1	2	1

[1] - ابن الحاجب، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر، الكافية في النحو، شرح: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، 36/2.

[2] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص118.

[3] - خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، الأردن، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2007 م، ص230.

		قصة ليلى الناعطية	3	-	-	-	-	3
		قصة ابن العقدي	20	-	-	-	6	14
	بخلاء الجمع والمنع	تواتر الإحالة الموصولية في قصص بخلاء الجمع والمنع	27	-	-	1	8	18
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	1	-	-	1	-	-
	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	5	1	1	-	1	2
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	32	15	2	-	5	10
		قصة أبي جعفر الطرسوسي	-	-	-	-	-	-
		قصة الحزامي	19	3	2	-	7	7
		قصة الكندي	53	3	7	1	18	24
	البخلاء النفسية	تواتر الإحالة الموصولية في قصص البخلاء النفسية	72	6	9	1	25	31
	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	32	4	-	-	14	14
		تفسير كلام أبي فاتك	33	22	1	-	1	9
	البخلاء الشراه والطفيليين	قصة الأصمعي	18	5	1	-	1	11
		تواتر الإحالة الموصولية في قصص البخلاء الطفيليين	51	27	2	-	2	20
	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	29	7	-	-	6	16
		قصة أسد بن جاني	42	10	3	-	7	22
		قصة أبي سعيد المدائني	47	7	1	1	8	30

		قصة تمام بن جعفر	19	4	-	-	9	6
	البخلاء الحكماء الواعظين	تواتر الإحالة الموصولية في قصص البخلاء الواعظين	108	21	4	1	24	58
		مجموع الإحالة الموصولية في القصص	357	81	18	4	135	169

جدول(3)

ومن استقرائنا للجدول السابق يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1- أكثر الأسماء الموصولة تواتراً في نصوص البخلاء هو (ما) فقد تواتر وروده في النصوص(326) مرّة، ما بين الرسائل والنوادر والقصص، ثم جاء الاسم الموصول (مَنْ) في الدرجة الثانية، فقد بلغت مرات تواتره في النصوص (231) مرّة. وتواتر الاسم الموصول (مَا) بهذه النسبة يدفعنا للتساؤل عن الغاية من وروده بكثرة في نصوص البخلاء، فالمعلوم أنّ (ما) كان أكثر ورودها إحالة داخليّة بعديّة، والإحالة البعديّة "تستخدم لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه، ولهذا فهي تعمل على تكثيف اهتمام القارئ في تلّقي النّص، ففي تلقّي النّص يؤدي وجودها إلى خلق مكان فارغ مؤقت حتى يتمّ شغله بالمرجع المطلوب"[1]. "إنّ استعمال الإحالة البعديّة قد يثير مشكلة لدى مستقبلي النّص تساعد على زجّهم في صميمه، وقد يؤدي تأخير التعبير المشارك إلى دعم قدرة المتلقي على استرجاع العناصر أو الصفات التي ارتبطت بالإحالة البعديّة أكثر من قدرتهم على استرجاع أو تذكّر الصفات التي ارتبطت بالإحالة القبليّة"[2]، وبناءً على هذا يمكننا القول:المعيار في تواتر الاسم الموصول (ما) أكثر من غيره يقاس بمدى قدرته على التعبير عن الفكرة، وبمدى اتحاده بنائياً بغيره من الوسائل الإحالية الأخرى، بحيث تشكّل منظومة عمل واحدة ترسم حدوداً كليّة ومحدّدة للنص.

2- لوحظ شيوع الاسم الموصول (ما) في الرسائل أولاً ثم في القصص، ثم في النوادر، فلو أجرينا مقارنة بين رسالتين وقصتين متساويتين في الكم أو الطول، وهما رسالة سهل بن هارون في مقابل قصة أهل البصرة من المسجديين، ورسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي في مقابل قصة أسد بن جاني، لوجدنا أنّ (ما) هي الأكثر شيوعاً في الرسائل ثم في القصص، فقد بلغ تواترها في الرسالتين 44 مرة، في حين تواترها في القصتين 23 مرّة. "وبالرغم من أن وجود الإحالة كعنصر فاعل أمر مسّلمٌ به في أي نص إلاّ أنّ نسبة وروده

1- deBeaugrand, Robert &Wolfgang, Dressler, Introduction to Text linguistics,p. 61

2- deBeaugrand, Robert &Wolfgang, Dressler, Introduction to Text linguistics,p.63.

اختلفت أحياناً باختلاف النصوص، فزادت في بعضها على البعض الآخر، هذا الاختلاف يلقي بظلاله على جانب نوع النص"[1]. وهذا الشيوع الملحوظ للاسم الموصول (ما) في الرسالتين اللتين تناولناهما في المقارنة مع القصتين، يعود- فيما نحسب- إلى تميّز الرسالتين باستخدام بنية الشعر بشكل ملحوظ، إلى جانب التّناص مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأمثال العربية في أجزاء كثيرة منها.

وأكثر ما نهج الجاحظ هذا النهج في الرسائل، فقد حشد فيها كمّاً هائلاً من الأمثال العربية، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكذلك من الأشعار المطوّلة، وكلها تأتي تدعيماً لفكرته التي يناقشها، ولعل ذلك هو الذي كان السبب في شيوع الإحالة الموصولية بـ(ما) في الرسائل أكثر من النصوص الأخرى.

3- عملت الإحالة الموصولية (ما) بشيوعيها الملحوظ في نصوص البخلاء على تماسك النص وترابطه، من خلال كثرة الإحالات، فضلاً عن دورها في تحقيق الاقتصاد الأدائي "إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصر المحال إليها، وتجنب مستعملها إعادتها، وفي نفس الوقت، تحفظ المحتوى مستمراً في المخزون الفعال دون الحاجة للتصريح به مرة أخرى، ومن ثمّ تتحقّق الاستمراريّة"[2].

[1] - حسام أحمد فرج، نظرية علم النّص، ص85.

[2]- deBeaugrand, Robert & Wolfgang, Dressler, Introduction to Text linguistics,p. 60

3- الإحالة بالضمائر:

ربط النحاة بين الضمائر ومفهوم الإبهام، بمعنى حاجتها إلى ما يميّزها ويفسّرها، وقرن سيبويه بينها وبين أسماء الإشارة[1].

ويعرّف ابن يعيش المضمر بقوله: "المضمر ضربٌ من الكناية، فكل مضمر كناية، وليس كل كناية مضمراً، وإنما صارت المضمرات معارف، لأنك لا تضمر الاسم إلاّ وقد علم السامع على من يعود، فلا تقول: ضربته ولا مررت به، حتى يعرفه ويدري من هو"[2]. وقالوا: "المضمر يصلح لكل مذكور فلا يخص شيئاً بعينه، وقد يكون المذكور قبله نكرة، فيكون نكرة أيضاً على حسب ما يرجع إليه..... وأمّا قولهم: إنّه يعود إلى نكرة فيكون نكرة؛ فنقول: لا نسلم أنه يكون نكرة، لأنّا نعلم قطعاً من عُني بالضمير"[3]. "فالضمائر كلها لا تخلو من إبهام وغموض، سواء أكانت للمتكلم أم المخاطب أم الغائب، فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها ويفسّر غموضها، فأما المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام فهو حاضرٌ يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره مباشرة، وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف، لأنه غير حاضر ولا مشاهد، فلا بدّ لهذا الضمير من شيء يفسره ويوّضح المراد منه"[4]. "فالإبهام والانتقال والتعريف أهم خصائص الضمير، ويرتبط الإبهام بعدم الوضوح ونقصان الدلالة، والافتقار إلى موّضح أو مفسّر أو مبّين للضمير بما يعود عليه من اسم مظهر، حيث يصبح بعد الذكر بين المتحدث والمستمع معرفة بكونه مدار الحديث"[5].

ويوّضح ابن يعيش العلاقة بين الإبهام والانتقال بقوله: "والمعنى بالإبهام وقوعها على كل شيء من حيوان وجماد وغيرهما، ولا تختص مُسّمى دون مسّمى، هذا معنى الإبهام فيها، لا أن المراد به التنكير"[6]، ولكنّه يصف اسم الإشارة ولم يصف المضمر بذلك، بل إنّه قد فرّق بين المضمر والمبهم، بأنّ المضمر في الغالب يبيّن بما قبله، وهو المظهر الذي يعود عليه المضمر، نحو قولك: زيد مررت به، والمبهم الذي هو اسم الإشارة يفّسر بما بعده وهو اسم الجنس كقولك هذا الرجل والثوب ونحوه[7]. فالمشكلة لا تتمثّل في المتكلم والمخاطب وإنما في الغيبة، وصحيح أن الضمير مبهم، يحتاج إلى ما يفسّره، لكنّ هذا الإبهام يزول حال إجراء الضمير في التركيب، فيصبح الضمير أشد الأسماء تعييناً وتوضيحاً وتفسيراً، ويفسّر المبّرد التعريف في المضمر بقوله: "وإنما صار الضمير معرفة، لأنك لا تضمره إلاّ بعد ما

---

[1] - سيبويه، الكتاب، 79/2.
[2] - شرح المفصل، ابن يعيش، 86/5 – 87.
[3] - المصدر السابق، 87/5.
[4] - حسن، عباس، النحو الوافي، 255/1.
[5] - بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوّية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص112.
[6] - ابن يعيش، شرح المفصل، 86/5.
[7] - المصدر السابق 86/5 بتصّرف.

يعرفه السامع، وذلك أنك لا تقول: مررت به، ولا ضربته ولا ذهب، ولا شيئاً من ذلك حتى تعرفه، وتدري إلى من يرجع هذا الضمير"[1]. وكذلك حرص النحاة على تحديد مراتب للضمائر من حيث تعريفها يقول ابن يعيش: "واعلم أنّ المضمرات وإن كانت أعرف المعارف إلاّ أنها تتفاوت أيضاً في التعريف، فبعضها أعرف من بعض، فأعرفها وأخصها ضمير المتكلم نحو أنا والتاء في فعلت، والياء في غلامي وضربني، لأنه لا يشارك المتكلم أحد، فيدخل معه فيكون ثمّ لَبس، ثم (المخاطب) وإنما قلنا أن المخاطب منحط في التعريف عن المتكلم؛ لأنه قد يكون بحضرته اثنان أو أكثر فلا يعلم أيهم يخاطب، ثم (الغائب) وإنما انحط ضمير الغائب عنهما، لأنه قد يكون كناية عن معرفة وعن نكرة حتى قال بعض النحويين إنّ كناية النكرة نكرة"[2]. "وتتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب (أي حسب مشاركة الأشخاص المشار إليهم في عملية التلفظ أو عدم مشاركتهم فيها) إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقّبل، وكل مجموعة منهما تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة، أما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد، فضمائر الحضور أكثر تفصيلاً من ضمائر الغياب، هذا يرتبط بأولوية الشخوص المشاركة في عملية التلفظ"[3]. "إنّ بنية الضمائر العربية مبنية على التقابل بين الحاضر والغائب، حضور المرجع أو غيابه، فالضمير" أنا "يحيل وجوباً إلى من يقول أنا، وقوله أنا يفرض حتماً حضور آخر يّوجه إليه خطابه، ويشار إليه بـ(أنت) وهذه العلاقة الوثيقة التي تربط المتكلم بالمخاطب، وتفرض حضورهما الضروري والمشترك في عملية القول أو التخاطب، تبرز جلياً في إطلاق تسمية الغائب على كل من ليس حضوره ضرورياً"[4].

وتقسم الضمائر في العربيّة من حيث إحالتها ثلاثة أقسام، ضمائر المتكلم مثل أنا والتاء والياء ونا ونحن، ضمائر المخاطب مثل: أنت، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنّ والكاف وفروعها، ويشترك هذان النوعان في كون إحالتهما إحالة خارجية دائماً، ولعلّ مسوّغ ذلك كونهما حاضرين في المقام التخاطبي. أما النوع الثالث فهو ضمير الغائب وهذا النوع من الضمائر هو الذي يهمنا في هذا البحث؛ لأهميته في تحقيق التماسك في النص؛ لأنه يربط الكلام بعضه ببعض" والضمير(هو) له ميزتان: الأولى: الغياب عن الدائرة الخطابية، والثانية: القدرة على إسناد أشياء معيّنة، وتجعل هاتان الميزتان من هذا الضمير موضوعاً على قدر كبير من الأهمية

---

[1] - المبّرد، المقتضب، 280/4.

[2] - ابن يعيش، شرح المفصل، 88/5.

[3] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص117.

[4] - فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته، محاور الإحالة الكلامية (1)، ص19.

في دراسة تماسك النصوص"[1]. والمشكلة في ضمير الغائب، عندما يحيل إلى لاحق يقع بعده، وهو ما سنتعرض له بالأمثلة لاحقاً، ومن المهم في استخدام الضمائر المطابقة بين الضمير ومرجعه، وهي التي تحقق التماسك في الكلام[2]، وينبغي هنا أن نفرّق بين عدم المطابقة وعدم الربط، فالأول يؤدي إلى خلل أسلوبي، والثاني يؤدي إلى خلل في المعنى، فلو اقتطعنا النص التالي من نصوص البخلاء للجاحظ: "وصحّت توبته، وتمّ عزمه، في ألاّ يؤاكل رغيباً أبداً ولا زهيداً، ولا يشتري سمكة أبداً رخيصة ولا غالية، وإن أهدوها إليه أن لا يقبلها، وإن وجدها مطروحة لا يمسّها"[3].

فإذا قلنا : وصحّت توبته وتمّ عزمه، في ألاّ يؤاكل رغيباً أبداً ولا زهيداً، ولا يشتري سمكة أبداً رخيصة ولا غالية، وإن أهدونا أو أهدوهما أو أهدوه إليه أن لا يقبلها... فنلحظ كيف أدى تغيير العدد والجنس والجهة إلى خلل أسلوبي غير مقبول، ولو حذفنا الضمير من صحت أو من عزمه وقلنا: وصحّ توبته وتمّ عزم لاختل الفهم وذهب إلى فكرة أخرى وأدى إلى اضطراب في فهم النص، " فالدلالة في كثير من الأحيان تبقى غامضة، وكذلك تبقى الجمل متناثرة لا رابط يربطها، وبالطبع هذه الجمل تحمل دلالات متناثرة، إلى أن تظهر الضمائر لتمثل ذلك الجسر الذي يوصل بين هذه المتناثرات ويربط بينها"[4].

ويقوم التفريق في العربيّة بين الضمائر المنفصلة والضمائر المتّصلة على أساس الموقع الذي يأخذه الضمير في التركيب، فالضمير المتصل يقع بعد لفظ آخر، ويتصل به سواء أكان اللفظ الآخر فعلاً نحو سألتمونيها أو اسماً نحو كتابنا أو حرفاً نحو لكما، ويعامل من الناحية الكتابية والإملائية معاملة جزء الكلمة، وليس كلمة مستقلة، وإن عومل من الناحية النحوية (ولاسيما الإعرابية) معاملة الكلمة المستقلّة أما الضمير المنفصل فيتسم بالاستقلال من الناحتين الإملائية والنحوية" وجميع الضمائر المنفصلة تشارك نظائرها المتصلة في الدلالة على التكلم أو الخطاب أو الغيبة، فلكل ضمير منفصل ضمير أخر متصل يماثله في معناه، فالضمير (أنا) يماثل (التاء)، والضمير (نحن) يماثل (نا)"[5].

التطابق بين الضمير ومرجعه:

يعد التطابق الوسيلة الكفيلة بربط الضمير بمرجعه، وهو ما يمنح التركيب سمة التماسك، وإذا كان الأصل في نظام الضمائر في العربيّة أن يستخدم كل ضمير لمرجع معين، وفقاً لمقولات الجهة، والجنس، والعدد، بحيث يشير ضمير المتكلم مثلاً إلى المتكلم، والمذكر إلى

---

[1] - فالاتسي، جزيل، النقد النصي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تأليف : مجموعة من الكتاب، ترجمة : د. رضوان ظاظا، مراجعة د. المنصف الشنوفي، سلسلة عالم المعرفة، ع 221، مايو 1997م، ص196.

[2] - http://www. lissaniat. net/viewtopic. php?t=533

[3] - الجاحظ، البخلاء، 158.

[4] - الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 1 / 164.

[5] - حسن، عباس، النحو الوافي، 227/1.

المذكر، والمفرد إلى المفرد، فإن هذا النظام يسمح بنوعين من الاستثناءات، أحدهما وضعي تسمح به قواعد النحو، والثاني بلاغي يخضع لاعتبارات أسلوبية.

1- الاستثناء الوضعي:

بمقتضى هذا الاستثناء يستخدم ضمير المتكلمين (نحن، نا) للمتكلم المفرد، وضمير المخاطبين (أنتم) ونحوه للمخاطب المفرد لأجل تعظيمهما ومن أمثلة ذلك قول الجاحظ: "وليس هذا الحديث من حديث المراوزة، ولكنّا ضممناه إلى ما يشاكله"[1]. فأشار الجاحظ هنا بقوله (لكنا ضممناه) إلى المتكلم المفرد وهو ذاته، ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ: "حسدتم للمقتصدين تدبيرهم، ونماء أموالهم ودوام نعمتهم، فالتمستم تهجينهم بهذا اللقب وأدخلتم المكر عليهم بهذا النبز"[2].

فهنا الكلام للحزامي والمخاطب الجاحظ وهو مفرد فوجه الحزامي خطابه بصيغة (أنتم) في قوله (حسدتم) و(التمستم) و (أدخلتم) مع أن المخاطب مفرد.

ومن ذلك أيضاً معاملة غير العاقل معاملة العاقل إذا أسند إليه صفة من صفات العقلاء، كما في قول الجاحظ:" كان يقول: كلوا الباقليّ بقشوره، فإنّ الباقليّ يقول: من أكلني بقشوري فقد أكلني، ومن أكلني بغير قشوري فأنا الذي آكله"[3]. فهنا نلحظ كيف عومل غير العاقل (وهو الباقليّ) معاملة العاقل بإسناد صفة الكلام إليه.

2- الاستثناء البلاغي :

يتمثّل في عدم مراعاة المطابقة بين الضمائر لأغراض بلاغيّة أو ما سميناه بالاستثناء البلاغي في الظاهرة المشهورة بالالتفات، وهي ظاهرة تختل فيها المطابقة في الجهة و في العدد.

أ-المخالفة في الجهة:

ونقصدُ بها التحوّل والالتفات بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، ومن أمثلته التي وردت في نصوص البخلاء قول الجاحظ: "ويحكَ يا أبا القماقم إنّي قد تزوّجت زوجاً نهاريّاً والساعة وقته، وليست عليّ هيئة فاشترِ لي بهذا الرغيف آساً"[4].

نلحظ هنا الالتفات في الخطاب من المتكلم إلى المخاطب.

ومن ذلك قوله: " فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة، فإن ماءها جلاءٌ للصدر، وقوتها غداء وعصمة"[5].

وهنا نلحظ الالتفات من المخاطب إلى الغائب.

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان(الإيمان بالخلف)، ص54.
[2] - المصدر السابق، قصة الحزامي (لا المفسد ينجو ولا المصلح يسلم)، ص107.
[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني (يوصي عياله بأكل العلف)، ص161.
[4] - المصدر السابق، طرائف شتّى(أول الإصلاح)، ص191.
[5] - المصدرالسابق، قصة أهل البصرة من المسجديين (الغذاء بالنخالة)، ص60.

ومن ذلك قول الجاحظ: " من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمّن، وأعلفَ حماره السمسم المقشّر، فعبتموني بالختم"[1].

أيضاً هنا نلحظ الالتفات من الغائب إلى المخاطب.

وكذلك قوله"ولسنا ندعُ سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء، لأصحاب الأهواء، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم"[2].

نلحظ هنا الالتفات من المتكلم إلى الغائب.

أ- المخالفة في العدد :

ومن المخالفة في العدد الالتفات من الجمع إلى المفرد نحو قول الجاحظ: " اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله، وعن باكورات الفاكهة، فإنّ للنفس عند كل طارف نزوة، وعند كل هاجم بدوه، وللقادم حلاوة وفرحة، وللجديد بشاشة وغرّة، فإنك متى رددتها ارتدّت ومتى ردعتها ارتدعت"[3]. نلحظ هنا كيف ابتدأ الجاحظ قوله بصيغة الجمع (اصبروا) ثمّ تحوّل إلى صيغة المفرد بقوله (إنّك).

ومن المخالفة في العدد الالتفات من المفرد إلى الجمع نحو قول الجاحظ: "وأمّا زهده في رؤوس مسجد ابن رغبان، فإنّ االبصريين يختارون لحمَ الماعز الخصّي على الضأن كلّه"[4]، فهنا نلحظ كيف تحوّل الجاحظ من صيغة المفرد في قوله (زهده) إلى صيغة الجمع في قوله (البصريين).

وتنقسم الإحالة الضميرية في نصوص البخلاء إلى **إحالة ضميريّة بعديّة وإحالة ضميريّة قبليّة**، فأما الإحالة الضميريّة البعديّة فمثالها قول الجاحظ: "وهذا رأينا في التسّلم من الذّم، وذاك رأيكم في التعرضّ للحمد"[5].

فقد أحال ضمير المتكلم في (رأينا) وضمير المخاطب (رأيكم) إلى ما بعدهما إحالة ضميرية بعدية.

ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ: "فلمّا طالتْ به الأيامُ، ومرّت أيام السلامة، جعل في الجناح خرقاً بقدر عينه"[6].

فهنا أحالت التاء وهي ضمير متصل إلى ما بعدها (الأيام) إحالة ضميرية بعدية.

ومن ذلك قول الجاحظ أيضاً: " فيستّرده ممّن لا يردّه، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب، وأقبح ما يكون به الكسبُ"[1]. فقد أحالت الهاء في(به)

---

[1] - المصدر السابق، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص32.

[2] - الجاحظ، البخلاء، الرسالة نفسها، ص37.

[3] - المصدر السابق، قصة الكندي (شروط الكندي على سكان داره)، ص145.

[4] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني، ص173.

[5] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص237.

[6] - الجاحظ، البخلاء، أحاديث البخلاء(الكناني والخابية)، ص301.

إلى ما بعدها (الكسب) إحالة ضميريّة بعديّة. ومنه قول الجاحظ: "لو سُئلت العارية أين تذهبين قالت: أكسب أهلي ذماً"[2] فأحالت التاء إلى ما بعدها (العارية) إحالة ضميرية بعدية، والأصل في عود الضمير أن يرجع إلى متقدّم في الذكر، لأن الضمائر بطبيعتها ملبسة، فلا تتقدم على مراجعها، بل ينبغي أن تتقدم تلك المراجع لفظاً، أو معنىً أو حكماً" لأنك إذا قلت: قاموا، وما أشبهه احتمل الزيدين، والعمرين، والمسلمين، والمشركين، فأرادوا ألاّ يعيدوها إلاّ على ما يتقدّم ذكره وفقاً لهذا الإلباس"[3].

ويجوز أن يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً في الحالات التالية:

1- أن يكون الضمير مرفوعاً بفعل يراد به المدح والذم ولا يفسّر إلاّ بالتمييز نحو: نعم رجلاً زيدٌ، وبئس رجلاً عمرو، ويلتحق بهما فعل الذي يراد به المدح والذم نحو: " ساء مثلاً القوم"[4].
2- أن يكون مرفوعاً بأول المتنازعين العمل ثانيهما نحو قوله: جفوني ولم أجف الأخلاءَ.
3- أن يكون مخبراً عنه فيفسره خبره نحو:﴿إن هي إلاّ حياتنا الدنيا﴾[5]. أن يكون مما يسمى ضمير الشأن والقصة نحو قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾[6].
4- أن يقع بعده اسم ظاهر بدلاً منه ومفسّراً له مثل: أحضرته الماءَ.
5- أن يقع في محل جر بربّ ومفسّرا بتمييز بعده نحو:

ربّه فتيةٍ دعوتُ إلى ما يورث المجد دائباً فأجابوا

6- أن يتصل بفاعل مقدم ويكون المرجع مفعولاً به مؤخراً نحو:
سامح أخوه سعيداً[7].

ومن أمثلة الإحالة الضميريّة القبليّة قول الجاحظ:

"كان ابنُ العقدي ربّما استزار أصحابه إلى البستان، وكنتُ لا أظنه ممّن يحتمل قلبه ذلك على حال. فسألتُ ذات يوم بعض زوّاره فقلت: احكِ لي أمركم"[8].

نلاحظ في بداية النص ورود المسند إليه" ابن العقدي" كعنصر إشاري يفسّر كلّ المحيلات اللاحقة عليه (استزار، أصحابه، أظنه، ممّن، قلبه، زوّاره) كما هو مبّين في الشكل:

---

[1] - المصدر السابق، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بم زياد زإلى بني عمه من آل زياد، ص34.
[2] - المصدر السابق، أحاديث البخلاء(اللسان يكذب والحال لا تكذب)، ص311.
[3] - ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، أمالي ابن الحاجب، تحقيق : فخر صالح سليمان قدارة، عمّان : دار عمار، بيروت : دار الجيل. ، د. ط، 1989، 772/2.
[4] - سورة الأعراف، الآية 177.
[5] - سورة الأنعام، الآية 29.
[6] - سورة الإخلاص، الآية1
[7] - ابن هشام، جمال الدين، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ص635.
[8] - الجاحظ، البخلاء، قصة ابن العقدي، ص198.

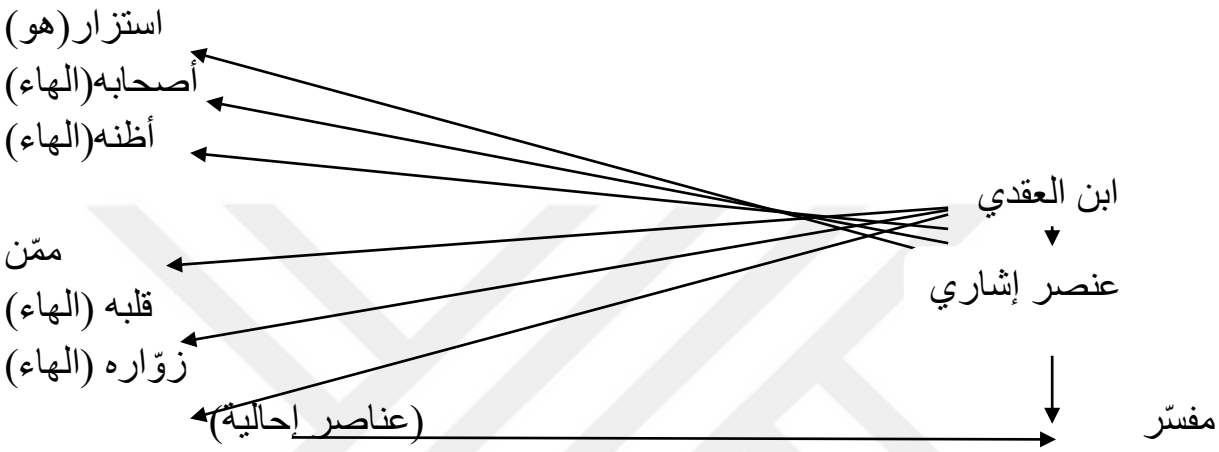

الشكل رقم (1)

وكلّ هذه الضمائر تحيل إحالة داخلية قبلية إلى العنصر الإشاري الذي يفسّرها ويحدّد معناها وهو (ابن العقدي) المتكرر في صورة ضمائر (مستترة ومتصَلة وموصولة) والتي تسهر على حضوره واستمراره على امتداد طول النص، لم يرد في موضع الحاجة إليه بل عوّضته واختصرته الضمائر العائدة إليه بعد امتصاصها لخصائصه الدلالية، ممّا يجعلها مرتبطة به شكلاً ودلالة.

"قالوا: وكان معاوية تعجبه القبّة، وتغدّى معه ذات يومٍ صعصعة بن صوحان، فتناولها صعصعة من بين يدي معاوية"[1].

فقد أحالت الهاء في (تناولها) إلى القبّة، وأحالت الهاء في (معه) وفي (تعجبه) إلى معاوية إحالة قبليّة. ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ: "كان يقول لعياله: لا تلقوا نوى التمر والرطب، وتعوّدوا ابتلاعه، وخذوا حلوقكم بتسويغه"[2].

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة الأصمعي(من أجدب انتجع)، ص229.
[2] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني(يوصي عياله بأكل العلف)، ص161.

أحالت هنا واو الجماعة في (تلقوا) و(تعوّدوا)، و(خذوا) إلى العيال وكذلك الكاف في (حلوقكم). وأحالت الهاء في (ابتلاعه) (تسويغه) إلى نوى التمر والرطب، والإحالة في كل ذلك ضميريّة قبليّة.

ونلحظ هنا كيف ارتبطت الجملتان بعضهما ببعض عن طريق الإحالة بالضمائر" وبصفة عامة وجود الجملة مستقلة داخل النص دون رابط يربطها بأخواتها من الجمل الأخرى، أمر صعب تحققه؛ لأن الجملة ما هي إلاّ لبنة من لبنات بناء النص التي لا يمكن أن توجد منفصلة؛ لأنها جزء لا يتجزأ منه"[1].

مرجعية الضمير وإزالة اللبس:

إعادة الضمير إلى مرجعه من أهم المهام التي يقوم بها مفسّر النّص؛ لأنها تزيل عنه اللبس، وتوضح دلالته، ولا شك أن اللبس يحول دون تماسك النص، كما أنّ إزالة اللبس عن النص يقوّي تماسكه، ويبيّن الرابط بين أجزائه، ولمّا كان ضمير المتكلم والمخاطب يرجعان إلى المشاركين في عملية التخاطب فإن مُهمة تحديد من يشيران إليه عملية سهلة عادة؛ لعدم إمكان اللبس فيها، ولكن الصعوبة قد تكتنف عملية عزو ضمير الغائب إلى صاحبه لأنه" عار عن المشاهدة، فاحتيج إلى عود الضمير ما يفسره"[2].

أما كيفيّة إزالة هذا اللبس في مرجعية الضمير فسنوضحها بالآتي:

اشتهر بين النحاة ضابط مشهور قصد به تقنين عملية إعادة الضمير إلى مرجعه وهو أنّ" الضمير يرجع إلى الأقرب في الكلام إليه"[3]. غير أنّ الضابط المذكور يحتاج إلى تقييد وذلك بأن يقال : أقرب مذكور صالح لغةً وعقلاً لعود الضمير إليه" وإنما يعود الضمير على الأقرب في غير صورتين إحداهما أن يوجد دليل على أنّ المرجع ليس هو الأقرب مثل:

حضرت سعاد وضيف فأكرمتها، والثانية أن يكون الأقرب مضافاً إليه: فيعود الضمير على المضاف... إلاّ إذا وجد دليل يدّل على أن المقصود بالضمير هو المضاف إليه لا المضاف، فيجب الأخذ بالدليل مثل :عرفت مضمون الرسالة ثم طويتها؛ لأن تأنيث الضمير دليل يدل على أن المقصود بالضمير هو المضاف إليه لا المضاف، فيجب الأخذ بالدليل"[4]. وقد أشار النحاة القدامى إلى أن إعادة الضمير على المتحدث عنه أولى من إعادته إلى الأقرب[5].

ومن ذلك قول الجاحظ:

---

[1] - الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 165/1.

[2] - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، قام بتصيحه السيد محمد بدر الدين النعساني، محمد أمين الخانجي وشركاه ط1، د. ت، 65/1.

[3] - حسن، عباس، النحو الوافي، 263/1.

[4] - حسن، عباس، النحو الوافي، /262.

[5] - السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، /65.

"هذا عليّ الأسواريّ أكل مع عيسى بن سليمان بن عليّ، فوضعت قدّامهم سمكة عجيبة فائقة السّمن، فجلط بطنها جلطة"[1]. فضمير الغائب في جلط يعود إلى عليّ الأسواري وليس إلى أقرب مذكور وهو عيس بن سليمان بن عليّ.

وهناك أمثلة يصعب أن نحددّ فيها مرجعية الضمير إلى المتحدث عنه أو إلى أقرب مذكور ومن ذلك قول الجاحظ مثلاً: "إنّ للغنى سُكراً وإن للمال لنزوة، فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى فقد أضاعه"[2]. فالهاء في (أضاعه) هنا يمكن أن تعود على المتحدث، والمعنى أنّ الغنى أضاع صاحبه. ويمكن أن تعود إلى (سكر الغنى) والمعنى أن من لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاع الغنى.

ويبقى اللبس في مثل هذه الحالات مرهوناً بالرجوع إلى المعنى.

ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ:

"وعلى أن العود والخلال والقصبة ربما تعلّقت بها الشعرة من قطن الفتيلة إذا سويناها بها فيشخص لها"[3]. فهنا نلحظ أن اللبس قد وقع في مرجع (الهاء) في (سوّيناها) فيمكن أن يعود إلى(العود والخلال والقصبة)، ويمكن أن يعود إلى (الشعرة).

الإحالة بضمير الفصل:

ومن الإحالات الضميريّة التي حققّت تماسكاً في البنية الأفقية لنصوص البخلاء، الإحالة بضمير الفصل، فمن المهام الأساسية لضمير الفصل في العربية إزالة اللبس، ولاسيّما في تحديد الخبر والتمييز بينه وبين النعت، " والكوفيون يسمونه عماداً لأنه يعتمد عليه في الفائدة، إذ به يتبين أن الثاني خبر لا تابع، وبعض الكوفيين يسمّيه دعامة، لأنه يدعم به الكلام، أي يقوّي به ويؤكّد، والتأكيد من فوائد مجيئه"[4]. وفسّر النحاة هذا الضمير[5] بأنه" ضمير على صيغة المرفوع المنفصل يطابق ما قبله في التكلم والخطاب والغيبة" وفائدة الفصل عند الجمهور التأكيد وعند السهيلي: الاختصاص، فإذا قلت: كان زيد القائم، كان إخباراً عن زيد بالقيام، واحتمل أن يكون غيره قد شاركه فيه، وإذا قلت: كان زيد هو القائم، أفاد اختصاصه بالقيام دون غيره"[6].

أمّا وظيفة هذا الضمير فقد حدّدها أحد المحدثين بقوله: "وظيفة هذا العنصر (ضمير الفصل) في تدعيم الكلام بأكمله؛ لأنه يحقّق صلة معنوية بين طرفي الإسناد حيث يكون

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحارثي، ص112.

[2] - المصدر السابق، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص36.

[3] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان(فضل قنديل الزجاج)، ص43.

[4] - السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 68/1.

[5] - http://www. ta5atub. com/montada-f5/topic-t87

[6] - التوحيدي، أبو محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق : رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، القاهرة : مكتبة الخانجي، ط1، 1998م، 495/1.

عنصراً محيلاً إلى الاسم السابق الذي يزيل الإبهام فيه من جهة، ثم يعتمد عليه الكلام التالي له؛لأنه ينبني عليه، فيكون جسراً تركيبياً دلالياً بين أجزاء الكلام, بل عاملاً قوياً على إزالة أي نوع من الإلباس لدى المخاطب حين يتكرر"[1]. وقد حدّد ابن يعيش شرائط ضمير الفصل بثلاث: "أحدها أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع، ويكون هو الأول في المعنى"[2] و"معنى ذلك أنه يرتبط بالاسم المشير إليه ارتباطاً معنوياً لا لفظياً"[3].

وهذا ما أكده سيبويه فقد قال: "واعلم أنها تكون في إنّ وأخواتها فصلاً، وفي الابتداء، ولكنّ وما بعدها مرفوعٌ، لأنه مرفوعٌ قبل أن تذكر الفصل"[4].

ثم قال: وقد جعل ناس كثير من العرب هو وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبني عليه، فكأنه يقول: أظن زيداً هو خير منك، وناس كثير من العرب يقولون: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون﴾[5] فلا قيمة لحركة الاسم العائد عليه؛ لأن الصلة بينهما صلة معنوية، كما أنه لا يتأثر بحركة الاسم لأنه مرفوع الموضع، ولما كان هو الأول في المعنى، فالمبني عليه لا بد أن يرتفع ويحول بذلك بينه وبين العوامل السابقة له.

"فالفصل من عبارات البصريين، كأنّه فصل الاسم الأول عمّا بعده، و آذن بتمامه، وإن لم يبق منه بقية من نعتٍ و لا بدلٍ إلاّ بالخبر لا غير، و العماد من عبارات الكوفيين، كأنّه عمد الاسم الأول وقوّاه بتحقيق الخبر بعده، والغرض من دخول الفصل في الكلام ما ذكرناه من إرادة الإيذان بتمام الاسم وكماله، وأنّ الذي بعده خبر، وليس بنعت وقيل: أتى به ليؤذن بأن الخبر معرفة أو ما قاربها من النكرات"[6]. "فالتوكيد يتحقق عند البصريين للعنصرين معاً، أو للجملة بأكملها، أو للكلام كما يقولون، ولم يَحُلْ ذلك دون فهم الإشارة الموجودة في قولهم (فصل الاسم الأول عما قبله) بأنها تلك الصلة المعنوية القائمة بينهما، إذ يُراد من ضمير الفصل أن يبقى الركن الثاني في معنى الركن الأول، وهو معنى الابتداء، وأن يُزيل عنه أي معنى آخر، أما التوكيد عند الكوفيين فيتحقق للعنصر الأول فقط، والحق أنهم أصابوا في إثبات الصلة الوثيقة بين ضمير الفصل والاسم المحيل إليه"[7].

---

[1] - بحيري، د. سعيد حسن، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، ص238.
[2] - ابن يعيش، شرح المفصل، 110/3.
[3] - بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص136.
[4] - سيبويه، الكتاب، 392/2.
[5] - سورة الزخرف، الآية 76. سيبويه، الكتاب، 393/2 بتصرف.
[6] - ابن يعيش، شرح المفصل، 110/3.
[7] - بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص137.

ومن أمثلة الإحالة الضميرية بضمير الفصل في نصوص البخلاء قول الجاحظ:" لأنّي أنا الذي أقضي لك الحاجة"[1]. هنا أحال ضمير الفصل (أنا) إحالة ضميرية إلى السابق وربط الكلام اللاحق به لاعتماد المعنى عليه.

ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ: " فهذا الذي يدلكّم أن الصوّت هو الذي يدبغها"[2].

هنا أيضاً أحال ضمير الفصل (هو) إلى الاسم السابق (الصوت) وارتبط بما بعده عن طريق المعنى.

ومنه أيضاً قول الجاحظ: " الفسوةُ هي الضرطة بلا صوت"[3].

أفاد أيضاً هنا ضمير الفصل (هي) الإحالة إلى السابق (الفسوة) وربط الكلام اللاحق به من خلال المعنى.

الإحالة بضمير الشأن:

ومن الإحالات الضميرية في نصوص البخلاء، الإحالة بضمير الشأن أو القصة,إذ "يشكل ضمير الشأن بنية إحالية ذات وظيفة خاصة، حرص النحاة على تأكيدها، وهم يتفقون أساساً في أنه مبهم، غائب مفرد، يتصدر الجملة يفسره ما يليه، يُقصد به التعظيم والتفخيم، وهو بذلك يخالف الضمائر الأخرى في أشياء، ويتفق معها في أشياء أخرى، فالضمير عادةً ما يفسره ظاهر يتقدّم عليه، وهو يحيل عليه (وبخاصة ضمائر الشخص) أما ضمير الشأن فله استخدامٌ خاصٌ، إذ إنه كناية عن الجملة بعده، وتكون الجملة خبراً له وتفسيراً له أيضاً، ولذا يطلق عليه ضمير الجملة"[4].

ولم يخرج أحد من النحاة على ضرورة أن تحمل الجملة المفسّرة هذا المضمون، يقول الرضي: "والقصد بهذا الإبهام ثم التفسير تعظيم الأمر وتفخيم الشأن، فعلى هذا لابد أن يكون مضمون الجملة المفسّرة شيئاً عظيماً يُعتنى به"[5].

ويفسّر ذلك بأنه ربما قُصد بوضع ضمير الشأن في مقدمة الجملة شدّ الانتباه بالإبهام إلى ما يليه، رغبةً في تعظيمه وتفخيم شأنه، أو أنْ يصبح ذهن السامع في غاية التنبّه والترصّد لما سيبيّن الضمير، وما يكشف فيه من غموض، وعلينا إذن أن نتبنّى هذا الدور من خلال الأمثلة التي سوف نعالجها، ونحدّد هل تتحقق الإشارة من خلال هذا الاستخدام إلى أمر عظيم، بالإضافة إلى القيود التي وضعها النحاة له، ومنها أنه لا يعود إليه ضمير من الجملة المفسّرة التي هي خبره، ولا يبدل منه، ولا يؤكد، ولا يقدم الخبر عليه"[6].

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، الرجوع إلى أحاديث البخلاء(ثمامة وطالبا الحاجة)، ص313.

[2] - المصدرالسابق، قصة أسد بن جاني(الفساء يدرّ القمل والصوت يدبغ)، ص177.

[3] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني (الفساء يدرّ القمل والصوت يدبغ)، ص177.

[4] - بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص125.

[5] - ابن الحاجب، الكافية في النحو، 27/2.

[6] - المصدر السابق، 26-27.

"كان العرب الفصحاء - ومن يحاكيهم اليوم – إذا أرادوا أن يذكروا جملة (اسمية أو فعلية) تشتمل على معنى هام، أو غرض فخم، يستحق توجيه الأسماع والنفوس إليه – لم يذكروها مباشرة – خالية ممّا يدّل على تلك الأهمية والمكانة، وإنما يقدمون لها بضمير يسبقها، ليكون الضمير بما فيه من إبهام وتركيز، - ولا سيما إذا لم يسبقه مرجعه –مثيراً للشوق والتطلّع إلى ما يزيل إبهامه، باعثاً للرغبة فيما يبسط تركيزه، فتجيء الجملة بعده؛ والنفس متشوقة لها، مقبلة عليها في حرص ورغبة، فتقديم الضمير ليس إلاّ تمهيداً لهذه الجملة الهامة، لكنه يتضمن معناها تماماً، ومدلوله هو مدلولها، فهو بمثابة رمز لها، ولمحة أو إشارة توّجه إليها"[1].

ومن أمثلة الإحالة الضميرية بضمير الشأن في نصوص البخلاء قول الجاحظ : " والدليل على أنه ليس بهم خوف الفقر"[2].

"جعلنا الواحدَ طباهجة والآخر كردناجاً، فإنه يوم كردناج"[3].

"يقال إنه ليس في الأرض بلدة واسطة ولا نائية شاسعة ولا طرف من الأطراف إلاّ وأنت واجد بها المديني والبصري والحيري"[4].

ففي الأمثلة السابقة نلحظ كيف أدت الإحالة الضميرية بضمير الشأن (أنه، إنه) دوراً في تحقيق التماسك والربط، فقد جاءت كنايةً عن الجملة التي بعدها، فضلاً عن التشويق والإثارة التي أثارتها هذه الضمائر، فقد جذب ضمير الشأن في كلٍ منها السمع إلى أمر عظيم أو هام حملته الجملة اللاحقة له أو المفسّرة.

من خلال ما تقدّم نستنتج أنّ الوظيفة التي يؤديها الضمير في الجملة أولاً وفي النص ثانياً هي الربط والإحالة، فالربط نقصد به ربط أخر الكلام بأوله، لتحصيل الاتساق والتماسك اللغوي، والإحالة بالضمير ضربٌ من الاختصار وتلافي التكرار في الكلام.

ولمعرفة الدور الذي أدّته الضمائر في تحقيق التماسك في البنية الأفقية لنصوص البخلاء، بين الجمل في الدرجة الأولى، وبين النصوص في الدرجة الثانية نورد فيما يأتي عرضاً تحليلياً إحصائياً لتواتر استخدام الضمائر في نصوص البخلاء عند الجاحظ، وتوزعها في النسيج النصي لنصوص البخلاء على اختلاف أنواعها:

الإحالة الضميرية في نصوص البخلاء للجاحظ

[1] - حسن، عباس، النحو الوافي، 250/1.
[2] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص244.
[3] - المصدر السابق، الرجوع إلى أحاديث البخلاء(الدخل قليل والعيال كثير)، ص 317.
[4] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص287.

نوع النص	عنوان النص	عدد الروابط بالضمائر الإحالية المتصلة	عدد الروابط بالضمائر الإحالية المنفصة	توزع الضمائر داخل النصوص		
				ضمائر المخاطب	ضمائر المتكلم	ضمائر الغائب
رسائل	رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد	296	10	103	84	167
	رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	549	29	134	66	509
	رسالة ابن التوأم	940	31	353	170	764
نوادر	عدد تواتر الإحالة الضميرية في الرسائل	1785	70	590	320	1440
	نوادر أهل خراسان	550	57	109	148	440
	نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	507	36	112	163	385
	نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	882	47	208	276	742
قصص	عدد تواتر الإحالة الضميرية في	1939	140	429	587	1567

		النوادر					
	بخلاء الجمع والمنع	قصة أهل البصرة من المسجديين	256	14	39	88	138
		قصة ليلى الناعطية	101	12	19	54	64
		قصة ابن العقدي	440	14	78	151	371
		تواتر الإحالة الضميرية في قصص بخلاء الجمع والمنع	797	40	136	293	573
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	100	9	26	34	68
	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	185	13	28	39	171
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	603	34	123	197	473
	البخلاء النفسية	قصة أبي جعفر الطرسوسي	18	-	4	1	16
		قصة الحزامي	355	31	38	132	310
		قصة الكندي	654	34	156	102	512
		تواتر الإحالة الضميرية في قصص البخلاء النفسية	1027	65	198	235	838

	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	326	18	46	47	357
	البخلاء الشراه والطفيليين	تفسير كلام أبي فاتك	152	18	58	27	141
		قصة الأصمعي	427	22	116	87	384
		تواتر الإحالة الضميرية في قصص البخلاء الطفيليين	905	58	220	161	882
	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	421	25	71	59	431
	البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أسد بن جاني	494	45	128	104	473
		قصة أبي سعيد المدائني	295	16	76	136	224
		قصة تمام بن جعفر	154	20	57	32	159
		تواتر الإحالة الضميرية في قصص البخلاء الواعظين	943	81	261	272	856
		مجموع الإحالة الضميرية في القصص	5307	343	1109	1337	4649

جدول(4)

ومن استقرائنا للجدول السابق يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1- أكثر الضمائر تواتراً في نصوص البخلاء هو ضمير (الغائب) فقد تواتر وروده في النصوص (7656) مرةً ما بين الرسائل والنوادر والقصص، ثم جاء ضمير المتكلم في الدرجة الثانية، فقد بلغ تواتره في النصوص (2244) مرّةً، وفي الدرجة الثالثة جاء ضمير المخاطب بتواتر قدره (2128) مرّةً.

2-الضمير المحيل إلى الغائب هو الذي قام بوظيفة الربط بين الفقرات، ولا تكاد تخلو منه فقرة من الفقرات في أي نص من النصوص المدروسة، وجماليّة النصوص تكمن في سعي القارئ وراء حلّ المؤشرات والدلالات غير المباشرة التي يحاول تفسيرها بمرجعية الضمير، وإذا كان ضمير الغائب يهتم بالموضوع، فالجاحظ تناول ضمير المتكلم ليذيب الفوارق الزمنية داخل النص، ويقدّم النصوص التي تتوغل في أعماق النفس الإنسانية في كل حين، ويأتي ضمير المخاطب ليوظف الزمن الراهن والمستقبل عند الملتقي أو السامع، ويقوم بعمليةِ إسقاط لتلك النصوص على واقع الحياة والمجتمع.

3- غلب على الضمائر المنفصلة اقترانها بواو الحال في الأغلبية العظمى من النصوص وهذا البناء له دوره ودلالته على صعيد الإحالة يقول الجاحظ: "وقال لي مبتدئاً مرّةً، عن غير مشورة وعن غير سبب جرى: انظر أن تتخذ لعيالك في الشتاء من هذه المثلثّة[1] فإنها عظيمة البركة كثيرة النزّل، وهي تنوب عن الغداء ولها نفخة تغني عن العشاء، وكل شيء من الأحساء فهو يغني عن طلب النبيذ وشرب الماء. ومن تحسّى الحارّ عَرِق. والعرق ينفض الجلد ويخرج ضرّ الجوف، وهي تملأ النفس وتمنع من التشهي، وهي أيضاً تُدفئ، فتقوم لك في أجوافهم مقام فحم الكانون من خارج، وحسو الحار يغني عن الوقود، وعن لبس الحشو، والوقود يسوّد كل شيء وينتنّه. وهو سريع في الهضم"[2]. ويقول في موضع أخر: "فإنّ اللطّاع معروف وهو الذي يلطع إصبعه"[3].

وقوله: "وأنا أفضلهم أيضاً بفضل الحكمة"[4].

وقوله: "وأنا أحد من خدع بذلك"[5].

فهذه البنية تتكون من جملة اسمية تتقدمها الواو التي تربط بينها وبين الكلام السابق، الذي يتضمن العنصر الظاهر الذي أُريد تفسيره، وقد أدّت هذه البنية وظيفة محددة هي وظيفة الإيضاح أو البيان ليس لأمرٍ مبهم؛ لأن الضمير المشير إلى المتقدم ذاته غاية في الإبهام، ولكنّه يصل بين الاسم الظاهر المتقدم وما يليه" فتكون بنية التفسير قصداً من المتكلم في إضفاء صفة الخصوص على هذا العنصر المفسّر؛ لأنه يعدل به من الدلالة العامة له في اللغة

---

[1] - يبدو من سياق الحديث أنها نوع من الحساء.

[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة أحمد بن خلف، ص72.

[3] - المصدر السابق، تفسير كلام أبي فاتك، ص124.

[4] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني، ص159.

[5] - المصدر السابق، حديث خالد بن يزيد(أصناف المتسولين)، ص87.

إلى دلالة خاصة بالمؤلف، يريد أن يوّصلها إلى المخاطب ليحقّق مزيداً من عمق الاتصال والفهم لمضامين المفردات التي يستعملها في الكتابة"[1].

4-أدّت الضمائر دوراً مهماً في تحقيق التماسك والربط على مستوى الجملة الواحدة، وعلى مستوى النص؛ لأن الربط قد تعدّى حدود الجملة الواحدة إلى مستوى الجملتين أو الجمل" فالضمائر قد ترجع - وكما ذكر هاليدي ورقية حسن – إلى أفكار سابقة، كما ترجع إلى كلمات أو جمل أو فقرات"[2] والإحالة قد تكون على عنصر قريب، وقد تكون على عنصر بعيد على مستوى الكلام، ومن ذلك قول الجاحظ: "وبعدُ فأصحابنا آنسون واثقون مسترسلون، يعلمون أنّ الطعام لهم اتخذ، وأن أكلهم له أوفق من تمزيق الخدم والأتباع له، ولو احتاجوا لدعوا به، ولم يحتشموا منه، ولكان لا أقل من أن يجربوا ذلك المرة والمرتين، وأن لا يقضوا علينا بالبخل دون أن يروناه، فإن كانوا محتشمين وقد بسطناهم، وساء ظنهم بنا مع ما يرون من الكلفة لهم، فهؤلاء أصحاب تجنّ وتترع، وليس في طاقتي إعتاب المتجني ولا ردّ المتترع"[3] ففي النص السابق نلحظ بوضوح كيف ساهمت الإحالة الضميرية في تحقيق التماسك بين الجمل التي تتألف منها تلك الفقرة من النص، وما ينطبق على الفقرة ينطبق على النص بأكمله، فقد كثرت الإحالات (بواو الجماعة وهم، التي تعود إلى (أصحابنا) في مطلع الفقرة، وبلغت الإحالات التي تعود إلى العنصر المحال إليه (أصحابنا) سبع عشرة إحالة، فتماسك نصّ من النصوص يستند إلى وضع الضمائر فيه واتجاهها بالإحالة إلى أشياء سبق ذكرها في مقام آخر من النص، إلى جانب الكفاءة الإسنادية التي تتسّم بها؛ فالضمائر من وسائل التضام التي" تقوم في ظاهر النص مقام تعبيرات تتصف بإثارة محتوى أكثر تعييناً وتساعد هذه التعبيرات مستعملي النص على الاحتفاظ بالمحتوى وهو مهّيأ في مواقع التخزين النشط دون حاجة منهم لإعادة ذكر كل شيء بتفصيلاته... كما تقوم مقام الأسماء أو عبارات الأسماء التي تشاركها المدلول أي تشترك معها في المدلول والمعنى"[4] "فقد قامت – أي الضمائر – مقام مايكني بها عن مسمياتها"[5]. "ومنها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر"[6].

---

[1] - بحيري، د. سعيد حسن، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، ص206.
[2] - الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، /163 نقلاً عن هاليدي ورقية حسن ص52.
[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص148.
[4] - أبو غزالة، إلهام، حمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، ص92.
[5] - مطهري، د. صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص204.
[6] - بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص104.

5-تعدّت الإحالة الضميرية حدود النص الواحد، لتربط النصوص بعضها ببعض، وهذا ما رأيناه في قصة الحارثي وتفسيره لكلام أبي فاتك، فقد أتى الحارثي على ذكر كلام أبي فاتك في قصته بقوله: " الفتى لا يكون نشّالاً، ولا نشّافاً، ولا مرِسالاً...."[1].

ثم بدأ تفسيره للقول السابق في نص لاحق منفرد يندرج تحت عنوان تفسير كلام أبي فاتك وبدأ بقوله: أما قوله: الفتى لا يكون نشّالاً، فالنّشال عنده..."[2].

فنلحظ كيف ربط ضمير الغائب في (قوله) النصين بعضهما ببعض، فالهاء هنا تعود إلى أبي فاتك الذي جاء ذكره في النص السابق على لسان الحارثي، "فالضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة، شكلاً ودلالةً، داخلياً وخارجياً، سابقة ولاحقة"[3].

"فالضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة، شكلاً ودلالةً، داخلياً وخارجياً، سابقة ولاحقة"[4].

4- الإحالة بأدوات العطف:

ينقل الزركشي عن البيانيين قولهم:"للجملة ثلاثة أحوال: فالأول: أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف والتأكيد من المؤكد، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج.. الثاني: أن يغاير ما قبلها، وليس بينهما نوع ارتباط بوجه، فلا عطف أيضاً، إذ شرط العطف المشاكلة وهو مفقود.. الثالث: أن يغاير ما قبلها لكن بينهما نوع ارتباط، وهذه هي الحالة التي يتوسطها العاطف"[5].

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحارثي، ص110.
[2] - الجاحظ، البخلاء، ، تفسير كلام أبي فاتك، ص122.
[3] - الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 137/1.
[4] - المرجع السابق، 137/1.
[5] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 104/4-107.

وما يهمّنا في مبحثنا هذا هو الحالة الثالثة التي تفترض وجود جهة جامعة تجيز العطف، "فهو الوجه الذي يباح العطف فيه، إذ يوجد نوع ارتباط، وهو وجود مشاكلة تبيح الربط بين المتعاطفين"[1]. ويؤكد الجرجاني (471 هـ) أننا" لا نقول: زيد قائم وعمرو قاعد، حتى يكون عمرو بسبب من زيد، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني. يدلّك على ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأول شيئاً ليس منه بسبب ولا هو ممّا يذكر بذكره، ويتصل حديثه بحديثه لم يستقرّ، فلو قلت: خرجت اليوم من داري. ثم قلت: وأحسن الذي يقول بيت كذا. قلت ما يضحك منه... وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى لفقاً لمعنى في الأخرى، ومضافاً له"[2].

فالنص السابق يحدّد لنا شرط العطف، وهو وجود علاقة مشتركة بين المعطوف والمعطوف عليه" وعلى الرغم من كون أداة العطف شكليّة تابعة لأبواب نحوية، فالعلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه دلاليّة، فالتماسك إذن شكلي الأداة دلالي المضمون والمعنى. لذلك لا تكتسب أداة العطف معناها العطفي إلاّ من خلال وقوعها في تركيب العطف".

فأدوات العطف" علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل، وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص"[3].

أما وظيفة العطف فهي وصل الكلام بعضه ببعض، والاشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه[4]. وكذلك" الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى، والأخذ في جملة ليست من الأولى في شيء"[5]. وقد أسهمت أدوات العطف في تحقيق التماسك والربط بين أجزاء النصوص على مستويين"ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها فيفيد مجرد الترتيب في الذكر مثل الواو في العربية، وربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يُدخل معنى آخر يتعّين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى مثل (الفاء وثم وأو) وغيرها في العربية، حيث تربط وتعبَر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين"[6].

سنتناول في مبحثنا هذا أدوات العطف التالية (الواو، الفاء، ثم، أو، لكن، بل، أم) لنرصد الدور الذي أدّته في تماسك الجمل، والفقرات، والنصوص، والربط الذي حقّقته في

---

[1] - الفقي، د. صبحيإبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 248/1.
[2] - الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص172، 173.
[3] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص37.
[4] - سيبويه، الكتاب، 435/1.
[5] - ابن يعيش، ، شرح المفصل، 75/3.
[6] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص37.

البنية الأفقية لهذه النصوص" فالحروف أكثر دوراً، ومعاني معظمها أشدّ غوراً، وتركيب أكثر الكلام عليها، ورجوعه في فوائده إليها"[1].

أما الواو" فهي أم حروف العطف لكثرة استعمالها ودورها فيه، ومعناها الجمع والتشريك ولا تخلو عن هذين المعنيين في عطف المفردات، لأنها لا تخلو أن تعطف مفرداً على مفردٍ، أو جملة على جملة"[2].

"فإن عطفت مفرداً على مفردٍ فإنها تشّرك بينهما في اللفظ والمعنى، أما اللفظ فهو الاسمية أو الفعلية، والرفع، والنصب، والخفض، والجزم، فيتبع الثاني الأول في اسمين من ستة: في واحد من الاسمية والفعلية، وفي واحدٍ من الرفع والنصب والخفض والجزم، وأما المعنى فهو الجمع بين الاثنين في نفي الفعل أو إثباته نحو: قام زيدٌ وعمرو، ورأيت زيداً وعمراً.... ولن يقوم ولن يقعد"[3].

ومن أمثلة الواو في نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"فاضمنوا لي النّزوة الأولى، أضمن لكم تمام الصبر وعاقبة اليُسر، وثبات العِزّ في قلوبكم، والغنى في أعقابكم، ودوام تعظيم الناس لكم"[4].

وكذلك قوله: "وإذا كَثُر العيال والزوّار، والضيّفان والنّدماء، احتيج من صبّ الماء، واتخاذ الحبية[5] القاطرة والجرار الراشحة إلى أضعاف ما كانوا عليه، فكم من حائط قد تأكّل أسفله، وتناثر أعلاه، واسترخى أساسه، وتداعى بنيانه من قطر حُبّ ورشح جرّة، ومن فضل ماء البئر، ومن سوء التدبير"[6].

فنلحظ في النصين السابقين كيف أدّت الواو دوراً أساسياً في تحقيق التماسك بين الجمل، وكيف أسهمت كذلك في تحقيق الجمع والإشراك بين المتعاطفين، فقد عطفت مفرداً على مفردٍ في النص الأول، وشرّكت بين المتعاطفين في الاسمية وفي الحكم، فكلها جاءت منصوبة بالعطف على الاسم الأول وهو (تمامَ)، وكذلك جاء الإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه في المعنى من خلال إثبات الفعل (أضمن) لهما. "فالواو في عطف المفردات واسطة موصلة عمل العامل قبلها إلى ما بعدها بها على معنى العطف والتشريك"[7]. " وقد ربَطت الواو بين أزواج مختلفة من الأحداث، الطرف الثاني منها يتلو

---

[1] - المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص2.
[2] - المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص410.
[3] - المصدر السابق، ص 412.
[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي، ص146.
[5] - الجرة العظيمة أو الخابية.
[6] - المصدر السابق، قصة الكندي ص 132.
[7] - المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص413.

الأوّل في الزمن والحدوث، لكن المدى الفاصل بينهما غير محدد أو لم يقصد إلى تحديده، فكل ما يتوفّر فيها هو الجمع بين المربوطين"[1].

وفي النص الثاني أسهمت الواو كذلك في تحقيق الجمع والإشراك بين المتعاطفين، فقد عطفت المفردات والجمل، أما المفردات ففيها عطفت الأسماء (الزوار، الضيفان، الندماء) على العيال، وشارك المعطوف المعطوف عليه في الاسمية والحكم، وكذلك عطفت الجملة الاسمية (الجرار الراشحة) على سابقتها (الحِببة القاطرة) وأثبتت الفعل لكل منهما، وكذلك عطفت الجمل (تناثر أعلاه) (استرخى أساسه) (تداعى بنيانه) على جملة (كم من حائطٍ قد تأكّل).

ونلاحظ أنّ الواو العاطفة في النصين السابقين قامت بدور الربط بين المفردات والجمل، ولم تكتفِ بذلك، بل أدّت كذلك دوراً مهماً في تحقيق الاختزال بين عناصر التركيب العطفي، وهذه حقيقة يشير إليها جوفري ليتش وميخائيل شورت: "إن الاتساق يتضمن بشكل مستمر، مبدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا، متقين بذلك التعبير المكرر عن الأفكار المعادة"[2]. "من هذا المنظور تقوم الواو الرابطة بين عناصر خطاب ما، أو جملة ما بمهمتين أولاهما ربط الأجزاء، والثانية تكثيف الخطاب عن طريق الاختزال، أي تلافي تهلهل الخطاب، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان لدينا خطاب مليء بالحشو"[3]. فإذا عدنا إلى النص السابق وحاولنا قراءته قراءة خطية عادية بدون حرف العطف (الواو) فيصيح كالآتي: "وإذا كثر العيال، كثر الزوار، كثر الضيفان، كثر الندماء، احتيج من صب الماء، اتخاذ الحببة القاطرة، اتخاذ الجرار الراشحة إلى أضعاف ما كانوا عليه، فكم من حائط قد تأكّل أسفله، كم من حائطٍ تناثر أعلاه، كم من حائط استرخى أساسه، كم من حائط تداعى بنيانه".

إنّ محاولة قراءة النص السابق بدون حرف العطف (الواو) يؤدي كما لا حظنا إلى تفكك واضح في أجزائه، فقد ساهمت هذه الأداة في خلق امتداد متلاحم لعناصر النص، وساهمت في الوقت ذاته من تجنب الحشو والتكرار، عن طريق الاختصار والاختزال الذي حققته.

وأما (الفاء) فمعناها الغالب هو" الترتيب بنوعيه المعنوي والذّكري، مع التعقيب فيهما، وإفادة التشريك، والمراد بالترتيب المعنوي: أن يكون زمن تحقق المعنى في المعطوف متأخراً عن زمن تحققه في المعطوف عليه.... والمراد بالترتيب الذكري: أن يكون

---

[1] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص 47.
[2] - خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص 228.
[3] - خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص 228.

وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما في كلام سابق، وترتيبهما فيه، لا بحسب زمان وقوع المعنى على أحدهما....

والمراد بالتعقيب: عدم المهلة ويتحقق بقصر المدة الزمنية التي تنقضي بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف"[1].

وهي تعطف المفردات والجمل" وهي مشّركة بين الاسمين والفعلين في اللفظ في الرفع والنصب والخفض والجزم، والاسمية والفعلية، وفي المعنى في إثبات الفعلين أو نفيهما، أو إثبات الفعل للفاعلين أو ما أقيم مقامهما، أو نفيه عنهما، فتقول: قام زيد فعمرو، ورأيت زيداً فعمراً، وزيدٌ يقوم فيخرج، ولن يقوم فيخرج، والربط والترتيب لا يفارقانها"[2].

ومن أمثلة الفاء في نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"ومن طيّاب البخلاء أحمد بن خلف اليزيدي، ترك أبوه في منزله يوم مات ألفي ألف درهم، وستمائة ألف درهم، وأربعين ومائه ألف دينار، فاقتسمها هو وأخوه حاتم قبل دفنه، فأخذ أحمد وحده ألف ألف وثلاثمائة ألف درهم... "[3].

ومن ذلك أيضاً قوله: " قال إبراهيم: فبينا هو يوماً من أيامه يأكل في بعض المواضع، إذ مرّ به رجل فسّلم عليه، فرّد السلام، ثمّ قال: هلّم عافاك الله، فلّما نظر إلى الرجل قد انثنى راجعاً، يريد أن يطفر الجدول أو يُعدي النهر قال له: مكانك، تريد ماذا؟ قال: أريد أن أتغدّى، قال: ولم ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك ما لي؟ قال الرجل: أو ليس قد دعوتني؟ قال: ويلك، لو ظننت أنك هكذا أحمق ما رددت عليك السلام، الآيين[4]. فيما نحن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المارّ أن تبدأ أنت فتسّلم، فأقول أنا حينئذٍ مجيباً لك: وعليكم السلام"[5]. فنرى هنا كيف أدّت (الفاء) كذلك دوراً في تحقيق الربط والتماسك بين الجمل، فهي قد ربطت السابق باللاحق، وأشارت في النص الأول السابق إلى تعاقب الأحداث مع سرعة تنفيذها، فكان الترك للنقود أولاً فالقسمة فالأخذ، دون أن يكون بينها متسع من الزمن يفصل الترك عن القسمة عن الأخذ" فقد ساهمت هذه الوسيلة الاتساقية في تحقيق التماسك بين الجمل، بضم بعضها إلى بعض"[6]. وفي النص الثاني، أفادت (الفاء) كذلك الترتيب بين الأفعال (مرّ، سلّم، ردّ) (وقف أقبل) (تسلم أقول) من غير مهلة زمنية بينها، وإذا ما حاولنا حذف حرف العطف (الفاء) من النصين السابقين، وجدنا التفكك الذي وجدناه في حذف الواو،

---

[1] - حسن، عباس، النحو الوافي، 573/3.

[2] - المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص 376.

[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة أحمد بن خلف، ص 71.

[4] - بمعنى الأصح والأوضح والأفصح.

[5] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان(كلام بكلام)، ص 51.

[6] - قيّاس، ليندة، لسانيات النص، النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً، تقديم : أ. د. عبد الوهاب شعلان، القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 2009م، ص113.

" فقد ربطت الفاء بين أزواج من الأحداث يعقب منها الثاني الأول، ويفصله عنه مدى قصير جداً، ويمكن أن تنضاف علاقة أخرى بين الحدثين المربوطين كالسببية أو المفاجأة أو غيرهما"[1].

وبيان ذلك كالتالي :

مرّ فسّلم ⇦ تعاقب + سببية

فسّلم فرّد ⇦ تعاقب + سببية

مكانك فوقف ⇦ تعاقب + مفاجأة

فتسلم فأقول ⇦ تعاقب + سببية

وأما (أو) فهي "حرف يكون في أغلب استعمالاته عاطفاً" فتعطف مفرداً على مفردٍ، وجملة على جملة، ويكون لها في هذا الموضع خمسة معانٍ: أحدها: أن تكون تخييراً فلا تقع إلاّ بعد الطلب، والثاني: أن تكون إباحةً ولا تقع أيضاً إلاّ بعد الطلب، والفرق بين التخيير والإباحة أنّ للمكلف المخاطب أن يجمع بين الشيئين في الإباحة، وليس له ذلك في التخيير، يقع أحد الشيئين ويترك الآخر، وإن تركهما معاً عوقب أو ذُمّ، والثالث: أن تكون للشك، والرابع: أن تكون للإبهام، والخامس: أن تكون تفصيلاً"[2].

"وتربط (أو) بين بديلين كلاهما حاضر في موقع التخزين النشط (الذاكرة الفعالة)، وإن كان واحد فحسب هو الذي يقع في عالم النص، ويطلق على هذا النوع أيضاً الربط بالتخيير بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات، والصدق في حالة التخيير لا يتناول إلاّ محتوىً واحداً، وتنزع (أو) إلى الإعلان عن فكرة بعدية أي عن بديل لم يدخل في الحسبان من قبل"[3]. "والتخيير بـ(أو) وسواها يعدّ من أدوات التماسك النحوي، وإن كان يعتمد في الواقع على مبدأ الفصل، ومثله الاستدراك بلكن ومايشبهها"[4].

ومن أمثلة العطف بـ (أو) في نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"كان جبلٌ خرج ليلاً من موضع كان فيه، فخاف الطائف ولم يأمن المستقفي. فقال: لو دققت الباب على أبي مازن، فبتُّ عنده في أدنى بيت، أو في دهليزه، ولم ألزمه من مؤونتي شيئاً، حتى إذا انصدع عمود الصبح خرجت في أوائل المدُلجين، فدّق عليه الباب دقّ واثق، ودقّ مُدلٍ، ودقّ من يخاف أن يدركه الطائف أو يقفوه المستقفي"[5]. فنرى هنا كيف ربطت (أو) بين السابق واللاحق لها، وأفادت معنى الإباحة في قوله (بيت أو في دهليزه) و أفادت في الثانية معنى الشك (يدركه الطائف أو يقفوه المستقفي)، وأما (ثمّ) فمعناها الترتيب مع عدم

---

[1] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص 47.

[2] - المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص131.

[3] - de Beaugrande , ,Robert & Wolfgang , Dressler ,Introduction to text linguistics,p. 71

[4] - خليل، د. إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص220.

[5] - الجاحظ، البخلاء، قصة ليلى الناعطيّة، ص69.

التعقيب (أي الترتيب مع التراخي) وهو انقضاء مدة زمنية طويلة بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف، وتقدير المدة الزمنية الطويلة متروك للعرف الشائع.... ومن أحكامها أنها تعطف المفردات والجمل"[1]. "وهي حرف عطف يشرك في الحكم ويفيد الترتيب فإذا قلت: قام زيد ثم عمرو آذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة"[2].

ومن أمثلة العطف بـ(ثمّ) في نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"وكان إذا كان جديد القميص ومغسوله، ثم أتوه بكل بخور في الأرض لم يتبخر... فإن اتسخ فأُتي بالبخور، لم يرضَ بالتبخر واستقصاء ما في العود من القتار، حتى يدعو بدُهنٍ فيمسح به صدره وبطنه وداخلة إزاره ثم يتبخّر ليكون أعلق للبخور"[3].

ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ: " وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام، فسبيله أن يكسر بعد أن يُعرق ثم يطبخ فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك، ثمّ تؤخذ تلك العظام فيوقد بها"[4].

فنرى في النصين السابقين كيف أدّت (ثم) دوراً في ربط السابق باللاحق، وتحقيق التماسك بين الجمل، فقد ساهمت (ثم) في نسج الخيوط التي يتوصل بها الفكر إلى تنظيم الكلمات المكوّنة لهذين النّصين، ففي النص الأول أفادت (ثم) الترتيب مع التراخي، فقد عطفت اللاحق (أتوه) على السابق (كان) والعطف هنا جملة على جملة، وكذلك عطفت جملة (يتبخر) على يمسح، وأشركتها في الحكم.

وكذلك الحال في النص الثاني، فقد عطفت (يطبخ) على (يعرق) مع وجود مهلة زمنية بينهما، ولو حذفنا حرف العطف (ثم) من النصين السابقين، نلحظ التفكك الذي يحصل، والإبهام في فهم المعنى. "ونرى أن شذوذ حذف حرف العطف راجع إلى الرغبة في إيجاد الرابط بين الكلمات أو الجمل التي لا ترتبط بدون هذه الحروف، وفي هذا حرص على التماسك النصي بين العناصر المكونة للنص"[5]. ومن أدوات العطف أيضاً (لكن) "وهي التي تشّرك بين الاسمين والفعلين في اللفظ لا غير وهو الاسمية في الاسمين، والفعلية في الفعلين، والرفع والنصب والخفض والجزم نحو قولك: ما قام زيد لكن عمرو، وما رأيت زيداً لكن عمراً"[6]. "واختلف النحاة على ثلاثة أقوال: أحدها أنها لا تكون عاطفة إلاّ إذا لم تدخل عليها الواو وهو مذهب الفارسي، قيل: وأكثر النحويين، والثاني: أنها عاطفة ولا تستعمل إلاّ بالواو، والواو مع ذلك زائدة، وصحّحه ابن عصفور قال: وعليه ينبغي أن يحمل كلام سيبويه

---

[1] - حسن، عباس، النحو الوافي، 576/3.
[2] - المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 426.
[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحزامي، ص100.
[4] - المصدر السابق، قصة أهل البصرة من المسجديين (وضع الأمور مواضعها)، ص62.
[5] - الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص252/1.
[6] - المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص274.

والأخفش، لأنهما قالا: إنها عاطفة ولمّا مثّلا العطف بها مثّلا مع الواو. والثالث: أن العطف بها، وأنت مخيّر في الإتيان بالواو وهو مذهب ابن كيسان"[1]. "واعلم أن لكن لا يعطف بها إلاّ بعد نفي نحو: ما قام زيد لكن عمرو، أو نهي نحو: لا تضرب زيداً لكن عمراً، والمعطوف بها محكوم له بالثبوت بعد النفي والنهي، ولا تقع في الإيجاب عند البصريين، وأجاز الكوفيون أن يعطف بها في الإيجاب، ومعنى لكن في جميع مواضعها الاستدراك"[2].

ومن أمثلة العطف بـ لكن في نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"ولست أوصيك بحفظه لفضل حبّي لك، ولكن بفضل بغضي للقاضي"[3].

وقوله: "وأنا لست أطعم الجزر المسلوق بالخلّ والزيت والمرّي.. لمكان الرخص.. ولكن لمكان طيبه في الحقيقة"[4].

وقوله : "ليس لها راعٍ ولكن حَلَبة"[5].

ففي الأمثلة السابقة نرى كيف أدّت (لكن) دوراً في تحقيق الترابط بين أجزاء النص، فقد ساهمت في نسج الخيط الذي يتوّصل الفكر معه إلى تنظيم العناصر المكوّنة للنّص. "وتقوم (لكن) بالربط بين جملتين مختلفتين، فالكلام السابق يناقض اللاحق أو بالعكس، ليتحقّق معنى الاستدراك، ويضاف إلى ذلك معنى التوكيد الذي يكون للجملة التالية وهو معنى لحقها من مناظرتها بأن... لقد عدل المتكلم عن المعنى الأول حتى لا يوهم السامع ثبوته، واسُتخدمت لتدارك الوقوع في الوهم أداة تؤكد المعنى الثاني، وتدفع ببطلان أو بنفي الأول"[6].

ومن أدوات العطف (بل) يقول المالقي: "اعلم أنّ معنى (بل) في كلام العرب الإضراب عن الأول إمّا تركاً له وأخذاً في غيره لمعنى يظهر له، وإمّا لأنه بداء نحو قولك: ضربت زيداً بل عمراً، واضرب زيداً بل عمراً، وإما لغلطه بذكر لفظه وأنت تريد غيره، نحو: رأيت رجلاً بل حماراً، وإما لنسيان والأمثلة في كليها واحدة، وإنما يقع الفرق بين الموضعين من جهة المعنى وهو أن النسيان وضع شيء على غيره من غير علمٍ به ولا خطور بالبال، والغلط وضع شيء على غيره بمضيّ الوهم إليه ثم يظهر المقصود، وأما البداء فهو وضع شيء على معنى بالقصد ثم يتبيّن أنّ الأولى غير ذلك الشيء"[7].

---

[1] - المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص587.
[2] - المصدر السابق، ص590.
[3] - الجاحظ، البخلاء، حديث خالد بن يزيد، ص82.
[4] - المصدر السابق، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص 153.
[5] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص288.
[6] - بحيري، د. سعيد حسن، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، ص123.
[7] - المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص153.

"وإن دخل (بل) على مفرد فحكمه أنّه حرف عطف يختصّ بعطف المفردات وحدها، أما معناه فيختلف باختلاف ما قبله من كلام مثبت، أو مشتمل على صيغة أمر، أو كلام منفي، أو مشتمل على صيغة نهي"[1].

"وتكون (بل) حرف عطف مشركاً ما بعده مع ما قبله في اللفظ وهو الاسمية في الأسماء، والفعلية في الأفعال، والرفع والنصب والخفض والجزم ولا تُشّرك في المعنى، لأن الفعل لأحدهما دون الآخر وهو الثاني، سواء كان الأول موجباً أم منفياً نحو قام زيدُ بل عمروُ وما قام زيدُ بل عمرو، فالقيام في كلا الحالين للثاني دون الأول، وإن ظهرت أداة النفي بعدها مع الفعل فيكون الإضراب عن النفي للأول وجعله للثاني، نحو ما قام زيد بل ما قام عمرو"[2].

"وما يهمّنا هو أنّ المعنى الإضراب عن جعل الحكم للأول وإثباته للثاني، ومعنى الإضراب مأخوذ من (بل) ذاتها وليس من الجمل السابقة أو اللاحقة فلا تأثير عليها من جملة مثبتة أو منفية قبلها أو بعدها، ويكون الكلام السابق لها كأن لم يكن في الحكم النهائي، ولا يعني ذلك قطعاً أو فصلاً باتاً بين الجملتين، بل يكون فيها تنبيه للسامع إلى الكلام التالي لها؛ لأنه الحكم المثبت وبه يكون الاعتبار، وهكذا تكون تلك الدلالات:الإضراب، إثبات الحكم، التوكيد مع تكرير بل"[3].

ومن أمثلة العطف بـ (بل) في نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"وإذا كان مثله لم يعرفني، ولم يتقرّر عنده مذهبي، فما ظنك بالجيران بل ما ظنك بالمعارف ؟"[4].

وقوله أيضاً: "وزعمتم أنّما سمّينا البخل إصلاحاً، والشّح اقتصاداً، كما سمّى قومُ الهزيمة انحيازاً والبذاء عارضةً... بل أنتم الذين سمّيتم السرف جوداً والنفج أريحيّة"[5].

وقوله: "وقد اعتقد القومُ قبل أن أتطبّب، لا بل قبل أن أخلق أن المسلمين لا يفلحون في الطب"[6].

ففي الأمثلة السابقة نلحظ كيف أدّت (بل) دوراً في تنبيه السامع إلى الكلام التالي لها، لأنه هو المقصود، والمثبت، وبه إضراب عن الحكم السابق لها.

ومن هنا جاء دورها في تحقيق التماسك والترابط بين أجزاء النص.

---

[1] - حسن، عباس، النحو الوافي، 625/3.
[2] - المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص153.
[3] - بحيري، د. سعيد حسن، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، ص 121.
[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحزامي(طمع الناس يجر الإفلاس)، ص102.
[5] - المصدرالسابق، قصة الكندي، ص144.
[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني، ص160.

ومن أدوات العطف أيضاً (أم) "وتقع بين المفردين والجملتين، ويكون الكلام بها متعادلاً، والجملة التي بعدها مع ما قبلها في تقدير المفردين، وتتقدر مع حرف الاستفهام بأيهما أو أيهم وجوابها أحد الشيئين والأشياء، فتقول: أقام زيد أم عمرو، ومعناه أيهما قام، وأقام زيد أم قعد ومعناه أيهما فعل، والأحسن فيها تقدم الذي يُسأل عنه من اسم أو فعلٍ نحو: أزيدُ قام أم عمرو وأقام زيد أم قعد"[1].

"وتنحصر أم في قسمين قسم مسبوق بهمزة التسوية ولا تعطف فيه إلاّ الجمل التي هي في حكم المفرد، وقسم مسبوق بهمزة استفهام يُطلب بها وبأم التعيين، وتعطف فيه المفردات حيناً، والجمل حيناً آخر، أو المفرد والفعل، وإنما سميت أم في القسمين متصلة لوقوعها بين شيئين مرتبطين ارتباطاً كلامياً وثيقاً، لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولا يستقيم المعنى إلاّ بهما معاً؛ لأن التسوية في النوع الأول وطلب التعيين في النوع الثاني، لا يتحقّقان إلاّ بين متعدد، وهذا التعدد لا يتحقق إلاّ بما قبلها وما بعدها مجتمعين"[2].

ومن أمثلة العطف بـ(أم) في نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"وقلتم: وكيف تقول هذا، وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدّم الأدباء: العلماء أفضلُ أم الأغنياء؟ قال: بل العلماء"[3].

وقوله: "اذهبوا فاشتروا عليّ طعام العِراق على هذا الشرط، على أنّي والله ما أدري أصادق هو أم كاذب"[4].

وقوله: "وسواء جاع فظلم وأحفظ وعسف أم جاع فكذب وضرع وأسف، وسواء جاع فظلم غيره أم جاع فظلم نفسه، والظلم لؤم"[5].

فنرى في الأمثلة السابقة كيف أدّت (أم) دوراً في تحقيق التماسك والترابط بين الجمل، فقد وقعت بين شيئين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً لا يستغني أحدهما عن الآخر ولا يستقيم الكلام إلاّ بهما (فالأغنياء مرتبطة بالعلماء) و(كاذب مرتبطة بصادق) و(جاع مرتبطة بجاع التي قبلها).

ومن خلال ما تقدّم وجدنا كيف أدّى العطف بأدواته المختلفة دوراً في إحالة السابق على اللاحق، ما بين المفردات والجمل، وكيف أدّى بعضها دوراً في تنبيه السامع إلى اللاحق، ورأينا كيف أن المتكلم لا يمكنه الاستغناء عنها، فهي تربط الكلام ربطاً وثيقاً"

---

[1] - المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص93.

[2] - حسن، عباس، النحو الوافي، 593/3.

[3] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص37.

[4] - المصدر السابق، قصة الأصمعي، ص220.

[5] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص262.

فوظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص"[1].

ولكي نتبيّن هذا الدور الذي أدّته أدوات العطف في تحقيق الترابط والتماسك، بين الجمل وبين الفقرات ثم بين النصوص، نورد فيما يأتي عرضاً تحليليّاً إحصائياً لتواتر ورودها في نصوص البخلاء بأنواعها المختلفة:

الإحالة بأدوات العطف في نصوص البخلاء للجاحظ									
نوع النص	عنوان النص	عدد الروابط العطفية	توزع أدوات العطف داخل النصوص						
			الواو	الفاء	ثم	أو	لكن	بل	أم
رسائل	رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد	223	193	24	2	2	-	1	1
	رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	519	479	20	11	9	-	-	-
	رسالة ابن التوأم	828	769	28	12	16	1	-	2
نوادر	عدد تواتر الإحالة العطفية في الرسائل	1570	1441	72	25	27	1	1	3
	نوادر أهل خراسان	357	252	77	16	12	-	-	-
	نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	287	207	62	13	4	1	-	-
	نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	546	400	111	27	6	-	1	1
	عدد تواتر الإحالة العطفية في النوادر	1160	859	250	56	22	1	1	1

[1] - خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص 24 نقلاً عن هاليدي ورقية حسن.

		قصة أهل البصرة من المسجديين	239	139	35	11	-	-	-	-	
		قصة ليلى الناعطية	81	57	16	3	2	-	-	-	
		قصة ابن العقدي	303	179	52	28	16	-	-	-	
	بخلاء الجمع والمنع	تواتر الإحالة العطفية في قصص بخلاء الجمع والمنع	623	375	103	42	18	-	-	-	
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	66	43	23	1	-	-	-	-	
	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	154	107	20	5	2	-	-	-	
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	446	367	48	11	20	-	-	-	
		قصة أبي جعفر الطرسوسي	12	8	4	-	-	-	-	-	
		قصة الحزامي	264	220	36	8	-	-	-	-	
		قصة الكندي	538	486	26	15	10	-	1	-	
	البخلاء النفسية	تواتر الإحالة العطفية في قصص البخلاء النفسية	814	714	66	23	10	-	1	-	
	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	296	249	34	13	1	-	-	-	
		تفسير كلام أبي فاتك	134	100	11	10	12	-	1	-	
	البخلاء الشراة والطفيليين	قصة الأصمعي	264	159	93	10	1	-	-	1	
		تواتر الإحالة العطفية في قصص البخلاء الطفيليين	398	259	104	20	13	-	1	1	
	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	302	258	22	5	16	-	1	-	
		قصة أسد بن جاني	536	420	48	15	10	-	1	-	

	البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أبي سعيد المدائني	229	186	32	7	4	-	-	-
		قصة تمام بن جعفر	118	111	7	-	-	-	-	-
		تواتر الإحالة العطفيةفي قصص البخلاء الواعظين	883	717	87	22	14	-	1	-
		مجموع الإحالة العطفية في القصص	3982	3089	507	142	94	-	7	2

جدول (5)

ومن استقرائنا للجدول السابق نستخلص النتائج الآتية:

1- أكثر أدوات العطف تواتراً في نصوص البخلاء هي (الواو) فقد تواتر ورودها في النصوص (5389) مرةً ما بين الرسائل والنوادر والقصص، ثم جاءت الفاء في المرتبة الثانية، فقد بلغ تواترها في النصوص (829) مرةً، ومن ثم جاءت (ثم) في المرتبة الثالثة بتواتر قدره (223) مرةً ثم (أو) بتواتر قدره (143) ثم بل بتواتر قدره (9) ثم (أم) بتواتر قدره (6) ثم لكن بتواتر قدره (2). وسنمثل لتواتر أدوات العطف بالرسمين التاليين:

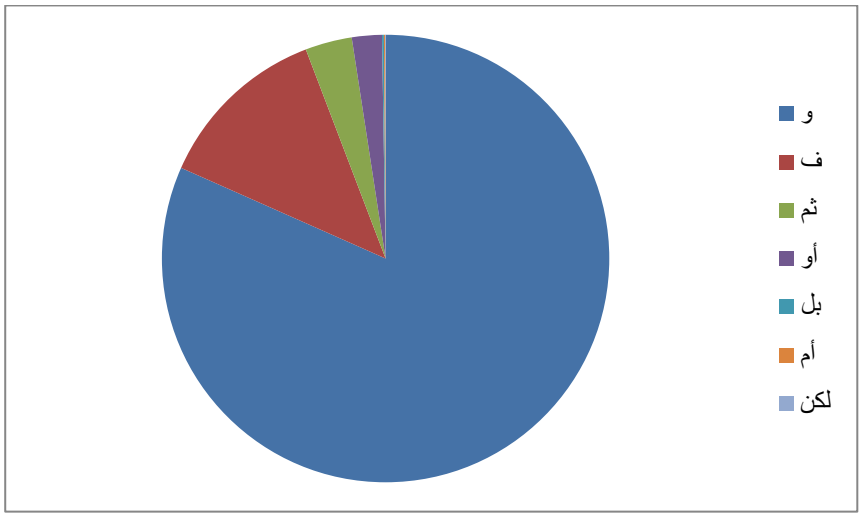

شكل (2)

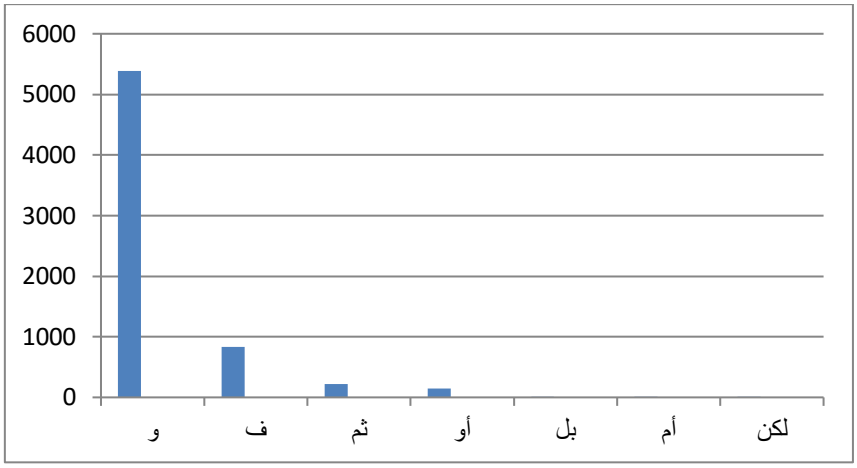

شكل(3)

و = 5389
ف = 829
ثم = 223
أو = 143
بل = 9
أم = 6
لكن = 2

2- أسهمت الواو في الربط بين العناصر السابقة واللاّحقة في النصوص من خلال الربط بين الكلمات داخل الجملة الواحدة أو الربط بين أجزاء النص، ومن ثم الربط بين النصوص، وشاهدنا على ذلك قول الجاحظ:" وأما زُبيدة بن حميد الصّيرفي فإنّه استسلف بّقال كان على باب داره درهمين وقيراطاً، فلّما قضاه بعد ستة أشهر، قضاه درهمين وثلاث حبّات شعير. فاغتاظ البّقال وقال: سبحان الله! أنت ربّ مائة ألف دينار، وأنا بّقال لا أملك مائة فلس، وإنمّا أعيش بكدّي وباستفضال الحبّة والحبتين صاح على بابك جمّال، وحمّال، ولم يحضرك شيء، وغاب وكيلك، فنقدت عنك درهمين وأربع شعيرات، فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات، فقال زبيدة: يا مجنون أسلفتني في الصيف فقضيتك في الشتاء، وثلاث شعيراتٍ شتويّة نديّة، أرزن من أربع شعيراتٍ يابسة صيفيّة، وما أشك أنّ معك فضلاً"[1]. فنرى كيف ربطت الواو بين هذه القصة والقصة السابقة وهي قصة أهل البصرة من المسجديين وربطت كذلك بين أجزاء الجملة الواحدة، ثم ربطت الجمل بعضها ببعض، لتربط بين أجزاء النص كلّه.

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة زبيدة بن حميد، ص64.

3- لوحظ أنّ الربط بالواو كان متنوعاً بين كلمتين أو جملتين أو متتالية من الجمل، أما الربط بين كلمتين فالغالب لاتساقهما دلالياً، غير أن الربط بين الجملتين شاع بكثرة بين جملتين متسقتين دلالياً أو متضادتين متقابلتين وهذا ما أكده بحيري بقوله:" يمكن للكاتب أن يسخّر حروف المشاركة لتكوين فقرات نصيّة طويلة تحتمل فكرة كلية من خلال توال أو تسلسل أو تدوير"[1] وشاهده قول الجاحظ: "وللقادم حلاوة وفرحة، وللجديد بشاشة وغرّة"[2]، وقوله: "ولم يقضوا عليك بالبخل ولا بالسخاء"[3]، وقوله: "فإن حجبناه فبلاء وإن أدخلناه فشقاء"[4]، وقوله: "فلو عرفتنا نسبك كفيناك سماع ما يسوءك من هجاء قومك، ومن مدح عدوك"[5]. نجد أن هذه الجمل قد ارتبط فيها السابق باللاحق، وأفعالها قد اتسقت دلالياً، وتضادت معنىً، ما بين بالبخل = بالسخاء = حجبناه = أدخلناه، هجاء = مدح. وهذا يتطابق مع ما أشار إليه الأزهر الزّناد بقوله: "كل جملتين متتاليتين في النص ثانيهما تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط"[6].

4- أكثر الروابط العطفية تواتراً في نصوص البخلاء كانت في القصص، فقد بلغت (3982) رابطاً عطفياً، وفي الرسائل (1570) وفي النوادر (1160) رابطاً عطفياً، وإذا كان التفاوت في الكم بين نصوص الرسائل والنوادر والقصص لا يحسم التواتر العطفي فيها بشكل دقيق، على اعتبار أن القصص في نصوص البخلاء أكثر نسبة من الرسائل والنوادر، قمنا بعقد مقارنة بين رسالتين من الرسائل مع قصّتين من القصص لهما الطول نفسه تقريباً، وأجرينا المقارنة الأولى بين رسالة سهل بن هارون* (تمتد من الصفحة 29 إلى الصفحة 63) وبين قصة أهل البصرة من المسجديين * (تمتد من الصفحة 56 إلى الصفحة 63) وأجرينا المقارنة الثانية بين رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب * (تمتد من الصفحة 235 إلى الصفحة 256) وبين قصة أسد بن جاني * (تمتد من الصفحة 159 إلى الصفحة 178) فوجدنا أن الروابط العطفيّة كانت في القصتين أكثر تواتراً من الرسالتين، ففي القصتين تواتر 775 رابطاً عطفياً، في حين تواتر في الرسالتين 742 رابطاً عطفياً، وهذا له مؤشر دلالي يمكننا تفسيره بأن القصص اعتمدت على حشد الأخبار بشكل تراكمي قائم على مقدار من التشابه في

---

[1] - بحيري، د. سعيد حسن، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، ص26.
[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي، ص145.
[3] - المصدر السابق، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص147.
[4] - المصدر السابق، قصة الحزامي (الحلاوة تعقب المرارة)، ص106.
[5] - المصدر السابق، أحاديث البخلاء (الكناني والخابية)، ص 302.
[6] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص28.

الوصف التحليلي لنفسية البخلاء. فعلى طريق الاستقصاء لا يذكر الجاحظ خبراً واحداً، ولكنه يذكر أكثر من خبر، ويقدمها مجتمعةً في نفس الإطار مستغلاً أدوات الوصل، وهذا الإجراء يساعده دائماً على إظهار مقدرته اللغوية لقارئه وهذا ما أكدّه فرج بقوله: "ولا شك أن الاستقصاء المقدم من خلال الوصل يسهم في إظهار ثقافة الكاتب ومعرفته بأخبار العرب وأمثالهم، كما يسهم في إظهار مقدرته البلاغيّة"[1]. ويؤيّد ما ذكرناه سابقاً الشيوع الملحوظ لأدوات العطف في قصص البخلاء النفسيّة، وفي قصص البخلاء المغالين، فهي من أكثر أنواع القصص حشداً للروابط العطفيّة؛ وذلك لأن التحليل النفسي يتطلب من الكاتب استخدام أدوات العطف التي تساعده وتسعفه في إيصال المعنى أكثر من الأدوات الأخرى.

5- كانت الواو من أكثر أدوات العطف شيوعاً في القصص النفسية، وقصص البخلاء المغالين، "وهذا مما يؤكد على الارتباط بين طبيعة أدوات العطف المستخدمة، والغرض الذي تعبر عنه"[2]. "فلكل متكلم بعض الميول الشخصية لصيغة تعبيرية أو أكثر تعد لازمة له، مما يمكن تحديده بواسطة التحليل الكمي، وفي مقابل ذلك يكون من الأسلوب الوظيفي مقصوداً، ففي هذه الحالة يستعمل المتكلم تغييرات ذات وظيفة في سياق معين، ويمكن أن يكون هذا السياق نفسياً في الدرجة الأولى، ذلك أن اختيار الكلمات والبنى المتمثّلة في الجمل والمتتاليات والخصائص الترابطية يخضع لحالة المتكلم الذهنية وموقفه، وللانفعالات التي يعبر عنها بهدف حثّ قارئه أو المستمع إليه على تفسير هذه المميزات الأسلوبية كإشارات إلى حالته النفسية في وقت معين"[3].

6- تميّزت الواو بأنها أم حروف العطف لكثرة استعمالها، وهي تجمع بين عنصرين سابق ولا حق لها، وكذلك تشرك بينهما في الحكم، ولا تكتفي بذلك بل أدّت كذلك دوراً في الاختزال والتكثيف" فهي تقوم بمهمتين أولاهما ربط الأجزاء، والثانية تكثيف الخطاب عن طريق الاختزال، أي تلافي تهلهل الخطاب، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان لدينا خطاب مليء بالحشو، فالواو ليست فقط وسيلة ربط وإنما هي أيضاً وسيلة لجعل الخطاب أكثر أناقةً، وذلك بإلغاء التعابير المعّبرة عن نفس الفكرة"[4].

---

[1] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص97.
[2] - المرجع السابق، ص 97.
[3] - فضل، د. صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص190.
[4] - خطّابي، محمد، لسانيات النص، ص229.

5- الإحالة بالمقارنة:

كل عمليّة مقارنة تتضمّن شيئين – في الأقل –يشتركان في سمة مشتركة بينهما، ويمكن التمييز بين نوعين من المقارنة. مقارنة عامة، ومقارنة خاصة.

أولاً : المقارنة العامة:

يمكن تصنيف الألفاظ التي تعبّر عن المقارنة العامة في العربيّة في خمس مجموعات[1]:

ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التشابه ومنها "شبيه" و"مشابه".

1- ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التطابق، ومنها "نفسه"، و"عينه" "مطابق" "مكافئ" "مساو" "مماثل" "مثيل" "نظير" "مرادف".

2- ألفاظ المقارنة التي تعبّر عن التخالف ومنها "مخالف" "مختلف" "مغاير".

3- ألفاظ المقارنة التي تعبّر عن الآخرية ومنها: "الآخر"أيضاً"، البديل "الباقي" وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك؛ ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها، بحثاً عما يحيل عليه المتكلم. وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء

[1] - http://www. ta5atub. com/montada-f5/topic-t90

الإشارة، يحتمل أن يكون المرجع خارجيّاً، ويحتمل أن يكون داخليّاً، فإن كان داخليّاً، فإما أن يكون المرجع متقدماً، أو متأخراً[1].

ومن أمثلة الإحالة بالمقارنة العامة في نصوص البخلاء قول الجاحظ: "فعلمتُ أن لو كنتُ مكنّت الاقتصاد في أوائله ورغبت عن التهاون به في ابتدائه، لخرج آخره على كفاية أولّه، ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر"[2].

ففي النص السابق جاءت كلمة (آخره، أوله) لتحيل على ما سبقها من كلام (وهو الاقتصاد) فربطت الكلام بعضه ببعض، وأسهمت في اعتماد آخره على أوله، وهو ما أسهم في تماسكه. والإحالة هنا داخلية قبلية (تعود على متقدم)، وكذلك نجد في النص ذاته كلمة (الآخر) تحيل أيضاً إلى ما سبقها من كلام وهو (العضو) فربطت كذلك آخر الكلام بأوله، وأسهمت في تماسكه.

ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ:" وعبتموني بخصف النعال وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة أبقى وأوطأ وأوقى، وأنفى للكبر وأشبه بالنسك"[3]. فهنا أحالت كلمة (أشبه) إحالة داخليّة بعدية على متأخر وهو (النسك) فربطت بذلك أول الكلام بآخره، وأسهمت في تماسكه.

ومن أمثلة ذلك أيضاً: " فإذا كان هذا دأبنا ودأبه ضاع من دهننا في الشهر بقدر كفاية ليلة"[4]. أحالت هنا كلمة (بقدر) على ما بعدها (كفاية ليلة) إحالة داخلية بعدية. وكذلك قول الجاحظ:" قد كان لنا مقِلى ولكنه سرق فاستعرت من جارٍ لي آخر"[5]. أحالت هنا كلمة أخر على ما قبلها(جارٍ) إحالة داخلية قبلية.

وقوله أيضاً: "وليس هذا الحديث من حديث المراوزة، ولكنا ضممناه إلى ما يشاكله"[6]. أحالت هنا كلمة (يشاكله) إلى سابق (الحديث) إحالة داخلية قبلية.

ثانياً : المقارنة الخاصة:

يؤتى بالمقارنة الخاصة للتعبير عن الموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم أو الكيف، ويقوم اسم التفضيل في العربية بوظيفة المقارنة الخاصة، وتقضي قواعد اللغة أن يأتي اسم التفضيل على النحو الآتي:

أن يكون مقترناً بـ"من" للمفاضلة بين شيئين أو أكثر، ويصاغ من الثلاثي على وزن أفعل، دون أن يتطابق اسم التفضيل مع المفضل عليه، فإذا لم يكن الفعل ثلاثياً أو لم تنطبق

---

[1] - الفقي، د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، ص 116 نقلاً عن هاليدي ورقية حسن، ص37.
[2] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص 31.
[3] - المصدر الساق، ص32. خصف النعل: رقعها، وصدّر القميص:جعل له بطانة لتقويته.
[4] - المصدر السابق، نوادر اهل خراسان (السيخ المرتزي وعود المسرجة)، ص42.
[5] - المصدر السابق، نوادر أهل خراسان (النّظام وجاره الخراساني)، ص48.
[6] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان (الإيمان بالخلف)، ص54.

عليه شروط صوغه على أفعل[1]، صيغ التفضيل بالإتيان بمصدر الفعل مسبوقاً باسم تفضيل مناسب، كأن يقال: أكثر اجتهاداً، أو أقل مشاغبةً أو أشد صبراً أو نحو ذلك[2].

1- أن يكون مجرداً من "من" للدلالة على صيغة منتهى التفضيل، ويصاغ من الثلاثي على وزن أفعل للمذكر وأفعل أو فعلى للمؤنث، وثمة ثلاث حالات تأتي عليها صيغة منتهى التفضيل من حيث مطابقته وعدم مطابقته للمفضل عليه من حيث الجنس والعدد، وهذه الحالات هي:

أ- إذا اقترنت صيغة منتهى التفضيل بـ"ال" وجبت المطابقة بينها وبين المفضل عليه[3].
نحو: زيدٌ الأفضل، وهند الفضلى، والهندان الفضليان..

ب-إذا كانت صيغة منتهى التفضيل مضافة إلى معرفة، جازت المطابقة وعدمها[4]. نحو: زيدٌ أفضل القوم، الزيدان أفضل القوم الزيدون أفضل القوم، هند أفضل النساء وإن شئت قلت: الزيدان أفضلا القوم الزيدون أفضلوا القوم، وهند فضلى النساء.

ج-إذا كانت صيغة منتهى التفضيل مضافة إلى نكرة وجب عدم المطابقة نحو زيد أو هند أفضل من عمرو، الزيدان أو الهندان أفضلُ من عمرو، والزيدون أفضل رجال، والزيدان أفضل رجلين وهند أفضل امرأة[5].

"ويدل اسم التفضيل في الأغلب على أن شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه"[6].

"فالدعائم أو الأركان التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي ثلاثة:

1- صيغة أفعل وهي اسم مشتق.
2- شيئان يشتركان في معنى خاص.
3- زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص.

والذي زاد يسّمى المفضّل، والآخر يسمّى المفضّل عليه أو المفضول، ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمراً حميداً أو ذميماً[7].

وإضافة إلى "اسم التفضيل" يمكن أن يعبر بالمقارنة الخاصة بكلمات أخرى من نحو "مثل" و"نظير" و"كـ" وكما. ويمكن أن يضمّ إليها الألفاظ الدالة على الترتيب الزماني، تلك

---

[1] - لمعرفة شروط صوغ التفضيل على أفعل ومناقشتها ينظر:حسن، عباس، النحو الوافي، 395/3.
[2] - المرجع السابق، 398/3.
[3] - عبد الحميد، محمد محي الدين، شرح جذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص416.
[4] - عبد الحميد، محمد محي الدين، شرح جذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص417.
[5] - المرجع السابق، ص416.
[6] - حسن، عباس، النحو الوافي، 395/3.
[7] - المرجع السابق، 395/3.

التي تتّسم بطابع النسبية في بيان الزمن مثل (من قبل، من بعد)، ومن أمثلة الإحالة بالمقارنة الخاصة في نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"وقالوا إذا جدّ السؤال جدّ المنع، وقالوا: احذر إعطاء المخدوعين، وبذل المغبونين، فإنّ المغبون لا محمود ولا مأجور، ولذلك قالوا: لا تكن أدنى العيرين إلى السهم، يقول: إذا أعطيت السائلين مالك صارت مقاتِلك أظهر لأعدائك من مقاتلهم، وقالوا: الفِرار بقراب أكيس وقال أبو الأسود: ليس من العزّ أن تتعرض للذّل، ولا من الكرم أن تستدعي اللؤم، ومن أخرج ماله من يده افتقر، ومن افتقر فلا بدّ له من أن يضرع، والضرع لؤم"[1]. نرى هنا الإحالة بالمقارنة الخاصة في الكلمات (أدنى، أظهر، أكيس) فقد أفادت هذه الكلمات الموازنة بين شيئين، وربطت كل كلمة منها الجملة الثانية بالأولى، لأنه لا يكون هناك تفضيل إلاّ بالموازنة بشيء آخر، ولا يعرف ذلك الشيء الأخر إلاّ بالرجوع إلى ما سبق في الكلام، ومن هنا تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض، وعدم استغناء أحدها عن الأخر.

ومن المقارنة الخاصة قول الجاحظ:

"نراك تصنع شيئاً لا نعرفه، والخطأ منك أعظم منه من غيرك"[2].

"الشحيح أعذر من الظالم فقال: أخزى الله أمرين خيرهما الشّح"[3].

"وإنّما صارت الآفات إلى أموال البخلاء أسرع، والجوائح عليهم أكلبُ، لأنهم أقلّ توكلاً وأسوأ بالله ظناً"[4].

ومن أهم العلامات والمعايير التي يعرف بها كون التعبير محيلاً أم لا، وبناء عليه يعرف مدى أثره في تماسك النص، هو اختبار قدرة التركيب الذي يحتوي عليه في أن يكون جملة افتتاحية لا تسبق بغيرها وإذا ما تأملنا الأمثلة الأخيرة فسنرى الأثر الذي تركته ألفاظ المقارنة الخاصة في ترابط النص واستمراره، واعتماد بعضه على بعض ولكي يظهر لنا ذلك بوضوح، فسنفصّل الجمل التي تحتويها ألفاظ المقارنة عمّا قبلها، ليتأكد لنا ما ذهبنا إليه.

"أعظم منه من غيرك"

"خيرهما الشح"

"أعذر من الظالم"

"الجوائح عليهم أكلب"

"لأنهم أقل توكلاً"

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، رسالة ابن التوأم، ص 283.

[2] - المصدر السابق، قصة ابي سعيد المدائني، ص211.

[3] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص256.

[4] - المصدر السابق، ص244.

فنلحظ هنا بعد فصل جمل المقارنة الخاصة عن سابقاتها من الكلمات والجمل، كيف تفكّكت العبارة، وأصبح المعنى مبهماً، وهنا اتضح دور الإحالة المقارنة في ربط الكلام بعضه ببعض، واعتماد بعضه على بعض؛ لتحقيق التماسك الدلالي عند المتلقي.

ولكي نتبيّن الدور الذي أدته المقارنة بنوعيها العامة والخاصة في تحقيق الترابط والتماسك بين الجمل والفقرات، نورد فيما يأتي عرضاً تحليليّاً إحصائياً لورودها في نصوص البخلاء على اختلاف أنواعها:

الإحالة بالمقارنة في نصوص البخلاء للجاحظ					
نوع النص		عنوان النص	عدد الروابط المقارنة	توزع المقارنة داخل النصوص	
				مقارنة عامة	مقارنة خاصة
رسائل		رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد	29	9	20
		رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	80	6	74
		رسالة ابن التوأم	108	29	79
نوادر		عدد تواتر الإحالة المقارنة في الرسائل	217	44	173
		نوادر أهل خراسان	34	12	22
		نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	38	14	24
		نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	54	17	37
قصص:	بخلاء الجمع والمنع	عدد تواتر الإحالة المقارنة في النوادر	126	43	83
		قصة أهل البصرة من المسجديين	20	7	13
		قصة ليلى الناعطية	-	-	-
		قصة ابن العقدي	29	10	19
		تواتر الإحالة المقارنة في قصص بخلاء الجمع والمنع	49	17	32
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	5	2	3
	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	12	3	9
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	51	29	22
	البخلاء النفسية	قصة أبي جعفر الطرسوسي	2	1	1
		قصة الحزامي	34	20	14
		قصة الكندي	60	18	42

		تواتر الإحالة المقارنة في قصص البخلاء النفسية	96	39	57
	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	49	16	33
	البخلاء الشراهوالط فيليين	تفسير كلام أبي فاتك	17	6	11
		قصة الأصمعي	18	5	13
		تواتر الإحالة المقارنة في قصص البخلاء الطفيليين	35	11	24
	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	33	16	17
	البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أسد بن جاني	49	12	37
		قصة أبي سعيد المدائني	23	7	16
		قصة تمام بن جعفر	21	11	10
		تواتر الإحالة المقارنة في قصص البخلاء الواعظين	93	30	63
		مجموع الإحالة المقارنة في القصص	423	163	260

جدول(6)

ومن استقرائنا للجدول السابق يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

7- أكثر المقارنة تواتراً في النصوص هي المقارنة الخاصة، فقد بلغ تواترها 516 مرةً، في حين جاءت المقارنة العامة في المرتبة الثانية بتواتر قدره 250 مرّةً، وأكثر ما وردت المقارنة الخاصة في القصص، فقد بلغ تواترها 260 مرةً، ثم في الرسائل 173 مرةً ثم في النوادر 83 مرةً.

8- المقارنة الخاصة الأكثر دوراناً في النصوص هي مجيء اسم التفضيل متبوعاً بمن ليبيّن أن شيئاً زاد في صفة نفسه على شيء آخر في صفته فلا يكون بينهما وصف مشترك ومثاله قول الجاحظ:" أيّ بنيّ إن نسيم الدنيا وروح الحياة أفضلُ من أنتبيت كظيظاً"[1]، "على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ وأنعم من الزبد وأدسم من السلاء"[2]. "إنّ الماء الذي يكون عليه النّفاطات أمرأ من الماء الذي يكون عليه القيّارات"[3]. "وقد علمنا أن الزنج أقصر الناس فكرةً وروية وأذهلهم عن معرفة العاقبة، فلو كان سخاؤهم إنما هو

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني (لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص171.

[2] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني (لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص167.

[3] -المصدرالسابق، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص152 النفاطات : الواحدة نفّاطة وهي آلة من النحاس تشبه المنجنيق يرمى بها النفط والنار من داخل سفينة بحرية، وكذلك القيّارات هي التي يرمى بها القار أي الزفت.

لكلال حدّهم، ونقص عقولهم وقلة معرفتهم، لكان ينبغي لفارس أن تكون أبخل من الروم، وتكون الروم أبخل من الصقالبة"[1].

"جليس السوء خير من أكيل السوء"[2].

وهذه الصيغة أسهمت إسهاماً واضحاً في ربط الكلام بعضه ببعض، وتحقيق تماسكه، فهي تربط الجملة التالية لها بالجملة السابقة، لأن المقارنة لا تكون إلاّ بالموازنة بشيء آخر، ومعرفة هذا الشيء تتطلب منّا الرجوع إلى ما سبق ذكره، وبالتالي لا يمكن أن تستغني الجملة اللاحقة للمقارنة عن الجملة السابقة، فكل منهما يعتمد على الآخر في المعنى.

6- الإحالة بأداة التعريف (أل):

[1] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص245.
[2] - المصدر السابق، قصة الحارثي، ص111.

تبدو العلاقة بين (أل) والأسماء الموصولة وطيدة من حيث اللفظ والمعنى، أما من حيث اللفظ، فالظاهر أنّ (أل) تطورت من الكلمات الآتية: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي، اللائي، فهي تؤلف الجزء الأول من كل منها، وقد أجمع النحاة القدامى على أنّ هذه الأداة هي (ال) التي للتعريف[1].

وأمّا من حيث المعنى، فإنّ (ال) ما زالت تؤدي وظيفة اسم الموصول في بعض المواضع كما في قول الجاحظ: "وربما جنى الساكن ما يدعو إلى هدم دار المُسكن"[2].

فـ(ال) التي في (الساكن) و(المُسكن) تؤدي وظيفة اسم الموصول، ولذا يمكن تأويل كلمة الساكن بـ(من سكن) وكلمة المُسكن بـ(من أسكن) ومن جهة أخرى يبدو أن العلاقة وثيقة بين (ال) والضمير حتى إنها تنوب عنه أحياناً في الربط، كما في قول الجاحظ: " فلمّا صار في أعلاها طار أحدهما وأنزل الآخر، فكان هو الطباهج والكردناج، وهو الغداء وهو العشاء"[3].

أي كان الطائر غداءهم وعشاءهم، وهذا يؤكد صحة الجمع بينهما في موضوع الإحالة، ويعزّز القول بوظيفتهما في ربط الكلام بعضه ببعض، وإضفاء سمة التماسك على النص.

والواضحُ أنّ اللغة العربية تشتمل على ثلاثة أنواع من (أل):

أ- **(أل) الموصولة :** "وهي الداخلة على الصفات (المشتقات)"[4].

"ولا تكون (أل) موصولة إلاّ إذا دخلت على صفة صريحة"[5].

ومثالها من نصوص البخلاء قول الجاحظ:

"هذا الذي يضرط ويتكلم بالكلام البارد وبالطّرف المستنكرة"[6].

وقوله أيضاً: "إنّي أحذّرك مصارع المخدوعين، وأرفعك عن مضاجع المغبونين"[7].

(أل) الجنسية: وهي التي تشير إلى كل الجنس المتحدث عنه[8].

ويشمل هذا النوع من (أل) ثلاثة فروع:

---

[1] - الزّجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، كتاب اللامات، تحقيق د. مازن المبارك، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، المطبعة الهاشمية، د. ط، 1969م، ص28.

[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي، ص137.

[3] - المصددر السابق، الرجوع على أحاديث البخلاء (الدخل قليل والعيال كثير)، ص318.

[4] - المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص192.

[5] - حسن، عباس، النحو الوافي، 1/ 356 والصفة الصريحة هنا اسم الفاعل واسم المفعول.

[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة تمام بن جعفر، ص182.

[7] - المصدر السايق، رسالة ابن التوأم، ص266.

[8] - الزجاجي، كتاب اللامات، ص21-22.

1- (أل) التي تفسر بكل فرد من أفراد الجنس، وهي المسماة بأل الاستغراقية، ومثالها قول الجاحظ: "ويسّكروا الدّرياجة[1] على صغار السمك، لا يدخلوا في السواقي"[2]؛ أي يسّكر على صغار كل السمك.

2- (أل) التي تفسّر بالجنس في عمومه بغض النظر عن الأفراد المنضوين تحته ومثالها قول الجاحظ: "ذلك أن الرجل لا يعرف مقدار ما أكل حتى ينال من الماء"[3]. فالرجل هنا تشير إلى عموم الرجال ولا تخصّ رجلاً بعينه. أي لا تشير إلى كل فرد من أفراد الجنس.

3- (أل) التي تشير إلى الشخص بوصفه ممثلاً للجنس كلّه ومثالها قول الجاحظ: "ضع الجدي في التنور حين نضع الخوان... فيقوم الجدي الواحد مقام جديين"[4]. فالجدي هنا لا يشير إلى كل جدي، بل إلى جدي يمثل الجنس الذي ينتمي إليه، وهذا النوع من (أل) الجنسية " كان مثار جدلٍ كبيرٍ في البلاغة العربيّة إلى الحد الذي صعب معه توحيد مصطلح متفق عليه يشير إليها"[5].

ج- (**أل) العهدية** : وهي التي تشير إلى مرجع معين معهود للمتكلم والمخاطب[6].

"وهي التي تدخل على النكرة فتفيدها درجة من التعريف، تجعل مدلولها فرداً معنياً بعد أن كان مبهماً شائعاً"[7]. وتتوقف قدرة المخاطب على تحديد المرجع المقصود على واحد من الآتي:

1-**العهد الذهني:** وهو محكوم بما يسميه الأصوليون مبدأ التبادر الذي ينزع السامع بمقتضاه إلى حمل كلام المتكلّم في ضوء المعرفة المتبادلة بينه وبين مخاطبه، وتفاعلاتهم السابقة، والمقام الحالي الذي وقع فيه التخاطب، فأل هذه " تحددّ المراد من تلك النكرة، وتحصره في فرد معين، تحديداً أساسه علم سابق في زمن انتهى قبل الكلام، ومعرفة قديمة في عهد مضى قبل النطق، وليس أساسه ألفاظاً مذكورة في الكلام الحالي. وذلك العلم السابق ترمز إليه (أل) العهدية وتدل عليه وكأنها عنوانه"[8] ومثالها قول الجاحظ: " أما القرنُ فالوجه فيه معروف وهو أن يجعل منه كالخطّاف"[9]. فالقرن هنا معهود عند السامع ومعروف أنّه قرن الأضحية التي أهديت إلى معاذة.

---

[1] - الدّرياجة : البحيرة التي يصنعها صياد الأسماك.
[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة ابن العقدي، ص199.
[3] - المصدر السابق، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص152.
[4] - الجاحظ، البخلاء، حديث خالد بن يزيد (جدي مقام جديين)، ص93.
[5] - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 2/23-24.
[6] - الزجاجي، كتاب اللامات، ص21.
[7] - حسن، عباس، النحو الوافي، 1/423.
[8] - المرجع السابق، 1/424.
[9] - الجاحظ، البخلاء، قصة أهل البصرة من المسجديين (وضع الأمور مواضعها)، ص62.

2-العهد الذكري : وهو "أن النّكرة تذكر في الكلام مرتين بلفظ واحد، تكون في الأولى مجردة من (أل) العهدية، وفي الثانية مقرونة بـ(أل) العهدية التي تربط بين النكرتين وتحدد المراد من الثانية بأن تحصره في فرد واحد هو الذي تدل عليه النكرة الأولى"[1]، ومثالها قول الجاحظ: "ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديد تلك؟ قالت: بأبي أنت؛ لم يجيء وقت القديد بعد"[2] تشير هنا كلمة (القديد) المعرفة بأل إلى كلمة (قديد) السابقة التي وردت نكرة، فحدث الربط بين الكلمتين وكذلك بين الجملتين بسبب أحادية المرجع الذي تشير إليه. ومنه قول الجاحظ:" قال يشتري لنا أرزاً بقشره ويحمله معه، ليس معه شيء مما خلق الله إلاّ ذلك الأرز"[3] أيضاً هنا أحالت أل التعريف في كلمة (الأرز) الثانية إحالة داخلية قبلية إلى (أرزاً) التي جاءت نكرة في الجملة السابقة لها، "فإن النكرة الثانيّة بمنزلة الضمير، والأولى بمنزلة مرجع الضمير، و(أل) هي الرابطة بينهما الدالة على اتصال الثانية بالأولى اتصالاً معنوياً. ويدل على أنّ الثانيّة بمنزلة الضمير والأولى بمنزلة مرجعه أنك في مثل المثال الثاني "قال يشتري لنا أرزاً بقشره ويحمله معه، ليس معه شيء ممّا خلق الله إلاّ ذلك الأرز" قد تستغني عن (أل) وعن كلمة أرز الثانية، اكتفاءً بالضمير المستتر في الفعل، والذي قد يغني عنهما حيث تقول: قال يشتري لنا أرزاً... ليس معه شيء ممّا خلق الله إلاّ ذلك" لهذا يقول النحاة إنّ فائدة (أل) العهدية التنبيه على أنّ مدلول ما دخلت عليه هو مدلول النكرة السابقة المماثلة في لفظها لها، والخالية من (أل) فلو قلنا: قال يشتري لنا أرزاً... ليس معه شيء مما خلق الله إلا ذلك أرزاً "بتنكير كلمة (أرز) في الحالتين لوقع الوهم أن المراد من كلمة (أرز) الثانية أرز آخر غير الأول مع أن المراد منهما واحد ولذلك لا ينعت الاسم المعرف بأل العهدية، لأنه يشبه الضمير، وواقع مع أل موقعه كما سبق"[4]. فهي تتعدى ما يراه النحاة من تحويل النكرة إلى معرفة "إنّ الربط بين الجمل ربطاً يشبه الإحالة بالضمير من حيث أنها تذكّر السامع أو القارئ بشيء سبق ذكره، أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق"[5].

3-**العهد الحضوري**: "وهو حصول مدلول النكرة وتحقّقه في وقت الكلام، بأن يبتدئ الكلام خلال وقوع المدلول وفي أثنائه"[6]. ومثاله قول الجاحظ: " وهذا، حفظك الله، هو اليوم الذي كانوا لا يعاينون فيه لقمة واحدة"[7].

---

[1] - حسن، عباس، النحو الوافي، 423/1.
[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة أهل البصرة من المسجديين (وضع الأمور مواضعها)، ص63.
[3] - المصدر السابق، قصة ابن العقدي، ص198.
[4] - حسن، عباس، النحو الوافي، 423/1 الهامش مع تصّرف المثال.
[5] - خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص229
[6] - حسن، عباس، النحو الوافي، 424/1.
[7] - الجاحظ، البخلاء، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص156.

وقوله:" ما أنام الليل كلّه، وقد أهلكني الأرق"[1].

وقوله: " فالرأي أن نتقدم اليوم فيما يحسم عنهم هذا السبب"[2].

ففي الأمثلة السابقة نجد أنّ كلمات (اليوم، الليل، اليوم) قد أشارت إلى الوقت الحاضر الذي حضر الجاحظ فيه الكلام.

ومن الواضح أن (أل) التي للعهد الذكري هي أنسب أنواع (أل) وسيلةً لتماسك النص؛ لأن إحالتها إحالة داخليّة، وهو ما يجعلها قادرة على ربط جملتين بعضهما ببعض. وعلى الرغم من أنّ كلاً من (أل) وأسماء الإشارة تُبيّن لنا أنّ المرجع الذي تحيل عليه موجودٌ في مكان ما في السياق بمفهومه العام الذي يشمل السياق الداخلي والخارجي، فإنّ الفارق بين (أل) من جهة وأسماء الإشارة من جهة أخرى هو أنّ أسماء الإشارة خلافاً (لأل) تبين لنا بالتحديد المكان الذي نجد فيه المرجع أو المحال إليه، إذ تصّرح بكون المرجع قريباً أو متوسطاً أو بعيداً من المتكلم، وممّا يسّهل علينا المهمة أيضاً أنها تبيّن لنا جنسه وعدده. أما (أل) فلا تعطي أي معلومات محددة عن المرجع أو المحال إليه، بل كل ما تستلزمه أنّه يمكن معرفة المرجع من خلال الرجوع إلى معارفنا عن العالم الخارجي في حالة (أل) الجنسية، أو من خلال النظر في السياق الداخلي بالنسبة إلى (أل) التي للعهد الذكري، أو في السياق الخارجي بالنسبة إلى (أل) التي للعهد الذهني.

ولمعرفة الدّور الذي أدّته أداة التعريف في تحقيق الترابط والتماسك بين جمل النصوص المدروسة، نورد فيما يأتي عرضاً تحليلياً إحصائياً لتواتر أداة التعريف بأنواعها الثلاثة في النصوص المختلفة للبخلاء:

الإحالة بأداة التعريف في نصوص البخلاء للجاحظ					
نوع النص	عنوان النص	عدد الروابط بأداة التعريف	توزع أداة التعريف في النصوص		
			أل الجنسية	أل العهدية	أل الموصولة
رسائل	رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد	255	9	217	29
	رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	442	42	351	49
	رسالة ابن التوأم	808	36	644	128
	عدد تواتر أداة التعريف في الرسائل	1505	87	1212	206
	نوادر أهل خراسان	324	14	294	16

[1] - المصدر السابق، قصة تمام بن جعفر، ص181.

[2] - المصدر السابق، قصة ابن العقدي (البِشر وقاية دون المال)، ص206.

نوادر	نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	240	11	210	19
	نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	478	45	381	52
قصص: بخلاء الجمع والمنع	عدد تواتر أداة التعريف في النوادر	1042	70	885	87
	قصة أهل البصرة من المسجديين	179	10	152	17
	قصة ليلى الناعطية	71	1	58	12
	قصة ابن العقدي	204	13	185	6
	عدد تواتر اداة التعريف في قصص بخلاء الجمع والمنع	454	24	395	35
اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	41	4	36	1
البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	111	12	93	6
البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	388	15	345	28
البخلاء النفسية	قصة أبي جعفر الطرسوسي	5	-	4	1
	قصة الحزامي	219	11	186	22
	قصة الكندي	450	20	370	60
	تواتر الإحالة بأداة التعريف في قصص البخلاء النفسية	674	31	560	83
البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	225	22	188	15
البخلاء الشراه والطفيليين	تفسير كلام أبي فاتك	122	8	103	11
	قصة الأصمعي	184	8	167	9
	تواتر الإحالة بأداة التعريف في قصص البخلاء الطفيليين	306	16	270	20
البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	293	14	246	33
البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أسد بن جاني	535	27	471	37
	قصة أبي سعيد المدائني	239	7	218	4
	قصة تمام بن جعفر	154	10	132	12
	تواتر الإحالة بأداة التعريف في قصص البخلاء الواعظين	928	44	821	53
	مجموع الإحالة بأداة التعريف في القصص	3420	182	2954	274

جدول(7)

ومن استقرائنا للجدول السابق يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1- أكثر أدوات التعريف تواتراً في النصوص هي (أل) العهدية، فقد بلغ تواترها 5051 مرةً، في حين جاءت (أل) الموصولة في المرتبة الثانية بتواتر قدره 567 مرةً، وجاءت أل الجنسية في المرتبة الثالثة بتواتر قدره 339 مرةً، وأكثر ما وردت (أل) العهدية في القصص بتواتر قدرة 2954، ثم في الرسائل بتواترٍ قدرة 1212، ثم في النوادر بتواتر قدره 885.

2-أدّت (أل) العهدية دوراً كبيراً في تحقيق الترابط والتماسك بين الجمل، والفقرات، وبين النصوص، والقصص، ومن ذلك قول الجاحظ" قال أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام: دعانا جارٌ لنا، فأطعمنا تمراً وسمَن سلاء[1]، ونحن على خوان ليس عليه إلاّ ما ذكرت والخراساني معنا يأكل، فرأيته يقطر السمن على الخوان حتى أكثر من ذلك"[2]. فنرى هنا أن (أل) التعريف في (السمن، الخوان) قد أحالت إحالة قبليّة إلى نكرتين سابقتين في الجملة السابقة وهما (خوان، سمن سلاء). وكذلك أحالت لفظة (الخراساني) إلى النص السابق له، وهو (النظام وجاره الخراساني) وقد كنّى عنه في هذه القصة بقوله : (كان لنا جار من أهل خراسان).

ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ: " قال: قال أبو الفاتك: الفتى لا يكون نشّالاً، ولا نشّافاً، ولا مرِسالاً، ولا لكّاماً، ولا مصّاصاً... " [3].

ثم نرى الحارثي يفسّر هذه الكلمات التي ذكرها أبو فاتك في القصة التالية لقصته التي ذكر فيها هذه الأسماء، فقد قال في افتتاح النص التالي لقصّته: " أما قوله: الفتى لا يكون نشّالاً عنده، فالنشّال عنده :... والنشّاف.... والمرسال.... وأما اللكام.... " [4]. فهنا يظهر بجلاء الدور الذي أدّته أل العهدية في تحقيق الترابط بين النصوص وربطها بعضها ببعض، فضلاً عن التماسك بين أجزائها، فالكلمة الثانية المعرّفة بأل هي بمنزلة الضمير، والكلمة المحال إليها أو النكرة السابقة بمنزلة مرجعه، ولا يفهم الضمير إلاّ بمعرفة مرجعه، وأل هي الرابطة بينهما.

---

[1] - السلاء ما طبخ من السمن وصفي.

[2] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان(طلّق امرأته لغسلها الخوان)، ص48.

[3] - المصدر السابق، قصة الحارثي، ص 110.

[4] - المصدر السابق، تفسير كلام أبي فاتك، ص 122.

7- الإحالة بالتكرار:

تُعدّ ظاهرة التكرار من الظواهر النصّية التي تضفي على النص الترابط الشكليّ والدلاليّ في سياق تواصلي معيّن بين العناصر المتكررة على امتداد طول النص، وقد تنّبه علماء العربيّة القدامى من نحاة وبلاغيين ونّقاد ومفسرين إلى ظاهرة التكرار ودوره في معماريّة النص –كما مّر معنا سابقاً– إذا نجد هؤلاء العلماء قد عرضوا للتكرار في معرض درسهم أو تعليقاتهم على الشواهد الشّعرية أو النّص القرآني.

كما اهتم علماء النص المحدثون بالظاهرة المذكورة اهتماماً كان له حضورٌ قويّ في دراساتهم النصّية فعالجوا الظاهرة من جوانبها المختلفة: الشكلّية أو الدلاليّة أو التداولية، بينما ركّز بعضهم على بحثها من تلك الزوايا مجتمعةً، ورغم هذا وذاك فقلّما يجد القارئ من بين هؤلاء الجمهور من النقاد والدّارسين – قدامى ومحدثين – من درس بنية الإحالة التي يعتمد عليها التكرار، لتغدو الإحالة تكراريّة ذات مرجعيّة داخليّة أو خارجيّة، قبليّة أو بعديّة، ودورها في تماسك أجزاء النص، وشدّ بعضها إلى بعض عن طريق تردّدها المستّمر من بداية النّص حتى آخره، اللهّم ما فعله إبراهيم الفقي حينما تعرّض للتكرار ودرس الدوّر الإحالي الذيّ اضطلع به في السور المكيّة.

ينهض التكرار من حيث المبدأ – كما يحدّه ابن الأثير (ت 636هـ) على" دلالة اللفظ على المعنى مُردّداً كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع فإنّ المعنى مردّد واللفظ واحد"[1]. كما يحدّه السجلماسي (ت 704هـ) بأنه" إعادة اللفظ بالعدد أو النوع أو (المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع) في القول مرتين فصاعداً"[2].

ويرى" أنّ تحته نوعين: أحدهما التكرار اللفظي، ولنسمه مشاكلة، والثاني: التكرير المعنوي، ولنسمه مناسبة؛ وذلك لأنّه إما أن يُعيد اللفظ وإما أن يعيد المعنى، فإعادة اللّفظ هو التكرير اللفظي وهو المشاكلة، وإعادة المعنى هو التكرير المعنوي وهو المناسبة"[3]. وفي السياق ذاته نجد ابن الأثير الحلبي يحذو حذو السجلماسي فيجعل التكرار يتجلى عبر مسربين اثنين، وهذا دأب علماء اللغة العربّية القدامى – نحاة وبلاغيين، نقاداً ومفسرين – فـ"الأول يوجد في اللفظ والمعنى مثل: أسرع أسرع والثاني: يوجد في المعنى دون اللفظ مثل: أطعني ولا تعصني فإنّ الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية"[4].

إنّ التكرار يتشّكل بنيوياً على المستوى اللفظي عبر أنماط وحدات لسانية مختلفة تمتّد من تكرار الحرف ثمّ الكلمة إلى الجملة فالعبارة في مواضع أخرى غير الموضع الذي ذُكرت فيه أوّل مرّة. كما يتشكّل دلالياً بإعادة ذكر المعاني في صور مختلفة من البُنى اللسانيّة، وبذلك فالتكرار – يتمثّل في أبسط مستوياته " بأن يأتي المتكلّم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده وهذا من أشرطة اتفاق المعنى الأوّل والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متحداً، وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً فالفائدة في الإتيان به الدّلالة على المعنيين المختلفين"[5].

ومن الجدير بالذكر أنّ ظاهرة التكرار ليست حكراً على الكلام العفوي العادي[6].

ونتيجة السّهو الذي ينتاب المتكلم أحياناً أو أيّة دوافع أخرى كما ليس من شأنها تقليل الإعلامّية[7] والإبلاغيّة وتشتيت الوحدات التواصّلية والطعن في الفصاحة، وهذا ما عناه ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) بقوله: "وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة ويفشي في طلاوتها

---

[1] - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 3/3.

[2] - السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص476.

[3] - السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص 477.

[4] - مطلوب، د. أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورّها، عربي عربي، بيروت: مكتبة ناشرون لبنان، ط2، 2000م، ص411.

[5] - المرجع السابق، ص173.

[6] - دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص303.

[7] - دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص306، الإعلاميّة: وتكون في الوقائع الخارجة بعض الشيء على قائمة الخيارات المحتملة، وهذه الوقائع قليلة الحدوث نسبياً، وتتطّلب قدراً كبيراً من الاهتمام، وتنقسم إلى قسمين: أولاهما الانقطاعات وفيها تبدو تشكيلة ما خالية من المادة، وثانيها: المفارقات تبدو الأنماط المعروضة فيها من النص غير مواكبة لأنماط المعرفة المختزنة.

أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنّبه، وصيانة نسجه عنه؛ إذ كان لا يحتاج إلى كبير أملٍ ولا دقيق نظرٍ، وقلمّا يخلو واحدٌ من الشعراء المجُيدين أو الكتاب من استعمال ألفاظ يُديرها في شعره حتى لا يخلو في بعض قصائده بها، فربّما كانت تلك الألفاظ مختارة يسّهل الأمر في إعادتها وتكريرها، إذا لم تقع إلاّ موقعها، وربّما كانت على خلاف ذلك"[1].

والتكرار من سمات الفصاحة؛ إذ يقول بدر الدين الزركشي (ت794هـ): "وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنّاً أنّه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيّما إذا تعلّق بعضه ببعض"[2].

ويعتبر السيوطي (ت 911هـ) التكرار" أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط... وقد قيل الكلام إذا تكررّ تقرّر"[3].

لكنّ ظاهرة التكرار كانت ديدن العرب في كلامها، فقد ذكر أحمد بن فارس (ت395هـ) أنه" من سنن العرب التكرير والإعادة، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"[4]. ومن هنا يعد التكرار ظاهرة بلاغيّة لا يفطن إليها إلاّ من له تبّصر بفنون الكلام العربي لأنّه يضطلع بفاعليّة إبلاغيّه وتداوليّة أثناء التواصل بين المتخاطبين بالإضافة إلى أنّ أغراضه[5]. تتعدّد حسب مقتضيات السّياقات والمواقف التي ترد فيها العناصر المكرّرة: كالتأكيد، والاستلذاذ بالكلام، وتعظيم الأمر وتهويله، وزيادة التنبيه، وطول الكلام الذي قد يُسّبب نسيانه، وتعدّد المتعلق. وكذلك اهتم علماء النص المحدثون بظاهرة التكرار اهتماماً ملحوظاً في دراساتهم بحسبانه أحد الأدوات المركزية للنص، ولم يغفلوا دوره الحاسم في البناء اللغوي والدّلالي للنص، لكنهّم انقسموا فريقين، ففريقٌ منهم يثبت أهمية التكرار وفريقٌ آخر يلغيها، إذ نجد (روبرت دي بوجراند) في سياق حديثه عن التكرار يقول: "تعدُّ إعادة اللفظ في العبارات السطحية التي محتوياتها المفهوميّة وإحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام"[6].

ويضيف قائلاً: "ويمكن لإعادة اللفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة أن تكون ضّارة لأنها تحبط الإعلامية"[7].

يتبّين لنا أخذ (روبرت دي بوجراند) على التكرار إحباط الإعلاميّة، والتقليل من شأن المرسل والرّسالة معاً على اعتباره لا يقع إلاّ في الكلام العفوي العادي والمرتجل، ولكن (دي

---

[1] - الخفاجي، ابن سنان، سرّ الفصاحة، بيروت :بدار الكتب العلمية، ط1، 1982م ص 95 – 96.
[2] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 9/3.
[3] - السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، 199/3.
[4] - السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحّحه وعلّق عليه : محمد أحمد جاد المولي، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت : دار الفكر، د. ط و د. ت 332/1.
[5] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ، 9/3.
[6] - دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص303.
[7] - المرجع السابق، ص 306.

بوجراند) يستدرك فيقرّر أنّه من صواب طرق الصياغة أن تُخالف ما بين العبارات بتقليبها بواسطة المترادفات، ولكن يحدُث ألاّ يكون هناك إلاّ اسمٌ واحدٌ للمدلول المطلوب... وفي التقارير العلميّة يجب أن يكون هناك استقرارٌ على استعمال المصطلحات المحدّدة على الرغم ممّا يتّطلبه مبدأ الإعادة، ويبدو أن السامعين والقرّاء يهيئون إرهاصاتهم للاستجابة لهذه العوامل"[1].

ورغم هذا يُضيف قائلاً: "ويمكن للمخالفة المتعمدّة لمبدأي الثبات والاقتصاد أن تزيد في الإعلامّية والاهتمام"[2].

ويسير (محمد مفتاح) على خطى (دي بوجراند) يعدّ" أنّ تكرار الأصوات والكلمات والتراكيب ليس ضرورياً لتؤدي الجمل وظيفتها المعنوية والتداولية، ولكنه شرط كمالٍ أو محسّنٍ أو لعبٌ لغوي"[3]. ثم يستدرك هو الآخر قائلاً: " ومع ذلك فإنّ التكرار يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى"[4]. ومن المحدثين الذين نحوا منحى (دي بوجراند و محمد مفتاح) حسام أحمد فرج إذ يقول: " إنّ الإكثار من التكرار يؤدي إلى تقلّص الإعلامية كما يعد عيباً بلاغياً معروفاً لدى النقاد، هذا بالإضافة إلى ما يظهره من فقر لغوي قد يؤدي إلى عدم قبول النص"[5].

أمّا الفريق الثاني فيؤكّد الدور الحاسم لظاهرة التكرار في خطاب ما؛ إذ يقول موسى ربابعة: "فلا يجوز أن يُنظر إلى التكرار على أنّه تكرار ألفاظ بصورة مبعثرة غير متصلة بالمعنى، أو بالجو العام للنص الشعري، بل ينبغي أن يُنظر إليه على أنّه وثيق الصلة بالمعنى العام"[6].

ومن هنا نتبيّن أهمية التكرار في المعمار اللغوي للنص، وصرحه الدلالي باعتباره" لعبٌ على المعنى اللغوي"[7].

وعنصر إيقاعي اكتنزت به القصيدة المعاصرة، فتلوّنت بالموسيقى التي لم تعد تجد "شرط تولدّها فقط في الأوزان المعروفة، أو في وزن ما معيّن بل تجد شرط تولدها أيضاً وربّما بشكل أفضل في تقطيعات وفي توازنات لا متناهية، تجده في التقابل والتشاكل، في التكرار على أنواعه: التكرار لحروفٍ بذاتها، أو الكلمات، والذي هو تكرار لأصواتٍ،

---

[1] - دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص306.
[2] - المرجع السابق، ص304.
[3] - مفتاح، د. محمد، الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م، ص 39.
[4] - المرجع السابق، ص 39.
[5] - فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص 108.
[6] - ربابعة، د. موسى، التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، الأردن : مؤتمر النقد الأدبي، جامعة اليرموك، 10 – 11 تموز 1988م، ص15.
[7] - مدّاس، د. أحمد، لسانيات النّص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، الأردن : عالم الكتب الحديث، ط1، 2007م، ص222.

لمسافات زمنية لغويّة، وقد يكون اللفظ كما قد يكون المعنى هو حدود هذه المسافات أو فاصلتها"[1].

فضلاً عن كونه مؤشراً بنيوياً يسهر على سبك النص؛ إذ يقوم التكرار" بوظيفة هامة تخدم النظام الداخلي للنص، وتشارك فيه لأنّ الشاعر يستطيع بتكرار بعض الكلمات أن يعيد صياغة بعض الصور من جهةٍ، كما يستطيع أن يكثّف الدلالة الإيحائية للنص من جهة أخرى"[2] والتكرار بذلك شكل من أشكال التماسك المعجمي، وهو من الظواهر التي" نجدها في الألفاظ والتراكيب والمعاني لتحقيق البلاغة في التعبير ولتأكيد الكلام والجمال في الأداء اللغوي"[3]. وبذلك ينشأ التماسك المعجمي من التكرار الذي يُعدّ من أدواته التي" تبثّ في الكلام الانسجام والاتساق والتناسق"[4] والترابط المعنوي بين أجزائه؛ فهو يحتوي أيضاً إمكانيات تعبيريّة تغني المعنى إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه، ويستخدمه في موضعه؛" فالتكرار محمود إذا جاء في الموضع الذي يقتضيه، وتدعو الحاجة إليه"[5] وفي هذه الحالة لا يصبح نوعاً من العجز الشعري، وإنّما " يصير فضيلة في الشعر"[6] وخصوصاً إذا ما استُخدم على النحو الذي يقف تماماً عند الحاجة الشعرّية القصوى.

كما يضطلع التكرار بدورٍ تداوليّ يظهر عبر وسيط مقامي أثناء التواصل في بنية المقام الخارجي، حين يستعمل التكرار بوضوح" من أجل تقرير وجهة نظر معيّنة وتوكيدها"[7] ويكون "القصد الأساسي فيه التذكير والترسيخ"[8] فينشد انتباه السامع بالإلحاح والتأكيد على جانبٍ مهّمٍ من اللفظ أو المعنى يُعنى به الشاعر أكثر ممّا سواه لـ"الاهتمام بالخطاب؛ أي لفت أسماع المتلقين إلى أنّ لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها"[9]. وهو بذلك ذو وظيفة تداوليّة تقّوي الإعلاميّة بإثارة التّوقع لدى السامع للموقف الجديد، وهذا ما عناه موسى ربابعة بأنّ التكرار "يكشف عن فاعليّة قادرة على منح النص الشعري بنية متّسقة، إذ إنّ كل تكرار قادر على تجسيد الإحساس بالتسلسل والتتابع، وهذا التتابع الشكلي يعين في إثارة التّوقع لدى السّامع، وهذا التّوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزاً لسماع الشاعر

---

[1] - العيد، د. يمنى، في القول الشعري، الرباط : دار توبقال للنشر، ط1، 1987، ص17-18.
[2] - عيّاشي، د. منذر، مقالات في الأسلوبية، دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1990 ص 83.
[3] - ياقوت، محمود سليمان، علم الجمال اللغوي، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، د. ط، 1995م، ص449.
[4] - خليل، د. إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص 231.
[5] - مطلوب، د. أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، ص140.
[6] - كليطو، د. عبد الفتاح، الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، بيروت : دار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1982م، ص10.
[7] - أبو غزالة، إلهام، حمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، ص82.
[8] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص136.
[9] - خطّابي، محمد، لسانيات النّص، ص179.

والانتباه إليه"[1]. فضلاً عن اعتبار التكرار "أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى بطبيعة الحال، كما نجده أساساً لنظريّة القافيّة في الشعر، وسرّ نجاح الكثير من المحسنات البديعية"[2] ويؤكّد كافة علماء النص المحدثين على دور التكرار في تحقيق التماسك الشكلي والدلالي في نصٍ ما بحيث يتجاوز الانسجام الإيقاعي في بعده التأثيري، متدخلاً في تشكيل البنية الدلالية للنص من خلال النظم المختلفة التي يمكن أن يأتي عليها التكرار، ونعني بها: تكرار الحروف، الكلمات، العبارات، الجمل، الفقرات، القصص...إلخ.

ويذكر الزّناد أنّ الإحالة القبليّة تشتمل" على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظٍ أو عددٍ من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهو الإحالة التكرارية، وتمثّل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دوراناً في الكلام"[3]. بحيث ينشأ التضافر بالإحالة التكرارية فيما بين العناصر الإشاريّة والعناصر الإحاليّة من خلال أداء هذه الأخيرة لدورها في "التذكير والترسيخ لتباعد ما بين الموضعين"[4] اللذين يتموضع فيهما العنصران مّما يؤدي إلى الترابط الإحالي؛ إذ يقول تمّام حسّان: "ثمة نوع من إعادة الذكر لإنعاش الذاكرة أيضاً، وهو ما يعرف بالتكرار أو إعادة ذكر صدر الكلام بعد أن حال بينه وبين ما يتعلّق به فاصلٌ طويل من الكلام جعله مظّنة النسيان أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب، فإذا أعيد صدر الكلام اتضحت العلاقة بما يليه وينتمي إليه"[5] ولم يقف حسّان عند هذا الحدّ بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين عدّ التكرار في أصل الروابط النصّية فيما بين عناصر الكلام أو النص، فعلاقة الربط" وظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تُعين على الوصول إلى هذه الغاية، والأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ، لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضماناً للوصول إليه"[6].

ومثال ذلك من نصوص البخلاء عند الجاحظ قوله:

"عبتموني بقولي لخادمي: أجيدي عجنه خميراً كما أجدته فطيراً، ليكون أطيب لطعمه وأزيد في ريعه.... وعبتم عليّ قوليّ " من لم يتعرف مواقع السرّف في الموجود الرخيص، لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي، فلقد أتيت من ماء الوضوء بكَيْله يذلّ حجمها على مبلغ، وأشفّ من الكفاية فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير

---

[1] - ربابعة، د. موسى، التكرار في الشعر الجاهلي، ص15.

[2] - وهبة، د. مجدي، المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984م، ص117-118.

[3] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص 119.

[4] - المرجع السابق، ص136.

[5] - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغويّة أسلوبيّة للنص القرآني، القاهرة :عالم الكتب، ط2، 2000م، ص132.

[6] - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن، ص128.

عليها من وظيفة الماء وجدت في الأعضاء فضلاً على الماء، فعلمت أن لو كنتُ مكنّت الاقتصاد في أوائله ورغبتُ عن التهاون به في ابتدائه، لخرج آخره على كفاية أوّله ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر. فعبتموني بذلك"[1].

فنلحظ في النص السابق تكرار عبارة (عبتموني) والتي أحالت إحالة قبليّة إلى العنصر الأول بحيث تسهر على استمراره، وربط الكلام بأوّله و" قد أفاد هذا الربط نوعاً من الترديد الذي يُراد منه التأكيد على صلابة الموقف الأوّل، وتذكير المتلقي به"[2] وفضلاً عن ذلك فالتكرار "يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النّصي، وذلك عن طريق امتداد عنصرٍ ما من بداية النص حتى آخره، هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، وهذا الامتداد يربط بين عناصر النص"[3] ويمكن التدليل على ذلك من كتاب البخلاء بقول الجاحظ: "واعلم أنّ الشبع داعية البشم[4]، وأنّ البشم داعية السقم، وأنّ السقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتةً لئيمة، وهو قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره، واعجب إن أردت العجب، وقد قال الله جل ذكره: ﴿**وَلَاتَقْتُلُواأَنْفُسَكُمْ**﴾[5] وسواء قتلنا أنفسنا أو قتل بعضنا بعضاً كان ذلك للآية تأويلاً، أيّ بنيّ إنّ القاتل والمقتول في النار. ولو سألتَ حذّاق الأطباء لأخبروك أنّ عامة أهل القبور إنما ماتوا بالتخّم"[6].

ففي هذا النص يتبيّن لنا أنّ عبارة (ماتوا بالتخم) أدّت دوراً مهّماً في الاختزال، وامتصاص دلالات العناصر الإحالية السابقة عليها وإحضارها، ويمكن لنا توضيح ذلك بالشكل الآتي:

الشكل(4)

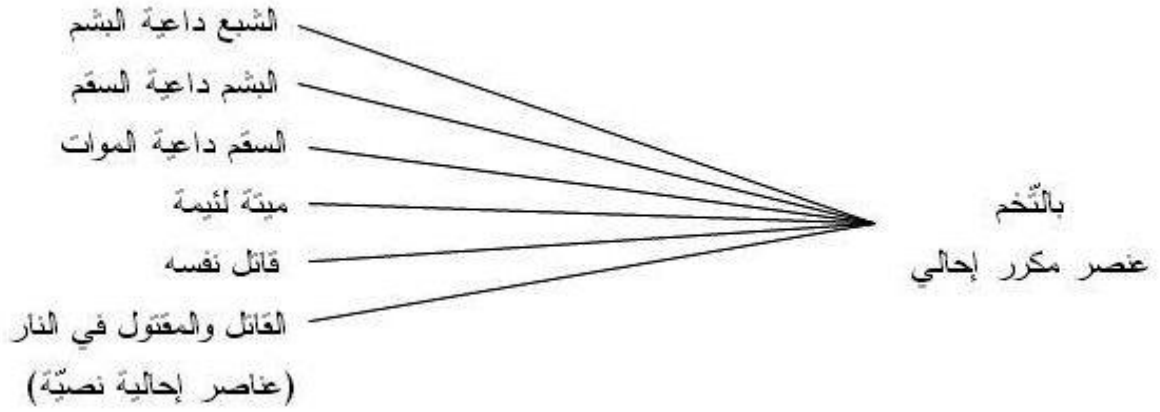

[1] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص30.
[2] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص50.
[3] - الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 22/2.
[4] - البشم: التخمة.
[5] - سورة النساء، الآية29.
[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني، (لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص170.

الناظر في هذا الشكل، يتكشّف له أنّ العنصر الإحالي المكُررّ يحتوي دلالات العناصر الإحالية السابقة عليه، وهي بدورها تحتويه بصورة ضمنية؛ فكلمة (التخم) لفظ عام تندرج تحته كل الأسباب المؤدية إليه والنتائج المحتملة منه، بحيث يغني عن كل الدلالات السابقة، إلى جانب ربط ذلك كلّه بما يليه من الكلام.

وهكذا فالإحالة التكرارّية ظاهرة دلاليّة وليست شكليّة فحسب؛ ففي إطار السّياق النصّي تتحكم بتحديد المعنى المعّين إلى جانب المعاني التي تتقاطع في عنصر إشاريّ واحدٍ، وبذلك" فالتكرار أو الترديد يّمثل تعدداً في البنية التركيبية، ولكنّه لا يغيّر شيئاً من البنية الإحالية في النّص لأنّه بنية عابرة للتركيب تقوم في الأساس على المدلول فهي توافق البنية التّركيبية في الغالب، ويمكن أن تخرج عنها عند توفّر شروط الترديد القائم على الترادف"[1]. فالعناصر الإحالية المكرُرة تسهر على الاطراد المستمر للعناصر الإشارية التي ترتبط بها وتحيل إليها، بحيث يكون العنصر الإشاري الواحد بمثابة نقطة التقاطع، أبو بؤرة مركزية تُفسّر في ضوئها العناصر الإحالية المكررة، وتُحدّد دلالاتها، وبالتالي تشّد من خلال موقعها البنى النصّية إلى بعضها.

ولمزيد من التوضيح نورد المثال التالي أيضاً من نصوص البخلاء:

"أي بنيّ قد بلغت تسعين عاماً، ما نغض[2] لي سنّ، ولا تحركّ لي عظم، ولا انتشر لي عصب، ولا عرفت دَنين أذن ولا سيلان عين ولا سلس بول. ما لذلك علّة إلاّ التخفيف من الزاد. فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تحبّ الموت فلا يبعد الله إلاّ من ظلم"[3].

ورد في هذا النص تكرارات على المستوى الدّلالي أسهمت في التواصل المعنوي للنص وترابط أجزائه، إذ إنّ عبارة (إن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة) تأكيدٌ لقوله (ما لذلك علّةٌ إلا التخفيف من الزاد) وأمّا عبارة (إن كنت تحبّ الموت فلا يبعد الله إلاّ من ظلم) تأكيدٌ ثانٍ أبلغ من الأوّل؛ ولهذا لا يمكن اعتبار التكرار الثاني حشواً ما دام أبلغ من الأوّل وآكد؛ ولأنه أضاف معنىً جديداً يرتبط بالمعاني السابقة عليه ممّا يزيدها قراراً وثباتاً وتنامياً في ذهن المتلقي وكأنه يقول من أراد الموت السريع فليكثر من الزاد. و"إنّ في هذا تنصيصاً على الوظيفة المزدوجة التي يقوم بها التكرير، وهي الربط أولاً (الجمع بين الكلامين) والثانية الوظيفة التداوليّة المعبّر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب، أي لفت أسماع المتلقين إلى أنّ لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها"[4].

---

[1] - الزّناد، الأزهر، نسيج النص، ص137.

[2] - تحرّك بارتجاف.

[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني(لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص172.

[4] - خطابي، محمّد، لسانيات النص، ص179.

ومن الأمثلة التي نوردها على التكرار قول الجاحظ: "وقد يعلّق البخيل على نفسه من المؤن، ويلزمها من الكلف، ويتخذّ من الجواري والخَدَم، ومن الدوّاب والحشم، ومن الآنية العجيبة، ومن البزة الفاخرة والشارة الحسنة، ما يُربي على نفقة السخي المثري، ويضعف على جود الجواد الكريم"[1].

نلاحظ هنا أنّ الجملة الأخيرة عُطفت على الجملة السابقة لها ولهما نفس المعنى فهي تكرار لها، وكذلك ما جاء في مطلع النص من تكرار بين (الكلف والمؤن)، فعلى الرغم من عدم توفر رابط شكلي بينهما، إلاّ أنهما متماسكتان دلالياً، فالمقصود من العبارة الأخيرة (ويضعف على جود الجواد الكريم) هو نفس المقصود من العبارة السابقة لها وهي (ما يربي على نفقه السخي المثري) على المستوى الدلالي، فالمعنى المستفاد من العبارة الثانية يحيل قبلياً إلى المعنى المستفاد من العبارة السابقة لها مع اختلاف اللفظ، ورغم ذلك فالتطابق الدلالي بين المعنيين أسهم في التماسك الشكلي والدلالي، والترابط الإحالي، والتواشج الجملي فيما بين البنيتين النصيتين، وسَهَر على الإمداد المعنوي الذي يُغذي السلاسل الكلامية في عمومها، ونسج خيوط الإحالة القبلية، والإحالة البعدية، بسبب التطابق التام أو النسبي بينهما؛ وهذا التطابق التام أو النسبي بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي يحقق تعالقاً بين البنى النصية المتتابعة خطياً، مما يشكّل رزماً دلالية متنامية ترتبط في النهاية ببنيةٍ نصيّة كبرى تحوي بُنى نصيّة صغرى، تتضمن هي الأخرى عناصر إحالية مكررّة، ومتناثرة – شكلياً ودلالياً – بحيث يجمعها عنصر إشاري واحد بعد ما كانت موزعّة بصورة عشوائية، إنّ التكرار العشوائي أو غير المقصود لا يؤدي وظيفته في تشكيل الشفرات والعلاقات الدلالية في سياق وروده، وهذا ما أشار إليه (روبرت دي بوجراند) حين قال: "الإعادات المقصودة التي يكون للتكرار معها مبررات أعمق"[2].

وبذلك تنسج العناصر الإحاليّة المُكّررة ضفائر إحالية ممدودة على امتداد طول النص، وكلها ترتبط بعنصر إشاري واحدٍ، هذا الأخير الذي قد يطابقها كلياً أو جزئياً، كما قد يُطابقها شكلياً أو دلالياً، ويتكرر صداه عبرها بتكراره في صور مختلفة باستمرار بيد أنه ينبغي أن يتمّ وفق ما يُقوي الإعلامية ويعززها لدى المتلقي الذي قد ينتابه نوع من الملل أو الصدود، وتلافياً لهذا العيب" كثيراً ما تستعمل بعض الأساليب التي تتكررّ فيها الأشكال مع بعض الاختلاف في المحتوى، أو يتكّرر فيها مع اختلاف الأشكال، وتشتمل الموازاة على تكرار أشكال لإخراج ذاتها في ظاهر النص مع شغلها بتعبيرات مختلفة"[3].

---

[1] - الجاحظ، البخلاء رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ، ص243.

[2] - دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص305.

[3] - أبو غزالة، إلهام، حمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، ص87.

كما يشترط دي بوجراند أنّه" يمكن لإعادة اللفظ أن تستعمل مع انتقال الوظيفة النحوية لعبارة ما، ويكيّف العنصر المكرّر بكيفية نسبته السياقية، ولكن الإحالة يظل واحداً"[1] ويكاد يتفق غالبية علماء النّص على أنماطٍ تكراريّةٍ[2] مع زيادة هنا أو نقصٍ هناك، وتلك الأنماط منها ما هو شكليّ، ومنها ما هو معنوي أو هما معاً؛ إذ نجد في هذا السياق إشارة جميل عبد المجيد إلى أنّ "التكرار عند هاليدي ورقية حسن سلّم مكوّن من أربع درجات يأتي في أعلاها العنصر المعجمي نفسه، ويليه الترادف أو شبه الترادف، ثم الاسم الشّامل، وفي أسفل السّلم تأتي الكلمات العامة"[3] ويذكر خطابي بأنّ "التكرير هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب عادة إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً"[4].

ويمكن توضيح هذه الأنماط[5] من خلال إيراد المثال الآتي:

- شرعتُ في الصعود إلى القمّة الصعود سهلٌ للغاية.
- التسّلق
- العمل
- الوصول
- عندما بدأت في الصعود
- أحسستَ الصعودَ

إنّ الناظر إلى هذا المثال يتبيّن له أنماط التكرار بالنظر إلى العنصر الإشاري المذكور أوّل الأمر وهو كلمة (الصعود) الأولى، وفي ضوئه تفسَّر العناصر التكرارية وتتخذ لها منحىً شكلياً أو معنوياً، جزئياً أو كلياً ولتوضيح ذلك نعالج كل عنصر مكرّر بتجديد صورته التكرارية فيما يلي:

الصعّود: تعتبر تكراراً محضاً أو كلياً لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى.

التسلّق: تعتبر تكراراً بالمرادف لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى.

العمل: تعتبر تكراراً جزئياً لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى.

الوصول: تعتبر شبه تكرار بورود كلمة مشابهة في الصيغة والوزن للكلمة الواردة في الجملة الأولى.

عندما بدأت في الصعود: تعتبر تكرار جملة لنفس الجملة التي بدأ بها المثال. أحسست بالصعود: تعتبر تكراراً تركيبيّاً بورود جملة مماثلة للجملة الأولى في التركيب. انطلاقاً من

---

[1] - دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص306.

[2] - http://www. ta5atub. com/montada-f5/topic-t559

[3] - عبد المجيد، د. جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص79.

[4] - خطابي، محمد، لسانيات النص، ص24.

[5] - اعتمدنا هنا الأنماط التي جاءت عند قيّاس، ليندة، لسانيات النص، ص127.

هذا المثال الذي أوردناه ننتهي إلى الإقرار بأنماط التكرار التي تشكل نقطة التقاء علماء النص المحدثين في درسهم للإحالة التكرارية فيما يلي:

1- **التكرار المحض**: "يُقصد به تكرار الكلمة كما هي دون تغيير، أي تكرار تام أو محض، ويقوم هذا التكرار بوظيفة أخرى – فضلاً عن السبك – يؤديّها في النصوص الشعريّة هي تجسيد المعنى"[1].

وينقسم هذا النمط بالنظر إلى مرجعه إلى قسمين هما[2]:

أ-**تكرار اللفظ والمعنى مع وحدة المرجع** : وذلك نحو قول الجاحظ في البخلاء: "لولا رخصُ الماء وغلاء الخبر، لما كلبوا على الخبز وزهدوا في الماء"[3] وقوله: "فلو كان سخاؤهم إنما هو لكلال حدّهم ونقص عقولهم وقلّة معرفتهم لكان ينبغي لفارس أن تكون أبخل من الروم، وتكون الروم أبخل من الصقالبة"[4] وقوله: "فكانوا إذا جاء المصباح شدّوا عينيه بمنديل، ولا يزال ولا يزالون كذلك إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح، فإذا أطفأوه أطلقوا عينيه"[5] فنجد في المثال الأول تكرار (الماء، الخبز) وفي المثال الثاني (الروم) وفي المثال الثالث تكرار (المصباح، عينيه) وقد تكررت تلك الكلمات تكراراً شكلياً ومعنوياً مع وحدة المرجع لكل منها.

ب-**تكرار اللفظ والمعنى مع اختلاف المرجع**: وذلك نحو قول الجاحظ: "إياك أن تخطئ مرتين: مرة في إطماعهم فيك، ومرّةً اكتساب عداوتهم. اخُرج من هذا الأمر على حساب ما دخلت فيه وتسَلّمْ تسْلَمْ"[6]. فهنا تكررت كلمة (تسلم) تكراراً تاماً لكن مع اختلاف المرجع فتسّلمْ الأولى أي اتبع وصيتي وتسلم الثانية أي تعيش بسلام.

2-**التكرار الجزئي**: ويقصد به" تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة"[7] أو هو: "الاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي"[8]، ومثاله قول الجاحظ: "وأنتم أيضاً ربّما أكريتم مستغّلات غيركم، بأكثَر ممّا اكتريتموها منه، فسيروا فينا كسيرتِكم فيهم،

---

[1] - عبد المجيد، د. جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص80.

[2] - حسين، د. جميل عبد المجيد، علم النص، أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، عالم الفكر، العدد 2 أكتوبر – ديسمبر 2003م، ص146.

[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص153.

[4] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص245.

[5] - المصدر السابق، نوادر أهل خراسان(البخل حتى في نور المصباح)ص 41.

[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة ابن العقدي(البِشر وقاية دون المال)، ص207.

[7] - عفيفي، أحمد، نحو النص، ص107.

[8] - حسين، د. جميل عبد المجيد، علم النص، ص 146، عبد المجيد، د. جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصيّة، ص82.

وأعطونا من أنفسكم مثل ما تريدونه منهم، وربما بنيتم في الأرض، فإذا صار البناء بنيانكم..."[1].

ومن ذلك قول الجاحظ أيضاً: "ونحن لا نجد الجواد يفرّ من اسم السرف إلى الجود"[2] وقوله أيضاً: "كان الأصمعي يتعوذّ بالله من الاستقراض والاستفراض[3] فأنعم الله عليه حتى صار هو المستقرض منه، والمستفرض ما عنده"[4].

ففي المثال الأول نجد الكلمات (أكريتم، اكتريتموها) (سيروا، كسيرتكم) (البناء بنيتم) ترتد إلى مادة معجمية واحدة هي (كري، سير، بني) مما جعلها تسهم في ترابط أجزاء الجمل من خلال إحالة العنصر الثاني المكررّ إلى العنصر الإشاري الأول نظراً لاشتراكهما في جذر معجمي واحد.

وكذلك في المثال الثاني نجد كلمتي (الجواد، الجود) وفي المثال الثالث نجد (الاستقراض المستقرض) و(الاستفراض المستفرض) وكلها تعود إلى جذر معجمي واحد هو (قرض، فرض، جود).

3-**التكرار بالمرادف**: ويتحقق " ب تكرار المعنى دون اللفظ"[5].

ومثاله قول الجاحظ: "يكلفان الناس المؤن الثقال ويمتحنان ما عندهم بالكُلف الشداد"[6] وقوله: "وهذا كلّه مجتمع في مسك البخيل، ومصبوب على هامة الشحيح"[7] وقوله أيضاً: "لا يبالي بأي شيء أخذ الدّرهم ومن أي وجه أصاب الدينار، ولا يكترث للمنّة ولا يبالي"[8].

ففي الأمثلة السابقة نجد أن (المؤن الثقال) في المثال الأول تحمل معنى (الكلف الشداد)، وفي المثال الثاني (البخيل) تحمل معنى كلمة (الشحيح)، وفي المثال الثالث (لا يبالي) تحمل معنى (لا يكترث) فكل كلمة أكدّت معنى الكلمة التي ترادفها من خلال التكرار بالترادف وأفادت الترابط بينهما من خلال المعنى.

4-**تكرار الجمل**: "وهو تكرار محض مع وحدة المرجع"[9].

ومثاله قول الجاحظ: "كان أبو يعقوب الذقناني يقول: ما فاتني اللحمُ منذ ملكتُ المال. وكان إذا كان يوم الجمعة اشترى لحم بقر بدرهم، واشترى بصلاً بدانق، وباذنجاناً بدانق، وقرعة بدانق، فإذا كان أيام الجزر فجزراً بدانق، وطبخه كله سكباجاً، فأكل وعياله يومئذٍ خبزهم

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي، ص138.
[2] - مصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص246.
[3] - طلب الصدقة المفروضة.
[4] - المصدر السابق، الرجوع إلى أحاديث البخلاء (اللسان يكذب والحال لا تكذب)، ص309.
[5] - عبد المجيد، د. جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 82.
[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحارثي، ص 115
[7] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص238.
[8] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص291.
[9] - قياس، ليندة، لسانيات النص، ص128.

بشيء من رأس القدر، وما ينقطع في القدر من البصل والباذنجان والجزر والقرع والشحم واللحم فإذا كان يوم السبت ثردوا خبزهم في المرق، فإذا كان يوم الأحد أكلوا البصل... فلهذا كان يقول : ما فاتني اللحم منذ ملكت المال"[1] وكذلك قول الجاحظ : "اشتريت ملاءة مذارية فلبستها ما شاء الله، رداءً وملحفة، ثم احتجتُ إلى طيلسان فقطعتها يعلم الله، فلبسته ما شاء الله، ثم احتجت إلى جبّة فجعلته، يعلم الله، ظهارة جبّه محشّوة فلبستها ما شاء الله"[2] وكذلك قوله: "ما أخوفني أن أكون قد قُصدِ إليّ بقول، ما أخوفني أن يكون الله في سمائه قد قصد إلى أن يفقرني"[3] فهنا نجد في المثال الأول تكرار لجملة (ما فاتني اللحم منذ ملكت المال) وفي المثال الثاني تكرار لجملة (فلبستها ما شاء الله) وفي المثال الثالث تكرار لجملة (ما أخوفني أن) فتكرار هذه المتواليات أسهم في تأكيد المعنى، وحقق الترابط بين الجمل والتماسك بين أجزاء النص فقد تكررت جملة (أبا فلان ما إدامك) في أحد النصوص مثلاً خمس مرات، وهذا بالطبع أوجد خيطاً رابطاً بين الفقرات والجمل امتد على طول النص.

5-**شبه التكرار**: وهو عبارة عن تكرار لكلمات لها بناء مماثل لبعضها البعض، مع الاتفاق في الصيغة والوزن ومثاله من كتاب البخلاء قول الجاحظ : " هذا والأيام التي تنقض المبرم، وتبلي الجدّة، وتفرّق المجتمع، عاملة في الدور كما تعمل في الصخور"[4] وكذلك قول الجاحظ: "حسن ما صنعت بي؟ ضمنت لي الخلف... والخلف يكون معجّلاً ومؤجلاً"[5] وكذلك قوله: "أنّ رجلاً من أهل مرو كان لا يزال يحجّ ويتّجر، وينزل على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤونته"[6].

فهنا نجد شبه التكرار في المثال الأول بين (تنقض تبلي) (الدور الصخور) وفي المثال الثاني (صنعت ضمنت) (معّجلاً ومؤجلاً).

وفي المثال الثالث (يحج يتجر) و(يكرمه يكفيه) وقد أسهمت هذه التكرارات في تحقيق الترابط والتماسك بين الجمل على امتداد النص.

6-**التكرار التركيبي (الجراماتيكي)**: وهو: "تكرار البنية مع ملئها بعناصر جديدة"[7] ومثاله قول الجاحظ: "لقد أسعد الله من كنت له سكناً، وبارك لمن جُعلت له إلفاً"[8] فنجد هنا تكراراً للبنية الأولى (أسعد الله من كنت له سكناً) في قوله: (وبارك لمن جعلت له إلفاً)، وقوله أيضاً:

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتى (طبخة الأسبوع)، ص188.
[2] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني(خطة الإصلاح)، ص 164.
[3] - المصدر السابق، قصة الحزامي (طمع الناس يجرّ الإفلاس)، ص102.
[4] - المصدر السابق، قصة الكندي، ص134.
[5] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان (الإيمان بالخلف)، ص54.
[6] - المصدر السابق، نوادر أهل خراسان(العراقي والمروزي)، ص46.
[7] - حسين، د. جميل عبد المجيد، علم النص، ص146.
[8] - الجاحظ، البخلاء، قصة أهل البصرة من المسجديين (مريم الصناع وحسن تدبيرها)، ص58.

"وكان لا يأكل إلاّ ما لا بدّ منه ولا يشرب إلاّ ما لا بدّ له منه"[1] وهنا نجد تكراراً للبنية الأولى (لا يأكل إلا ما لا بد منه) في قوله (لا يشرب إلا ما لا بد منه). وقوله أيضاً: "ومضادة الحق للباطل، كمضادة الصدق للكذب، والوفاء للغدر، والجور للعدل، والعلم للجهل، ليجمعنّ هذه الخصّال اسمٌ وليشملنها حكمٌ واحد"[2] فهنا نجد تكراراً للبنية الأولى (مضادة الحق للباطل) في قوله (كمضادة الصدق للكذب) وكذلك تكراراً للبنية (ليجمعن هذه الخصال) في قوله (ليشملنها حكم واحد). فهنا نرى كذلك كيف أسهم التكرار التركيبي في تحقيق الترابط والتماسك بين الجمل والفقرات. فصور التكرار هذه وأنماطها تُسهم في تعزيز الترابط فيما بين العناصر المتكررة وسياقها الأسلوبي الذي ترد فيه ناسجه خيوط التواصل المعنوي بالتركيز على جانب معيّن من العبارة أو المعنى والسهر على تناميه واستمراريته المطرّدة في كل بنية نصية صغرى أو سلسلة كلامية متتابعة الحلقات؛وذلك بالإحالة إلى العنصر الإشاري المذكور أول الأمر في النص وإعادة ذكره مرّة أخرى في مقام الحاجة السياقيّة إليه ممّا يزيد النص تماسكاً شكلياً وانسجاماً دلالياً إلى جانب استحضار العنصر الإشاري وتقليبه في صور مختلفةٍ من العبارة، فالعناصر المتكررّة تُسهم في تواشج جمل النص فضلاً عن منحها تتابعاً شكلياً وفاعليّة دلاليّة، وأيّاً ما كان الشأن فالعناصر المتكررة تكتسب في كل مرّة معاني جديدة إضافية إلى جانب كونها روابط إحالية شكلية ودلالية تعمل على تلاحم السلاسل الكلامية وتواشجها، وبالتالي فالتكرار عود على بدء وإحالة اللاحق على السابق المذكور أول مرّة في النص، وتعلّق به بإحيائه، وإعادة بعثه وتجديد خلقه، واستحضار لفظه إن كان لفظياً أو ما يؤدي معناه ودوره الوظيفي في البنية اللسانية إن كان معنوياً لتعزيز فاعليته، ومن هنا "يعد مبدأ الإعادة في صورهْ المختلفة في الواقع وسيلة مهمة لتكوين النص"[3] ولمعرفة الدور الذي أدتّه أنماط التكرار السابقة مجتمعة في تحقيق التماسك النصي بين القصص والرسائل والنوادر، وربط فقراتها بعضها ببعض نعرض فيما يأتي جدولاً إحصائياً لتواتر ورود كل نمط في نصوص البخلاء، ومن ثمّ ستبنى النتائج على أساسه:

---

[1] - المصدر السابق، نوادر أهل خراسان (كلام بكلام)، ص49.
[2] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص261.
[3] - برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، ص55.

نوع النص	عنوان النص	أنماط الإحالة التكرارية وتوزعها في نصوص البخلاء						
		تكرار محض	تكرار جزئي	تكرار بالمرادف	تكرار جملة	شبه تكرار	تكرار تركيبي	عدد الروابط التكرارية
رسائل	رسالة سهل بن هارون	المرق المرق لحماً لحماً ختم ختم 64	زدت فزد المرق بالمرق النعال نعله 74	القميص ثوبه خفّت قلّت ترقيع الإصلاح 32	وعتبموني حين قلت سكر الغنى 7	قلبك غيرك العلماء الأغنياء معادك معاشك 48	رئيس الحكماء ومقدم الأدباء 34	259
	رسالة العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	قلائص قلائص الحيل الحيل البريّة البريّة 172	البخل بخله ذهبت يذهب العرب للعرب 141	قاطبة كافة مناقبه محاسنه يستحق يستوجب 33	بعداً وسحقاً المضروب به المثل قال للأنصار 7	يحرصون يطلبون الأخلاف الأسلاف السخاء الحياء 89	أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة 47	489
	رسالة ابن التوأم	الحذر الحذر المال المال التوكل التوكل 255	الدهور دهرك أحمق الأحمق أوصيك أوصاك 312	ينجز يحقق الإنفاق التبذير تنطقان تقولان 43	قالوا في المثل بقول من قال حسبي الله 8	شمالك يمينك أصحابك جلسانك الحذر القدر 97	قد نصبوا الفخاخ بكل موضع ونصبوا الشرك بكل ربع 54	769
نوادر	تواتر الإحالة التكرارية في الرسائل	491	527	108	22	234	135	1517
	نوادر أهل خراسان	الطين الطين الناس الناس الخلف الخلف 55	قال قلت صدق تصدّق احترقت الحريق 162	بيوتهم دورهم يحثّ يأمر القول الحديث 28	إذا أراد الله ذهاب مال رجل جُعلت فداك 15	التجارة العبادة تخلّل تمشّى مضيت قعدت 46	يطعمون الناس ويسقون الناس نور على نور وضوء على ضوء 16	322
	نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	الإنسان الإنسان الثريد الثريد طعام طعام 129	تعجلوا العجلة يده يدك لقمة اللقم 137	تقع تسقط الأقوات الأغذية نال أخذ 9	قال المكيّ قد أكثرنا منه قال أبو كعب 4	الرشيدة المحمودة مغلي قولي مقيماً مطمئناً 27	السير في المد إلى البصرة أطيب من السير من الجزر إلى الأبلة 16	322
	نوادر البخلاء	يبلغ يبلغ	أدركه يدرك	جلس قعد	أبا فلان ما	قومك	إما أن تذهب به	539

		المغالين (أحاديث البخلاء) 196	الأنس الأنس الجناح الجناح 277	المثالب المثلبة يراه يرى 20	كلها بأسرها مدح ثناء 10	إدامك ليس هذا عيش أل الخطاب 59	عدوك أعذر أنذر يأكلون يشربون 27	وإما أن تمطلني به	
القصص	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	حدثني حدثني الحمّام الحمّام الصبي الصبي 33	يتزر يتستر بيت منزل يشير يومئ 7	أكلنا نأكل مسح مسح النورة نورة 41	أقرب إلى الفقر لا والله إلاّ أنّ فلاناً حدّثني صاحب	ترشح تنشف يجيء يذهب أكلوا رفعوا 18	خذها من حكيم مجرب ومن ناصح مشفق 4	106
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	السكر السكر الناس الناس يصلح يصلح 33	دينار فلس يمزحون يلعبون صديق نديم 4	كسا كسوته تأخذه فخذه قال فقال 27	جُعلت فداك 1	تبريده تزميله أصحابه زواره جمّال حمّال 9	ما هذا الضرب المبرح وهذا الخلق السيء 1	62
	بخلاء الجمع والمنع	قصة ابن العقدي	البشر البشر رطب رطب الجمعة الجمعة 101	نعرف ندري نسمنها نعلفها ألحوا أكثروا 7	أخيه أخي ولدي ولدك قلب التقليب 125	فبينا نحن نأكل فأنكرنا ذلك 2	سمنها لحمها صدراً خلفاً حوّل جرّب 44	لو قدروا على داري لهدوها وعلى حياتي لنزعوها 29	308
		قصة ليلى الناعطية	القميص القميص الفتق الفتق الخرق الخرق 22	كساءها القميص الحاجة الضرورة سكران ثمل 8	ترقع الرقاع كساءها الكساء حزقاء الحزق 23	مخرج الهزء والله أنا سكران أنا والله سكران 3	شعرنا صرنا حياتي معرفتي معرة عجلة 10	أحوص الفتق وفتق الفتق وأرقع الخرق وخرق الخرق 4	70
		قصة أهل البصرة من المسجديين	العظام العظام الانتفاع الانتفاع بالدم بالدم 31	كئبية حزينة مفكرّة مطرقة أمرني أشار 13	أضحية الأضاحي خفت أخاف يوقد وقوداً 56	بيوت الأموال 1	مواضعها حقوقها القليل الكثير المسرفين الصالحين 24	صاركيّة في قلبي وقذىً في عيني 5	130
		تواتر الإحالة التكرارية في النوادر	380	57	576	29	132	59	1183

				3					
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	قبيح قبيح مساكين مساكين المال المال 120	حفظته لحفظ صدرك صدر عرفت معرفته 126	الكاهن العرّاف صعاليك زواقيل شهدتني رأيتني 23	سل عني أول من شرب متى شاء كان 32	المغرب العشاء تعلم تعرف سمعك بصرك 74	لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك 15	390
	البخلاء النفسية	قصة أبي جعفر الطرسوسي	إصبعه إصبعه لك لك 2	حكته فحكها شفته الشفة الغالية غالية 3	-	-	-	أكرموه و طيبوه 1	6
		قصة الحزامي	كاتب كاتب البرد البرد الغبار الغبار 80	لبسك لبست حدث الحادث تراب التراب 104	المبّطنة الكساء اكتال وزن يحرسه يحفظه 23	ما أخوفني قلت له مرةً وهو ذو مال 6	كرماً خوفاً أنفخ أقدح ضالته أمنيته 41	ما لا يغيض ما له ولا تنقطع مادته 16	270
		قصة الكندي	الكراء الكراء السكان السكان الأبواب الأبواب 142	نروج ترويج يحتملون احتملنا مقام مقامهما 155	نزعت قلعت الحبة الجرار بليته مصيبته 46	فكتب إليّ غلات الدور أجدر أن يخطئ 6	الحساب الكتاب السارق الغاصب الغريب القريب 119	متى رددتها ارتدت ومتى ردعتها ارتدعت 53	521
	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	الطعام الطعام أحتمل أحتمل السوء السوء 67	الدجاج الدجاجة اللون باللون يزدرد ازدراد 98	ينتزع يقتطع المخ دماغ لا يرحم لا يرّق 20	-	العرب العجم صفراء حمراء نفسه ما له 53	فوقعت يدي في مقدم الشحمة ووقعت يده في مؤخر الشحمة 16	254
	البخلاء الشراه والطفيليين	تفسير كلام أبي فاتك	القدر القدر يجيد يجيد يده يده 19	نشّالاً النشال وجهه وجه لقمة اللقمة 54	يتناول يأكل السّعفة الغض الجردقة الرغيف	يستأثر بذلك دون أصحابه 1	الواغل الراشن الشراب الطعام لبنهم	أعجب من كل عجب وأطرف من كل طريف	101

								سويقهم 14	70	
		قصة الأصمعي	السنور السنور العلم العلم الفراغ الفراغ 107	عياله العيال بطيخ البطيخة أخوض خوضاً 114	الكدّ الشغل جعفرية السفينة الأكل الطعام 4	هل نطحتك أمه قال نويرة كيف كنت تكون 3	الأطمار النهار الصبر الشكر مجهدة مفسدة 31	إن يكن الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة 10	269
	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	الثريدة الثريدة الخشكارالخشكار الجواري الجواري 83	الاستحباب أحببت التلطيخ المتلطخة تريد نريد 118	أخذت سلكت الجرذقة الخبز تغيّر تبدل 18	كان يقول قد فعلت هات له شيئاً 5	رافع قاطع أكلوا وصغوا يقلعهم يعيدهم 47	ليس دواء الحمار إلاّ الشرب بالكمار 19	290
	البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أسد بن جاني	الصيف الصيف الشحم الشحم نوى نوى 245	البطن بطون الدفء يدفىء بقشوره بقشوري 207	قطّ أبداً ما لاً غلّة فقيراً معدوماً 24	أي بنيّ يدني إلى النار إذا قيل له 16	الرجال النساء أردت سألت الفعلة المهنة 81	تريد أن تدفع جوهراً بجوهر وعرضاً بعرض 66	639
		قصة أبي سعيد المدائني	لئيم لئيم الإناء الإناء صاحب صاحب 91	امرأة امرأته يرضه يرتضع حديث حدثني 107	القوم الناس جسد بدن وسخه درنه 10	لا أمّ لك أما ذكرتم 2	نفسي قلبي قاموا قالوا أطمار أسمال 31	أشد الناس نفساً وأحماهم أنفاً 13	254
		قصة تمام بن جعفر	المضغ المضغ الأضراس الأضراس ماء ماء 43	بخيلاً البخل القوة قوي سن الأسنان 71	الخلق الناس حاكة ضرس المضغ الطحن 15	فلان حسن الأكل 1	المؤمن المنافق أمك أبوك البطون الفضول 19	من شرب كثيراً بال كثيراً 13	162
		تواتر الإحالة التكرارية في القصص	1206	1429	228	73	615	272	3832

جدول(8)

ومن استقرائنا للجداول السابقة، ولما سبق تقديمه، يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1-اتفاق النصوص جميعها التي ينهض عليها كتاب البخلاء (قصص، رسائل، نوادر) في الترتيب الكمي لنسبة تواتر الأنماط الإحالية التكرارية فيها، وذلك على النحو الآتي:

1. التكرار الجزئي في الدرجة الأولى بتواترٍ قدره 2532مرّة.
2. التكرار المحض في الدرجة الثانية بتواترٍ قدره 2077 مرّة.
3. شبه التكرار في الدرجة الثالثة بتواترٍ قدره 1017 مرّة.
4. التكرار التركيبي في الدرجة الرابعة بتواتر قدره 466 مرّة.
5. التكرار بالمرادف في الدرجة الخامسة بتواتر قدره 393 مرّة.
6. تكرار الجملة في الدرجة السادسة بتواتر قدره 124 مرّة.

2- يسيطر التكرار بأنماطه المختلفة على نصوص البخلاء للجاحظ سيطرة واضحة، إذ باتت هذه الوسيلة الاتساقية متحكمة أشدّ التحكم في النسيج النصي، فبدت الألفاظ والعبارات مكررة بكثرة لازمة، ولافتة للانتباه مما صبغ الكتاب بصبغة خاصة ميزته عن النصوص التراثية الأخرى.

3- أسهم التكرار بأنماطه المختلفة ولا سيما – التكرار الجزئي – بانتشاره الواسع في النصوص في توليد الدلالات الخاصة بالوحدات النحوية المشكلة لنسيج النص، وكان لانتشاره على مستوى النص دوراً في الترابط النّصي على مستوى الجملة الواحدة، ثم الفقرة، ثم النص كاملاً.

4- أسهم التكرار في تعزيز الترابط الإحالي بين العناصر المتكررة والبنُى النصية التي ترد فيها؛ وذلك بالإحالة إلى العنصر الإشاري المذكور أول الأمر في النص، وإعادة ذكره مرةً أخرى في مقام الحاجة السياقية إليه ممّا يزيد النص تماسكاً شكلياً وانسجاماً دلالياً، إلى جانب استحضار العنصر الإشاري وتقليبه في صور مختلفة من العبارة، فالعناصر المتكررة تُسهم في تواشج جمل النص فضلاً عن منحها تتابعاً شكلياً وفاعلية دلالية، كما أنها ترتبط بالعناصر الإشارية، وترتّد إليها شكلياً ودلالياً، وتشحنها بمزيدٍ من المعاني المستفادة من سياق ورودها لأنها تستّل دلالات إضافية من سياقاتها الجديدة فتثري دلالات العناصر الإشارية.

5-عكست الإحالة التكرارية اهتمام الجاحظ ببعض الكلمات المحورية التي يرغب في إظهارها لارتباطها بالغرض العام للكتاب. فقد تواتر تكرار بعض الكلمات والأفعال ولاسيما الفعل الماضي (قال، قالوا، قلتم، قيل، قلت) وهذا يعود إلى طبيعة النصوص التي تعتمد على المحاجاة، ومن الطبيعي أن يحاول أحد المتحاجين السخرية من الآخر والضحك منه، وهذا ما يتحقق باستمرار من خلال الحوار الذي يدور بين البخلاء. ومن أشهر الكلمات التي تكررت على لسان الجاحظ في نصوصه (البخيل، البخل، الطعام، الشراب، الزيارة، الجمع، المال، الاقتصاد، الضحك، غنياً، فقيراً، كتب، جلست، حضرت، مررت..) وتكرار تلك الكلمات يعد

انعكاساً لما تمثله من أهمية في بناء النصوص والقصص "وتكرار هذه المفردات بعينها دون غيرها يؤكد على أهميتها في بناء المعنى، كما يؤكد على محوريتها"[1] وتكرارها يؤكد استمرار الأحداث وتعلقها بها، ويجعلنا نتوغل في نفوس أولئك البخلاء لنكتشفهم أكثر، ونحلل شخصياتهم، ومن هنا يمكننا إرجاع بعض القصص والرسائل الطويلة إلى هذا التكرار فقد تطول نصوص بعض الكتّاب لما تتضمّنه من معلومات جديدة تميل إلى التأكيد على المركز الدلالي وفي المقابل قد يطول النص نتيجة إدخال كثير من المعلومات القديمة المتكررة من خلال روابط أكثر"[2].

6- يؤدي التكرار بمختلف أنماطه اللفظية والدلاليّة أغراضاً نحوية ودلالية وتداولية على اعتبار أنّ النص يفرض وجوداً معنياً ومحددّاً للتكرار، والنص يُسهم في توجيه تأثيره وأدائه بالقدر الذي يجعل من النص كتاباً فنياً لنظام تكراري معيّن يرمي إلى محاججة المتلقي وإقناعه بترسيخ الرسالة في ذاكرته الدلالية، فضلاً عن الدور الحاسم الذي يقوم به في هندسة المفردات وإيقاعها، إذ يتوزع ضمن خلايا النص، ويطبعها بطابعه؛ لأنه يسهم في تجانس النص وتلاحم أجزائه.

[1] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص108.
[2] - المرجع السابق، ص109.

8- الإحالة بالإعراب:

"إنّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعوله ومضافة ومضافاً إليها، بل كانت في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيدٌ عمراً فدلوا برفع زيد على أن الفعل له وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به. وقالوا ضُرِبَ زيدٌ فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد، على أن الفعل ما لم يسمَّ فاعله، وأن المفعول قد ناب منابه وقالوا: هذا غلام زيدٍ فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه وتكون الحركات دالة على المعاني"[1].

وقال ابن قتيبة في المعنى نفسه: "وللعرب الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها، وحليةً لنظامها وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما، إذا تساوت حالاهما في إمكان أن يكون الفعل لكل واحد منهما، إلاّ بالإعراب، ولو أنّ قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي (بالتنوين) وقال آخر: هذا قاتلُ أخي (بالإضافة) لدل التنوين على أنه لم يقتله وبحذف التنوين على أنه قتله"[2]. "ونفهم من هذا كلّه أن الإعراب ضروري لفهم الكلام العربي فنحن لا نستطيع أن نعرف الفاعل من المفعول ولا المضاف من المضاف إليه ولا اسم كان من خبرها دون تحليتها بحركات الإعراب"[3].

ويرى الدكتور أحمد حاطوم في دراسة مهمة له عن ظاهرة الإعراب أنه ليس من شرط الإعراب أن يكون إعراباً دلالياً أي من أجل إيصال المعنى، فقد يكون إعراباً تركيبياً أو شكلياً أو جمالياً ويقرر في النهاية أن الإعراب الجمالي يتميّز إذا قورن بالإعرابات المذكورة، بأنّه أوسعها مدى، وأنه في الكلام الذي يكون فيه الكلام الأدبي، ولا سيما ما كان منه شعراً موزوناً، إنما يشكل عنصراً صوتياً لفظياً متسعاً[4]. ويضيف حاطوم قائلاً:

---

[1] - الزّجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، الإيضاح في علل النحو، تحقيق : مازن المبارك، بيروت :دار النفائس، د. ط، 1973، ص79-80.

[2] - رضا، أحمد، مولد اللغة، بيروت :دار الرائد العربي، د,ط ، 1983، ص 135.

[3] - علوش، د. جميل، الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1، 1997م، ، ص48.

[4] - ياقوت، د. أحمد سليمان، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، الرياض:عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ط1، 1981م ص 304 بتصرف.

الإعراب الجمالي في الآثار الأدبية التي يكون فيها هو عنصر ليس لهذه الآثار أن تتكامل إلاّ به، هو بهذه الوظيفة يتقدّم على كل واحد من الإعرابات الثلاثة التي قارناه بها[1].

"ويقصد الدكتور حاطوم بذلك أنّه قد يكون المعنى مفهوماً دون الإعراب فعلاً، غير أنّ الكلام لا يحمل من القيم الجماليّة الموسيقيّة والصوتيّة ما يحمله إذا كان معرباً. ولذلك كان من غير الممكن الاستغناء عن الإعراب في النصوص الأدبية الراقية الشعريّة والنثريّة؛ لأنها بهذا الإعراب تكون ترفل في ثياب من الفن الموسيقي والبلاغي، لا يستطيع أن يرفل فيها الكلام المجرد من الإعراب مهما كابر المكابرون"[2]. "ثم إنّ الإعراب جزء أساسي من اللغة العربية وليس من الممكن الاستغناء عنه كما أنه ليس من الممكن الاستغناء عن حروف العلة في اللغة الإنكليزية أو الفرنسية فليس من الممكن الاستغناء عن حركات الإعراب في العربية؛ لأنها جزء منها، حتى تحريك أواخر الألفاظ خيار لا مناص من اللجوء إليه إذ إنه ليس من الممكن الانتقال من ساكن إلى الساكن فيما تعقبه كلمة مبدوءه بهمزة الوصل من دونه، وهكذا يبدو أن الإعراب بوظائفه المختلفة جزء أساسي من بناء الكلام وليس من الممكن الاستغناء عنه"[3].

وقد عرّف الشريف الجرجاني العامل بأنه" ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص في الإعراب، وقد قسّم الجرجاني العامل إلى ثلاثة أقسّام هي: العامل القياسي: وهو ما صح أن يقال فيه كل ما كان كذا فإنه يعمل كذا، كقولنا (غلام زيدٍ) لما رأيت أثر الأول في الثاني وعرفت علته، قست عليه (ضَرْبُ زيدٍ) و(ثَوبُ بكرٍ) والعامل السماعي: وهو ما صح أن يقال فيه: هذا يعمل كذا وهذا يعمل كذا وليس لك أن تتجاوز. كقولنا: إن الباء تجر ولم تجزم وغيرها والعامل المعنوي وهو الذي لا يكون للسان فيه حظ وإنما هو معنى يعرف بالقلب"[4].

ويعرّفه الحلواني بقوله: "هو مصطلح نحوي يطلق على كل كلمة تؤّثر في تغيير حركات أواخر الأسماء، وبعض الأفعال، نصباً أو رفعاً أو جراً أو جزماً"[5].

مسوّغات نظرية العامل:

مرّ بنا أنّ الإعراب وسيلة تعبيريّة في لغة العرب، تحمل أدقّ المعاني، وتبسط أكثر الأفكار خفاءً، ولكنّنا إلى ذلك نجد في طبيعة الجملة العربية نزعة واضحة إلى الشكليّة، أي

---

[1] - المرجع السابق، ص305.

[2] - علوش، د. جميل، الإعراب والبناء، ص 49.

[3] - علوش، د. جميل، الإعراب والبناء، ص50.

[4] - الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تحقيق : د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، د. ط، د. ت، ص 168.

[5] - الحلواني، د. محمد خير، الواضح في النحو والصرف، حلب: المكتبة العربية، ط2، 1975م، ص21.

أن نظام الجملة اللفظي وما ينجم عنه من علاقات تركيبية يؤثر في الإعراب تأثيراً سافراً إلى جانب الأثر المعنوي.

"والحقّ أن الإعراب في اللغة العربية يرتبط بما يسمّيه المعاصرون بنظرية النظم في بنية اللغة العامة، ذلك أن الأصوات التي هي حركات الإعراب تصحب دوماً قرائن لفظية وتنتظم معها في تركيب خاص، فالأحرف التي تسمى (جارة) يقترن الاسم بعدها أبداً بحركة الكسر وإنّ وأخواتها لا تنفك الأسماء بعدها من النصب والرفع وقل مثل ذلك في التراكيب التي تقترن فيها الأسماء أو الأفعال المضارعة بالنصب أو الجر أو الجزم"[1]. "وحين حاول النحويون أن يحددوا لهذه النظم المتعددة مفهوماً خاصاً لم يستطيعوا أن يخرجوا من إطار العصر ومناهجه الفكرية وأساليبه في طرائق المعرفة، فاستعاروا من علم التوحيد مصطلحهم النحوي فسموا القرينة اللّفظية التي يصاحبها في الاسم بعدها أو في الفعل المضارع حركة خاصة، سموّها عاملاً لفظياً ثم قادهم هذا التأثر بعلم التوحيد إلى تصوّرات ليست لغوية النزعة، فزعموا أن هذا العامل مؤثّر وأنّ له قوة خاصة، فانتهى بهم المطاف إلى افتراضات غيبية حقاً"[2].

"وعلى هذا يكون الإعراب في هذه اللغة استجابة لأحد مؤثرين :

1- مؤثّر معنوي: تجد فيه الإعراب خاضعاً للمعنى خضوعاً مطلقاً فيكشف عن الفاعلية والمفعوليّة والهيئة والعلة والزمان والمكان والتفسير والتعجب...

2- مؤثّر لفظي: تجد فيه الإعراب لا يجاري المعنى ولا يعبّر عنه بل يخضع للعلاقات اللفظية في التركيب"[3].

أقسام العامل:

1- **العوامل اللفظية: أ- الأفعال:** "هي أقوى هذه العوامل وتظهر هذه القوة في أنها تعمل في الأسماء مقدمة عليها، ومتأخرة عنها، وعملها قياسي ما عدا الأفعال الناقصة منها، فهي ترفع الفاعل وتنصب المفعولات والحال والتمييز الملحوظ، ولكنها ليست سواء في ذلك، فمنها ما لا يقوى على نصب المفعول به ومنها ما يتعدى هذا فينصب مفعولاً أو مفعولين أو ثلاثة، ويتميّز بعضها من بعض، فما كان منها متصّرفاً يفْضُل ما كان جامداً ويظهر هذا في تقديم المعمول عليه، مثل: راكباً جاء أخوك والزجاج كسرتُ. أما الجامد فلا يقوى على ذلك، إذ لا تتقدّم معمولات الأفعال نعم وبئس وحبذا عليهما لجمودها، أما الأفعال الناقصة فيقتصر عملها على رفع الاسم الذي كان مبتدأ ونصب الخبر بعده، ثم هي

[1] - الحلواني، د. محمد خير، أصول النحو العربي، د. محمد خير، اللاذقية: جامعة تشرين، د. ط، 1979م، ص138.
[2] - المرجع السابق، ص 137.
[3] - المرجع السابق، ص139.

عاجزة بعد ذلك عن نصب اسم أو رفعه فهي مثلاً لا تعمل في حال، أو مفعول مطلق، أو مفعول لأجله أو ما شابه ذلك من الفضلات، ولا تعمل في شبه الجملة لأنها لا تدل على حدث"[1].

ومن الأمثلة التي نسوقها من البخلاء على عمل الأفعال ودورها في الإحالة نورد ما يأتي: جاء في قصة أهل البصرة من المسجديين: "ثم اندفع شيخٌ منهم فقال: لم أرَ في وضع الأمور مواضَعها وفي توفيتها غاية حقوقها كمعاذة العنبرية. قالوا: وما شأنُ معاذة هذه قال: أهدى إليها العامُ ابنُ عمّ لها أضحيةً. فرأيتها كئيبة حزينةً مفكرة مطرقةً، فقلت لها: مالك يا معاذة؟ قالت: أنا امرأة أرملة، وليس لي قيّم ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي"[2].

فنرى في هذا المثال كيف أثّر الفعل العامل في المعمولات، وجعل هذه المعمولات تحيل إليه مهما امتدت المسافة بينهما وطالت، فالفعل (اندفع) عمل في (شيخٌ) الفاعلية فرفعه والفعل أرَ عمل في (مواضَعها) المفعولية فنصبه، والفعل (أهدى) عمل في (ابنُ) الفاعلية أيضاً فرفعه وكذلك عمل في (أضحيةً) المفعولية فنصبه وكذلك عمل في الاسم (العامَ) الظرفية فنصبه. ونرى الفعل رأيتها قد عمل المفعوليّة في الهاء الضمير المتصل فنصبه على المحل، وعمل النصب في الأحوال (كئيبةً، حزينةً، مطرقةً، مفكرةً) أما الفعل الناقص (ليس) فقد رفع الاسم (قيّمٌ) – ففي هذه الأمثلة وجدنا من الأفعال ما هو ضعيف فقد عجز الفعل (اندفع) عن نصب المفعول به، في حين اقتصر عمله في الفاعل، وكذلك الفعل الناقص (ليس) الذي اقتصر عمله على رفع الاسم الذي كان مبتدأً، وبنفس الوقت وجدنا من الأفعال ما كان متعدياً فعمل في الفاعل والمفعول كما في الفعل (أهدى). ومن الأفعال التي تعمل في معمولاتها بقوة نذكر ما جاء في المثال الآتي من كتاب الجاحظ: " كان غلامُ صالح بن عفّان يطلب منه نِفطاً لبيت الحمار بالليل، فكان يُعطيه كلَّ ليلةٍ ثلاثةَ أفلسٍ، والطسّوج أربعةَ فلوس، ويقول: طسّوج يفْضُلُ وحبة تنقص وبينهما يرمي الرامي، وكان يقول لابنه: تعطي صاحبَ الحمّام و صاحبَ المعبرِ لكلٍ واحدٍ منهما طسّوجاً، وهو إذا لم يرَ معك إلاّ ثلاثة أفلسٍ لم يرُدّك"[3].

فنرى هنا في النص أن الفعل العامل (يعطي) قد عمل المفعولية في (الهاء) و(ثلاثة) فنصبهما وكذلك عمل الفعل (تعطي) المفعولية في (صاحبَ) و (طسّوجاً) فدّل ذلك على أنّ الأفعال ليست كلها سواء في العمل، وأحالت هذه المعمولات كلها في عملها إلى الفعل السابق عليها أو المتقدم.

---

[1] - الحلواني، د. محمد خير، الواضح في النحو والصرف، ص23.
[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة أهل البصرة من المسجديين (وضع الأمور مواضعها)، ص62.
[3] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتى (صالح بن عفّان وغلامه)، ص195.

ومن الأفعال الضعيفة من لا يقدر على العمل فيما تقدّم عليه فعل التعجب، فلا يتقدّم معموله عليه وإنما يجمد على صيغة واحدة، ومن هنا أشبهت هذه الأفعال الأدوات وهذا ما نجده في قول الجاحظ:" ما أخوفني أن يكون أبو سليمان قد ملّ منادمتي فهو يحتال لي الحيل"[1].

"وقد وجد علم اللغة الحديث في قوة عمل الفعل تفسيراً مقبولاً فهو حدث، ومن البديهي أن ترتبط به مجموعة من المتعلّقات كالمحُدِث والمُحدَث والغاية والهيئة والزمان والمكان، إنّه كالمحور وحوله تلّتف هذه المجموعة من المتعلقات، وإنما لترجع في معانيها إليه ولا بدّ من أن يكون هناك ما يميّز بعضها من بعض، فكان الإعراب رمزاً صوتياً يؤدي هذه الغاية"[2]. "ولا يتصوّر النحاة فعلاً غير عامل، إذ لا بدّ له من أن يعمل في الفاعل، وفي هذه الحال لا يجيزون أن يتقدّم معموله عليه، وإذا حصل التقدم خضع الفاعل – في رأيهم – لمؤثّر آخر غير الفعل"[3]، وهذا ما نجده في قول الجاحظ " والوقودُ يسوّدُ كلَ شيء وينتنه"[4].

فكلمة الوقود هنا غير خاضعة للفعل ولا تحيل إليه فتعرب هنا مبتدأ لتأثرها بعامل آخر غير الفعل وهو عامل الابتداء.

ب-الحروف: إنّ بعض الحروف عامل، وبعضها الآخر غير عامل، فهل لهذه الظاهرة معيار يتميّز به هذا من ذلك؟" لقد وجد النحاة في استقراء العربيّة ظاهرة لا تخلو من دلالة على منطقيّة هذه اللغة، وهي أنّ الحروف العاملة هي الحروف التي تختص بالأسماء فلا تباشر الأفعال، أو تختص بالأفعال فلا تباشر الأسماء، وتبيّن لهم أن الحرف الذي لا اختصاص له بأحد القبيلين لا عمل له"[5].

"فمن الحروف ما يختص بالدخول على الأسماء كحروف الجر والأحرف المشبهة بالأفعال، ومنها ما يختصّ بالدخول على الأفعال كالنواصب والجوازم ومنها ما لا يختص فيدخل على الأسماء تارة، وعلى الأفعال تارة أخرى كأحرف العطف و(ما)النافية. ويرى النحاة القدماء أن الحرف لا يعمل إلاّ إذا كان مختصاً كأحرف الجر ولم ولن وأشباهها وما لم يكن مختصا يعجز عن العمل كأحرف العطف وحرفي الاستفهام الهمزة و(هل)، ثم يستثنون من هذه القاعدة "ما" النافية الحجازية و(كي) و(إذن) و(لا النافية)[6]. "مهما يكن من شيء فإن الحروف – في عرف القدماء – عوامل ضعيفة فهي دون الفعل ولذلك لا تقوى على

---

[1] - المصدر السابق، قصة الحزامي(الحلاوة تعقب المرارة)، ص106.
[2] - الحلواني، د. محمد خير، أصول النحو العربي، ص 149.
[3] - المرجع السايق، ص 151.
[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة أحمد بن خلف، ص 72.
[5] - الحلواني، د. محمد خير، أصول النحو العربي، ص 153.
[6] - الحلواني، محمد خير، الواضح في النحو والصرف، ص 24.

العمل في كل شيء، معنى ذلك أنها لا تعمل عادة في الفضلات، كالظرف والحال والتمييز والاستثناء ولكن بعضها يحمل معنى الفعل فيعمل في بعض الفضلات كالحرف (ليت)"[1].

والسبب الآخر في ضعف هذه الحروف أنّ النحاة لم يروها عملت في اسم متقدم عليها وأنّ ما شابه الفعل منها التزم حالاً جامدة في التركيب إذ لا يجوز فيه تقديم المرفوع على المنصوب فلا يقال مثلاً: (إنّ أخوك خالداً) على تقديم الخبر وتأخير الاسم[2]. ومن الشواهد على الحروف العاملة ممّا جاء في نصوص البخلاء قول الجاحظ: "كنت أنا على حمار مكاري، والمكيّ على حمار مستعار، فصار الحمار إلى أسوأ من حال الزَّور، فكلّم المكيّ غلمانه فقال: لا أريدُ منكم التبنَ فما فوقه، اسقوه ماءً فقط، فسقوه ماء بئر، فلمْ يشربْه الحمار، وقد مات عطشاً، فأقبل المكيّ عليه، فقال أصلحك الله! إنهّم يسقون حماري ماء بئر، ومنزلُ صاحب الحمار على شارع دجلة، فهو لا يعرف إلاّ العذبَ، قال: فامزجوه له يا غلام، فمزجوه فلم يشربه، فأعاد المسألة فأمكنه من أذن من لا يسمع إلاّ ما يشتهي"[3]. وجاء أيضاً في قصة أبي جعفر الطرسوسي: " لم أرَ مثل أبي جعفر الطرّسوسي: زار قوماً فأكرموه وطيبّوه وجعلوا في شاربه وسبلته غالية[4] فحكتّه شفته العليا فأدخلَ إصبعه فحكها من باطن الشفة، مخافة أن تأخذ إصبعه من الغالية شيئاً إذا حكها من فوق"[5]. فنرى في المثال الأول كيف عمل حرف الجر في معموله وعلّق الفعل به "فحرف الجر يتمّم معنى الفعل بالإضافة إلى أنّه يعلّق المعمول بالعامل"[6]. وهذا ما وجدناه في حرف الجر (على) الذي تممّ معنى الفعل كنت وعلّق المعمول به و"من هنا سمّيت حروف الجر حروف المعاني؛ لأنّ الحرف يؤدي مع الفعل معنى لا يؤديه الفعل وحده"[7]. وهذا واضح في لفظ (حمار) و(حال) و(شارع) و(أذنِ) فكلها معمولات أحالت إلى عاملٍ متقدمٍ عليها أو سابق وهو حرف الجر وأتممت معنى الفعل. أما حرف الجزم (لم) فقد عملت الجزم في معمولها ونفته وقلبت دلالته الزمانية للماضي وهذا ما نراه في الفعل يشربْه. أما (لن) فهي" أهم الأدوات الناصبة وتبدو أهميتها في قدرتها على نصب المضارع ظاهرة ومضمرة ولذلك يسميها النحاة أم الباب... وتدل أنّ على المستقبل ولذلك تشير إلى أن الفعل بعدها لم يثبت، ولم يقع"[8]. وهذا ما نراه في الفعل (تأخذَ) في النص الثاني. وبذلك نرى أن هذه الحروف العاملة قد أثّرت في معمولاتها وربطتها بها وجعلت هذه المعمولات تحيل إليها إحالة قبليّة. يقول سيبويه" وأمّا

---

[1] - المرجع السابق، ص 25.
[2] - المرجع السابق، ص 160.
[3] - الجاحظ، البخلاء، حديث خالد بن يزيد(الحمار وماء البئر)، ص 91.
[4] - السَّبلة : الدائرة في وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر والمقصود الشفة العليا والغالية أخلاط من الطيب.
[5] - المصدر السابق، قصة أبي جعفر الطرسوسي، ، ص 97.
[6] - أبو السعود، د. صابر بكر، النحو العربي، دراسة نصيّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ط، 1988م، ص 99.
[7] - المرجع السابق، ص 99.
[8] - الحلواني، د. محمد خير، الواضح في النحو والصرف، ص 109.

حروف الإضافة فليست بظروف ولا أسماء ولكنها يُضاف بها الاسم إلى ما قبله أو ما بعده تقول مررت بزيد فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء وكذلك. هذا لعبد الله وإذا قلت: أنت كعبد الله. فقد أضفت إلى عبد الله الشبه بالكاف"[1].

وممّا تقّدم نرى أن حروف الجر لها دور في الربط بين الجار والمجرور والفعل وإيصال معنى الفعل وتتميمه إلى الاسم بعدها أو قبلها ومن الحروف العاملة في الأسماء أيضاً الأحرف المشبهة بالأفعال، وقد شبهها النحاة بالأفعال للأسباب التالية:

1- عملها : فكما أن الفعل المتعدّي إلى مفعول واحد يرفع فاعلاً وينصب مفعولاً. كذلك تنصب هذه الأحرف وترفع فكل أداة منها تعمل في الاسم عملين النصب والرفع وكذلك الفعل.

2-بناؤها: وتبنى هذه الأدوات – ما عدا لا – على الفتح كما يبنى الفعل الماضي تماماً.

3-أصولها: ويتألف كل منها من ثلاثة أحرف ما عدا (لا) أيضاً كالفعل الثلاثي.

4-معانيها: وتؤدي خمسة معانٍ يؤديها في العربية الفعل عادة وهي: التوكيد الذي تؤدّيه إنّ وأنّ والتشبيه في كأنّ والاستدراك في لكنّ والتمني في ليت والترجي في لعلّ.

5-دخول نون الوقاية عليها كما تدخل على الأفعال[2] ومثالها من نصوص البخلاء قول الجاحظ: "إنّ الله جوادٌ لا يبخل وصدوقٌ لا يكذب"[3].

فقد عملت إنّ النصب في المبتدأ أو الرفع في الخبر وربطت معموليها بها وأحالتهما إليها كما أدّت دوراً في أداء المعنى " والحق أن اختلاف حركات الإعراب أو اتفاقها ليس السبب في اختلاف المعاني، بل إنّ السبب الحقيقي آتٍ من الأدوات الداخلة على الجملة، فلو حذفنا هذه الأدوات لجهُل المعنى فلا يدرك إلا بحضور الأداة، وكذلك لو قمنا بتغيير هذه الأداة مع الاحتفاظ بحركة الإعراب، لوجدنا أنّ المعنى يختلف من أداة إلى أخرى بالرغم من ثبات حركة الإعراب، ففي مثل قولنا: (إنّ زيداً قادم) فإن معنى التأكيد في هذه الجملة لم يأت من نصب زيد بل من الأداة (إنّ) لأننا لو احتفظنا بحركة النصب وغيّرنا هذه الأداة بقولنا (لعلّ زيداً قادم) لتحوّل المعنى إلى التّرجي... كل هذا مع بقاء حركة الإعراب ثابتة بلا تغيير، ممّا يؤكد دون ريب أن اختلاف المعاني أو اتفاقها عائد إلى الأدوات الداخلة على الجملة لا إلى حركات الإعراب نفسها"[4]. "وكما اختلفت الأفعال قوّةً وضعفاً كذلك اختلفت الأحرف أصالة وفرعاً، فبعضها عمل عملاً هو فيه أصيل كأحرف الجر والنواصب والجوازم وبعضها عمل عملاً هو فيه فرع، كالأحرف المشبهة بالفعل وأداة النداء، أما أحرف الجر فيقتصر عملها

---

[1] - سيبويه، الكتاب، 209/1.

[2] - الحلواني، د. محمد خير، الواضح في النحو والصرف ، ص 214.

[3] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص 239.

[4] - إلياس، د. منى، سلطاني، د. محمد علي، فصول في النحو، دمشق:المطبعة التعاونية، جامعة دمشق 1982، ص103.

على جر الاسم، ولذلك كانت أضعف من الفعل، غير أنّها أصيلة في عملها، لا تشبه بالفعل ولا تلحق به، لأن الفعل لا يعمل الجر في شيء من أجزاء الكلام، وكذلك الشأن في النواصب والجوازم، على أن النحاة يرون الحروف فرعاً في العمل على الفعل ولا يستثنون منها شيئاً"[1].

ج- الأسماء: "الأسماء في الأصل لا عمل لها، بل هي التي تعمل فيها العوامل من أفعال وحروف، غير أن ما يعمل فيها قسمان : قسم يعمل عمل الفعل لأنه يشبهه في دلالته وقد يحل محلّه، وقسم آخر يعمل عمل الحرف لأنه يتضمن معناه. أما القسم الأول فيشمل: المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسم الفعل، فبعض هذه الأسماء تدل على الحدث مجرداً من الزمان، كالمصدر وبعضها الآخر يدل على الحدث مقروناً بالزمان كاسمي الفاعل والمفعول، واسم الفعل وهذا من وظيفة الفعل المعنوية في الكلام، وأما القسم الآخر فيقتصر على أسماء الشرط لأنها تضمّنت معنى الحرف (إن) فإذا قلت (متى تأتني أكرمك) كان المعنى إنْ تأتِ في أي وقت أكرمك"[2].

"ومن الأسماء العاملة عمل الحروف ونابت عنها المضاف، فإذا قلت: قلم زيدٍ، وخاتم فضةٍ، وطارق ليلٍ، كان المعنى، قلمٌ لزيدٍ وخاتم من فضة، وطارق في ليل ولكنّهم أسقطوا حروف الجر وكذلك المضاف (لحَم) العامل في المضاف إليه (الماعزِ) فقد خصصّ المضاف إليه المضاف وأكسبه تعريفاً، وأحالنا إلى عاملٍ فيه سابق هو المضاف. وكذلك وجدنا من الأسماء العاملة(المميّز) في النص الأول (أشحم وألحم وأرخص وأكثر) وهي أسماء مبهمة جاء التمييز بعدها ليبين إبهامها وهذا ما وجدناه في (رخصاً، لحماً) فلو حذفنا التمييز لبقي معنى الجملة غامضاً مبهماً وكذلك جاء المميّز ليعمل في هذا التمييز النصبَ ومن هنا أحلنا التمييز المفرد إلى المبهم العامل فيه قبله. وهذا نجده أيضاً في النص الثاني بين المميز (أشدهم) العامل في تمييزه (حياءً).

ومن الأسماء العاملة أيضاً في النص الثاني اسم الفاعل (رافع، قاطع) "فهو يشبه الفعل المضارع في اللفظ وفي المعنى، أما شبهه إياه في اللفظ فيتجلّى في أنّه يكون على وزن فاعل في الثلاثي وهذه الصيغة تشبه يفعل في الحركات والإيقاع، وأما الشبه المعنوي فيظهر في دلالة اسم الفاعل على الحدث والفاعل والزمان الحاضر أو المستقبل أو الدائم، هذا الشبه الكبير سبب في قدرة اسم الفاعل على العمل، فهو يرفع الفاعل، وينصب المفعول به، وبعض الفضلات الأخرى ويعمل في شبه الجملة"[3]

---

[1] - الحلواني، د. محمد خير، أصول النحو العربي، ص 158.
[2] - الحلواني، د. محمد خير، الواضح في النحو والصرف، ص 26.
[3] - المرجع السابق، ص 168.

وفي مثالنا هذا عمل اسم الفاعل على نصب المفعول به (يدَه، أكلَه) وذلك بعد أن أشبه الفعل في لفظه ومعناه، وأحال هنا المفعول به إلى العامل فيه وهو اسم الفاعل السابق له. اختصاراً للكلام فعمل الاسم قبله ومحله، وناب عنه في عمل أكبر والدليل الذي يدل على أن المضاف هو العامل في المضاف إليه أنّه يتّصل به ضميره فيقال : قلمك وكتابة وقلمها والضمائر لا تتصل إلاّ بما كان عاملاً فيها"[1]. ومن الأسماء العاملة أيضاً صاحب الحال والمميّز وقد جمعهما سيبويه بقوله: " هذا باب ما ينتصب لأنه ليس من اسم ما قبله، ولا هو هو "وضرب مثالاً للأول" أنت الرجل علماً عمل الرجلُ في العلم، والعلم منتصب لأنه ليس من اسم الرجل، ولا هو الرجل نفسه، كما عمل عشرون في الدرهم حين قلت عشرون درهماً ؛لأن الدرهم ليس من اسم العشرين ولا هو هي"[2].

ومن الأمثلة التي توّظف الأسماء العاملة في نصوص البخلاء نذكر:

"وأمّا زهده في رؤوس مسجد ابن رغبان، فإنّ البصريين يختارون لحم الماعز الخصّي على الضّأن كلَّه، ورؤوس الضّأن أشحم وألحم وأرخص رخصاً وأطيب ورأس التيس أكثر لحماً من رأس الخصيّ"[3].

ومن ذلك قول الجاحظ: "فإذا وضعوا الطعام، أقبل على أشدّهم حياءً، أو على أشدّهم أكلاً، فسأله عن حديثٍ حَسَنٍ أو عن خبرٍ طويلٍ، ولا يسأله إلاّ عن حديثُ يُحتاج فيه إلى الإشارة باليد أو الرأس، كل ذلك ليشغله، فإذا هم أكلوا صدراً أظهر الفتور والتشاغل والتنقّر كالشبعان الممتلئ، وهو في ذلك غيرُ رافع يدَه ولا قاطعٍ أكله، وإنّما هو النتف بعد النتف، وتعليق اليد في خلل ذلك"[4]. فنرى في هذين النصين بعض الأسماء العاملة في معمولاتها كالمضاف في النص الأول (مسجد) الذي عمل في المضاف إليه (ابنِ) ومن الأمثلة التي عملت فيها الأسماء في نصوص البخلاء قول الجاحظ: "وقال المسيح ورأى رجلاً يأكل اللحم، فقال: لحمٌ يأكل لحماً، أفَ لهذا عملاً"[5] وقوله: " ليس من العزّ أن تتعرض للذلّ، ولا من الكرم أن تستدعي اللؤم، ومَنْ أخرج ماله من يده افتقر، ومَنْ افتقر فلا بدّ له من أن يضرع"[6]. ففي المثال الأول نجد اسم الفعل (أفٍّ) وهو اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، قد عمل النصب في معموله (عملاً)، "وأسماء الأفعال أسماء سميت بها الأفعال، فدّلت على معانيها و شابهت بعضها-كالأمر والماضي -في أنها تعمل في غيرها ولا يعمل غيرها فيها، وهي مع ذلك أسماء، لأنها تحمل بعض علامات الاسم فمنها ما ينوّن كتنوين (أفٍ) ومنها ما

---

[1] - الحلواني، د. محمد خير، أصول النحو العربي، ص 167.
[2] - سيبويه، الكتاب، 275/1 بتصرف.
[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني(لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص 173.
[4] - المصدر السابق، قصة محمد بن ابي المؤمل، ص 155.
[5] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني (لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص169.
[6] - المصدر السابق، رسالة ابي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص 283.

يصغّر كتصغير رويد، ومنها ما تدخله أل كقولهم : النجاءك أي انجُ"[1] وعملها هنا نصب المفعول به (عملاً) فأحال هذا المفعول إلى اسم الفعل قبله وارتبط به. وفي المثال الثاني نجد من الأسماء العاملة مِنْ الشرطية التي ضُمنت معنى إنْ وعملت عملها، " ولولا ذلك لما عملت والدليل على ذلك أنها حين ضمنت معنى الهمزة لم تعمل"[2].

وفي الحديث عن الحروف والأدوات يقول المبّرد في المقتضب في باب المجازاة وحروفها: "وهي تدخل للشرط ومعنى الشرط وقوع الشيء لوقوع غيره، فمن عواملها من الظروف: أنّى، ومتى، وحيثما، ومن الأسماء: مَنْ وما، وأي ومهما، ومن الحروف التي جاءت لمعنى إن، إذ ما وإنما اشتركت فيها الحروف والظروف والأسماء لاشتمال هذا المعنى على جميعها فحرفها في الأصل إنْ وهذه كلها دواخل عليها لاجتماعها"[3]. وهنا عملت (مَن) الجزم محلاً في الفعلين الماضيين (أخرجَ افتقر) وربطت بين جملتين يقول أحد الباحثين:" يبدو للمرء في أكثر الأحيان، أن الباحثين قدماءهم ومحدثيهم ينظرون إلى أدوات الشرط بوصفها أدوات رابطة تدخل لربط جملة بجملة"[4].

ممّا تقدّم" نلاحظ أن المتأخر (من السلسلة الكلامية) مرتبط بما يعود إليه من المتقدم، متشكل به، في سببيّة نحويّة بسيطة يظهرها لنا التأمل المبّين وهذه بعض الأمثلة: إن ورود(أل) يستتبع اسماً تقترن به (أل) وإن ورود حرف الجر يستتبع اسماً يليه ويُجّر به، وإن ورود أداة الجزم يستتبع مضارعاً يأتي بعده ويجزم به، وإن ورود شبه الجملة في الكلام يعيّن فعليّة كل مركب إسناد بسيط يكون الفعل أحد ركينه يلي الجملة ويعتمد عليها"[5].

"فالاسم المعرب هو الاسم المركّب إلى عامله، ووجه الطرافة فيه أنّه يكتفي في حدّ الاسم المعرب بحصول تركيبه أو ائتلافه مع وحدات لغوية أخرى اعتبرها النحاة العرب عوامل ولا يشير إلى تغيّر آخر الاسم. وفائدة هذا الحدّ أنها تفتح الباب لاعتبار نظر النحاة العرب من الإعراب ضرباً من ضروب حصر قوانين ائتلاف الكلم التي تنتج كلاماً مقبولاً في لسان من الألسنة الإعرابية. وإن صح هذا التأويل سقط اتهامهم بأن عنايتهم بالإعراب فوّتت عليهم دراسة ائتلاف الكلم"[6]. إنّ" دراسة القاعدة النحوية من خلال النص تكشف عن العلاقات التي تربط بين عناصر الجملة، لأن الجملة في نهاية الأمر تستهدف المعنى،

---

[1] - الحلواني، د. محمد خير، الواضح في النحو والصرف، ص 155.

[2] - المرجع السابق، أصول النحو العربي، ص 167.

[3] - المبّرد، المقتضب، 46/2.

[4] - عكاشة، عمر يوسف، النحو الغائب، دعوة إلى توظيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003، ص 354.

[5] - حاطوم، أحمد، كتاب الإعراب، محاولة جديدو لاكتناه الظاهرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، 1992م، ص 212.

[6] - مجذوب د. عز الدين، المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، سوسة :نشر كلية الآدب، دار محمد علي الحامي، ط1، 1998، ص 140.

والمعنى لا يقوم على مفردات الجملة وإنما يقوم على مجموع الكلمات المترابطة التي يعمل كل عنصر من عناصرها في الآخر حتى يستوي المعنى استواءً"[1].

"وما قيام الإعراب على العامل إلاّ ضربٌ من ضروب التحليل للمركبات اللغوية، وتوضيح العلاقات المعنوية من خلال العلاقات اللفظية، ويتضح هذا في المنصوبات أكثر ممّا يتّضح في غيرها، فإذا قلنا: جاء عشرون جندياً مدجّجين بالسلاح، رأينا الإعراب يحلّل علاقة جندياً بعشرين على أنها علاقة مفسّر بمفسّر، وذلك بتسمية جندياً تمييزاً ثم يسمى (مدججين) حالاً، وهذا يعني أن العلاقة بينها وبين الفعل جاءت تقوم على كشف هيئة الفاعلين حين أحدثوا المجيء، وهم حين يجعلون الفعل أو شبهه هو العامل فكأنهم يشيرون إلى أن الحدث هو محور التركيب أو عمدته وحينما يجعلون الأسماء بعده معمولات له، يشيرون إلى أنها ترتبط به معنى، وتكشف عن أشياء تتعلّق بالحدث"[2]. فـ"ليست العوامل في أول أمرها إلاّ ملاحظة تضام أجزاء الكلام بعضها إلى بعض، والتعليق فيها أو ارتباط الوظائف"[3].

2- **العوامل المعنوية**:

"ورأى النحويون، وهم يستقرون لغة العرب أنّ ظواهر من الإعراب لا تخضع لقرينة لفظيّة، كرفع المبتدأ، والفعل المضارع، فربطوا بينها وبين معنى تركيبي دقيق، ثم زعموا أن هذا المعنى هو العامل فيها دون سواه. غير أنّ كلامهم في هذه العوامل لا يكاد ينتهي إلى نتائج معقولة، بل إنّه لا يكاد يُحدّد مفهوماً واضحاً لطبيعة هذه العوامل، ولكنّنا على الرغم من ذلك نستطيع أن ننتزع منه جملة ما ذكروه من العوامل المعنوية[4].

1-ما ذكره البصريون: اتفق جمهور البصريين على أن هناك عاملين معنويين هما: الابتداء وهو الذي يرفع المبتدأ والخبر ويرفع المبتدأ دون الخبر على خلاف بينهم. ووقوع الفعل المضارع موقع الاسم: وهو الذي يرفع الفعل المضارع في مذهبهم.

2- ما ذكره الكوفيون: وذهب جمهور نحاة الكوفة إلى أن هناك عاملين أيضاً هما: الخلاف: وبه ينصب المفعول معه، والمستثنى، والظرف الواقع خبراً، والفعل المضارع بعد أحرف العطف.

3-ما انفرد به نحاة آخرون: وهناك مذاهب انفرد بها بعض النحاة نذكر منها: الفاعلية: وبه يرفع الفاعل في مذهب خلف الأحمر. المفعولية: وبه ينصب المفعول به عنده أيضاً. الصفة:

---

[1] - أبو السعود، د. صابر بكر، النحو العربي، ص 133.

[2] - الحلواني، د. محمد خير، أصول النحو العربي، ص 182.

[3] - عبد اللطيف، د. محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، الكويت: مطبوعات الجامعة، جامعة الكويت، 1984، ص 167.

[4] - الحلواني، د. محمد خير، أصول النحو العربي، ص 169.

وهو العامل المعنوي الذي يعمل في الصفة عند أبي الحسن الأخفش. الإضافة: وهو ما يجر به المضاف إليه في رأي الأخفش أيضاً[1].

ومن الأمثلة على العوامل المعنوية في نصوص البخلاء نذكر قول الجاحظ : "والشحمُ يفرّج القلّب، ويبيضّ الوجه، والنارُ تسوّد الوجه"[2]. وقوله: "العيالُ عيالان: شهوةٌ مفسدة وضرس طحون، وأكل الشهوة أثقل من أكل الضرس"[3]. ففي المثال الأول نجد أن الفعل المضارع (يفرّج، يسوّد) قد وقع موقع الاسم فرُفِع "والأصل في الفعل أن يكون مبنياً لا معرباً، ولكنّهم أعربوا الفعل المضارع خاصة استحساناً كما يقول نحاة البصرة، لأنّه ضارع اسم الفاعل في لفظه ومعناه"[4]. أما العامل فيه فهو عند البصريين خاصة قيامه مقام الاسم، قال سيبويه: " وكينونتها في موضع الاسم ترفعها كما ترفع الاسم كينونته مبتدأ"[5].

"وفي هذا النص ما يدل على أنّ سيبويه يلجأ إلى القياس في رافع الأفعال المضارعة، فهو عنده معنى، والمعنى حين سلط على المبتدأ رفعه، وإذاً يجب أن يُرفع الفعل المضارع إذا سلط عليه".

وفي المثال الثاني وجدنا أنّ المبتدأ (العيالُ) قد تجرد من الأحرف المشبهة والأفعال الناقصة فُرفع بالابتداء" والحقّ أنّ القدماء ذكروا الابتداء في مواضع متفرّقة من كتبهم، ولكن لم يتحدّث واحد منهم حديثاً مفصّلاً، ويمكننا أن نستنبط من كلامهم أنّ الابتداء معنى يجمع في مضمونه ثلاثة مفهومات :الأولية: أي أنّ الاسم المبتدأ به يذكر في الكلام أولاً لثانٍ يليه، يربط بينهما رابط معنوي خاص.

1- التعرية وهذا نتيجة لما سبقه؛لأنه يعني أن المبتدأ واقع في بدء الجملة، غير مسبوقٍ بعاملٍ من العوامل اللفظية.
2- الإسناد: وهو الرابط المعنوي الذي يقيم العلاقة بين المبتدأ وما يليه، وبه يكشف نُسب إليه من حدث قام به أو وصفٍ نسب إليه"[6].

ومّما تقدّم نرى أن العوامل أدّت دوراً في الإحالة إلى ما بعدها في المبتدأ، وفي الربط بين المبتدأ والخبر، وجعلت المضارع مرفوعاً لوقوعه موقع الاسم. و " يمكن أن نزعم أن نظرية الإعراب والبناء ونظام العوامل الذي افترضه القدماء وضبطوا بمقتضاه الوظائف

---

[1] - سيبويه، الكتاب، 65/1 – 150 – 277-409-41 المبرد، المقتضب، 126/4، ابن الحاجب، شرح الكافية، 78/1.
[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني(يوصي عياله بأكل العلف)، ص161.
[3] - المصدر السابق، الرجوع إلى أحاديث البخلاء(شهوة مفسدة وضرس طحون)، ص 306.
[4] - ابن جني، الخصائص، 63/1.
[5] - سيبويه، الكتاب، 409/1.
[6] - المصدر السابق، 278/1، المبرد، المقتضب، 126/4 ابن يعيش، شرح المفصل 83/1.

النحوية الأساسية، وميزوا بينها وبين غيرها من فضلات وتوابع تبدو بمقتضى فرض راجح ذات كفاية وصفيّة لا تنكر وأنّها ملائمة لشكل المضمون في اللّسان العربي"[1].

العلامة الإعرابية والقرائن النحويّة في الجملة العربية ودورها في الإحالة:

"تحكم الجملة العربية مجموعة من العلاقات المتشابكة في نسيج متلاحم والقرائن النحوية هي التي تكشف عن هذه العلاقات، وهذه القرائن تتعاون وتتضافر بحيث تساعد كل منها الأخرى في أدائها للغاية التي تراد لها، ويعنينا هنا الكشف عن مسلك العلامة الإعرابية مع القرائن الأخرى سواء أكانت قرائن معنوية كالإسناد والتخصيص والنسبة، أم لفظية كالرتبة والتضام والربط والمطابقة والبنية والأداة، مع مراعاة التداخل بين بعض هذه القرائن الذي لا يمكن معه فصل قرينة من أخرى فصلاً واضحاً بحيث ينظر إليها منفصلة تماماً ويمكن تناولها بوصفها كذلك"[2]. وسنتناول مسلك العلامة الإعرابية بوصفها قرينة لفظية مع أهم القرائن التي يظهر تعاونها معها:

1-مع قرينة الإسناد: يحدّد سيبويه والخليل نظام الجملة الأساسي بالمسند والمسند إليه" وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجدّ المتكلّم منه بدّاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدٌّ من الآخر في الابتداء، ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله منطلقاً، وليت زيداً منطلقٌ، لأنّ هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ لما بعده"[3] ونلحظ من هذا النص أنّ للجملة ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه: مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل، فالتكوين الأساسي للجملة هو فعل واسم أو اسم واسم. وكل منهما يحيل إلى الآخر ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً. " ومفهوم الإسناد في الجملة بدأ به "الكتاب" واستمر النحويون عليه ذكروه أو لم يذكروه كما هو المفهوم من أقوالهم. فالزمخشري ممّن رادف بين الكلام والجملة أيضاً لكن صرح بالإسناد فالكلام عنده "هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتّى إلاّ في اسمين... أو في فعل واسم... وتسمى جملة"[4]. وقرينة الإسناد من القرائن المعنوية التي يصعب أحياناً فهمها، فهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، أو نائب الفاعل، وقرينة الإسناد محتاجة غالباً إلى عدد آخر من القرائن اللفظية حتى تتّضح[5]". ومن بين هذه القرائن العلامة الإعرابية، فرفع الاسم الذي تتوافر فيه قرائن أخرى دلالة على أنه مبتدأ، ورفع الوصف بعده، يدل على أنه هو

---

[1] - مجذوب، ، د. عز الدين، المنوال النحوي العربي ص 323.

[2] - عبد اللطيف، د. محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص 309.

[3] - سيبويه، الكتاب، 23/1.

[4] - الزمخشري، المفصّل، ص23.

[5] - حسان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 192.

الخبر، ويظهر ذلك عندما يكون في الجملة مجموعة صفات أخرى تصلح للخبرية"[1]. ومثال ذلك من نصوص البخلاء قول الجاحظ : " ورؤوس الضأن أشحمُ وألحمُ وأرخصُ رخصاً وأطيبُ"[2]. هنا نجد أن علامة الرفع متعاونة مع قرائن أخرى تحدد أن الخبر هو أشحمُ وألحمُ وأرخصُ وأطيبُ. كذلك نستطيع عن طريق العلامة الإعرابية تحديد الفاعل، حتى لو تأخر في الجملة مثل قول الجاحظ: "قد مرّت بنا اليومَ فوائدُ كثيرة"[3] وقوله: " ليس يفسدُ الناسَ إلاّ الناسُ"[4].

وممّا تقدّم نجد أن العلامة الإعرابية أدّت دوراً في تحديد المسند والمسند إليه في الجملة بحيث لو فقدت العلامة الإعرابية التزم الكلام ضرباً واحداً لا يجوز فيه تقديم ولا تأخير، كما وجدنا دور الإسناد في تحقيق الإحالة فالمسند يحيل إلى المسند إليه ويرتبط به دائماً.

2- مع قرينة التخصيص:

قرينة التخصيص قرينة معنويّة تتفرّع عنها قرائن معنوية أخص منها، والقرائن التي تتفرع عنها هي: التعديّة (وتدل على المفعول) والغائيّة (وتشمل المفعول لأجله والمضارع بعد اللام وكي والفاء ولن وإذن) والمعيّة (المفعول معه والمضارع بعد الواو) والظرفيّة (المفعول فيه) والتحديد والتوكيد (المفعول المطلق) والملابسة(الحال) والتفسير (التمييز) والإخراج (الاستثناء) والمخالفة (الاختصاص وبعض المعاني الأخرى) [5]. "والعلامة الإعرابية التي تدل على هذه القرينة الكبرى بفروعها واحدة وهي النصب ولذلك لا تدل على التخصيص وحدها، بل لا بد من قرينة أخرى تتعاون معها في سبيل هذه الغاية فمع المفعول به لا بد من التعدية، ومع الغائيّة لا بدّ من الصيغة في المفعول لأجله حيث يشترط أن يكون مصدراً قلبياً ولا بدّ من الأداة مع المضارع المنصوب، ولا بد من الواو في المعية وهكذا، أي أن ما يشترطه النحاة لكل باب من هذه الأبواب هو تحديد للقرائن التي تتعاون مع قرينة العلامة الإعرابية"[6]. ومع أنّ العلامة الإعرابية وحدها لا تستطيع أن تنهض بالدلالة على قرينة التخصيص بفروعها المتعددة إلاّ أنها ضرورية لفهم المعنى.

يقول الجاحظ في البخلاء: "ولعلّك أن تعثر في نعلك فتقدَّها قدّاً"[7]، فهنا نلحظ أن قرينة الغائية دلّت على النصب في المضارع بعدها بمشاركة العلامة الإعرابية. أما دورها

---

[1] - عبد اللطيف، د. محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص 309.
[2] - الجاحظ، ، البخلاء، قصة أسد بن جاني(لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص173.
[3] - المصدرالسابق، قصة اهل البصرة من المسجديين (مذاكرة الرجال تلقح الألباب)، ص 61.
[4] - المصدر السابق، قصة تمّام بن جعفر، ص 182.
[5] - حسّان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 311.
[6] - عبد اللطيف، د. محمّد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص311.
[7] - الجاحظ، البخلاء، ص 211.

في تحقيق الإحالة فيمكننا ملاحظة ذلك في تسميتها " فهي الفاء التي أطلق النحويون عليها فاء السببية"[1]. والفاء في ذلك تعطف مصدراً مقدّراً على مصدر متوّهم فإذا قلت: أكرمْني فأحسن إليك فالتقدير ليكن منك إكرامٌ فإحسان منّي[2]، إذ إن هذه الفاء لا تكون عند النحاة للسببيّة ولا تقدّر أن بعدها، إلا إذا وقعت في جواب الأمر والنهي والدعاء، والاستفهام، والتخصيص، والعرض، والتمني، والنفي، والترجي[3].

"والملاحظ أنّه" لم يختلف القدماء ولا المحدثون في وصف العلاقة التي تصنعها الفاء بين ما قبلها وما بعدها، فقد فُهِمْت هذه العلاقة على أنّ ما قبل الفاء سبب فيما بعدها"[4]. ويؤكد ذلك قول الصبان: "فاء السببية أي التي قُصد بها سببية ما قبلها لما بعدها، بقرينة العدول عن العطف على الفعل إلى النصب"[5].

نلحظ جوهر الإحالة واضحاً هنا ما بعد الفاء يحيل إلى ما قبلها في نصب الفعل المضارع. والأمر ذاته نراه مع اللام وكي الناصبة للمضارع نحو قول الجاحظ في البخلاء: "كان من البخلُ يؤخّر تنقية بالوعته إلى يوم المطر الشديد وسيل المثاعب ليكتريَ رجلاً واحداً فقط"[6]. وقوله أيضاً: " لا يزال البخيل على الطعام قد دعا الرّغيب البطنِ، واتخذّ له الطعام الطيب، لينفيَ عن نفسه المقالة وليكذّبَ عن نفسه تلك الظنون"[7]. وقوله أيضاً: "وكان يكتري قدور الخمّارين التي تكون للنبيذ ثم يتحّرى أعظمها ويهربُ من الحمّالين بالكراء كي يصيحوا بالباب"[8]. وقد عدّ ابن يعيش أنّ ما قبل اللام من الفعل علة لوجود الفعل بعدها[9]. في حين رأى السيوطي في الأشباه والنظائر:" أنّ المنصوب بعدها لا يكون سبباً لما قبلها وهو كذلك بعد لام كي"[10]. ولئن كان السلف غير مجمعين على فهم الدور الدلالي الذي تؤديه لام التعليل فإن الدارسين المحدثين مختلفون أيضاً في وصف العلاقة التي تصنعها هذه اللام بين ماقبلها وما بعدها إذ نجد بعضهم يقول برأي موافق رأي ابن يعيش فإميل بديع يعقوب تدل اللام عنده على أن ما قبلها سبب لما بعدها[11].

ولا يهمّنا التفصيل هنا كثيراً ما يهمّنا أنّ للام دوراً في الربط والإحالة كما أوضح ذلك عكاشة ويقول: عندما تدخل اللام على حدث متحقّق دوماً أي أنّ العلّة متحقّقة مع هذه اللام تكون

---

[1] - ابن الحاجب، شرح الكافية، 245/2.
[2] - المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص74.
[3] - المصدر السابق، ص 74.
[4] - عكاشة، عمر يوسف، النحو الغائب، ص 340.
[5] - الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، د. طود. ت، ، 301/2.
[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة اسد بن جاني(أبو قطبة وتنقية بالوعته)، ص176.
[7] - المصدر السابق، قصة تمام بن جعفر، ص 182.
[8] - المصدر السابق، طرائف شتى (البخيل النّفاج)، ص 194.
[9] - ابن يعيش، شرح المفصل، 21/7.
[10] - السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، طبعة حيدر آباد، 4، 109/1359.
[11] - عكاشة، عمر يوسف، النحو الغائب، ص 319.

اللام عندها رابطاً سببياً وأما اللام التي تدخل على غير متحقّق تكون اللام عندها رابطاً غائباً وتسمى لام الغرض[1]. "ويمكن تعريف الغرض بأنّه علّة نفسيّة أو ذهنيّة تبعث على الحدث المذكور قبل اللام، دون أن نعرف من منطوق الجملة أتحققت تلك العلّة النفسيّة على صعيد الواقع أم لا"[2].

"إنّنا –في مثل هذه الجمل– إزاء فاعل ومتكلم، والغاية متحقّقة في نفس الفاعل – فاعل الفعل الذي يسبق اللام – أما بالنسبة للمتكلم لحظة النطق بالجملة فإنّ هذه الغاية لا تكون متحقّقة بعد، أو إنّه لا يريد نقل تحقيقها –ربما لغرض بلاغي– للمتلقّي اللّغوي، وهذا كله يضطر المرء إلى أن يُفرّق بين الوظيفة الدلالية (الغرض) والوظيفة الدلالية السبب تحت وظيفة العلة أو التعليل، وأساسنا في هذا التفريق التحقق وعدم التحقق"[3].

ما نريد ملاحظته هنا أن اللام الداخلة على المضارع في (لينفيَ، ليكذّبَ، ليكتريَ) أدّت دوراً في الربط بين ما قبل اللام وما بعدها، كما أدّت دوراً في الإحالة إلى ما قبلها أو إلى ما بعدها.

3-مع قرينة التبعية وقرينة النسبة:

"التوابع أسماء تتبع ما قبلها في الإعراب وهي (النعت والعطف والتوكيد والإبدال)، ويتمّم أكثرها معنى ما تتبعه وعلى هذا تكون التبعيّة فيها من جهتين: تبعية إعرابيّة وتبعية معنويّة. أما الأولى منهما فلا يشذّ عنها تابع من التوابع، سواء أكان مكملاً لمتبوعه أم لم يكن، مثل: جاء خالدٌ الطويلُ، ومعه الطلاب كلهم ومعه أخواك سعد وسعيد وأما التبعيّة المعنويّة فمختلفة من تابع وآخر على النحو التالي:

1- توابع تكمّل المتبوع: من التوابع ما يكون مكملاً لمعنى متبوعه ويمكن الاستغناء عنه لأنه غير مقصود بالحكم، كالصفة والتوكيد وعطف البيان.

2-توابع تكون هي المقصودة بالحكم: كالبدل والمعطوف بـ بل... وعلى هذا يكون هو المهم في الجملة والاسم الذي قبله لا أهمية له أما تسمية النحاة له بالتابع وإلحاقه بما ذكرنا فلأنّه يتبع ما قبله في الحركة الإعرابية"[4].

و"قرينة التبعيّة قرينة معنويّة عامة يندرج تحتها أربع قرائن فرعية هي النعت والعطف والتوكيد والإبدال، وهذه القرائن المعنوية تتضافر معها قرائن أخرى لفظية أشهرها قرينة المطابقة، وأشهر ما تكون فيه المطابقة بين التابع والمتبوع هو العلامة الإعرابية[5].

---

[1] - المرجع السابق، ص321 بتصرف.
[2] - المرجع السابق، ص 324.
[3] - المرجع السابق، ص 325.
[4] - الحلواني، د. محمد خير، الواضح في النحو والصرف، ص371.
[5] - حسّان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 304.

"وقد يتسامح مع بعض التوابع في إسقاط بعض أنواع المطابقة كالمطابقة في النوع والعدد في النعت والسببي، والمطابقة في التعيين في بعض أنواع البدل، ولكن العلامة الإعرابية لا يمكن التسامح فيها مع بقاء التبعية على الإطلاق، وعندما أجاز النحاة في النعت القطع إلى الرفع أو النصب اضطروا إلى تقدير مبتدأ محذوف وجوباً أو فعل محذوف وجوباً، وقد رأينا أن هذا لون من ألوان الترخيص في قرينة الإعراب لوضوح المعنى، والنعت عند القطع قد خرج عن التبعية"[1].

"وأما قرينة النسبة وهي قرينة كبرى كالتخصيص وتدخل تحتها قرائن معنوية فرعية هي معاني حروف الجر[2]. فإن العلامة الإعرابية فيها لا تبرح الاسم المجرور بحرف الجر، وهذا بالتالي يحقّق انضمام حرف الجر إليه وتحقيق المعنى النسبي الذي يؤديه، وبين حرف الجر وحالة الجر تلازم بمعنى أنّه إذا كان الاسم المجرور ممّا يقبل العلامات الإعرابية فإنه لا بد أن تكون فيه علامات الجر، وبحيث يستطيع أن نعرف الاسم المجرور إذا فصل بينه وبين حرف الجر فاصل"[3].

ومن الأمثلة في البخلاء نذكر: "ولو أنّ رجلاً جلس على بيدر تمر فائق وعلى كُدس كُمثرى منعوت وعلى مائة قنو موز موصوف لم يكن أكله إلاّ على قدر استطرافه، ولم يكن أكله على قدر أكله إذا أتي بذلك في طبق نظيف، عليه منديلٌ نظيفٌ"[4].

ففي المثال السابق نلحظ أن الصفة جاءت بعد الموصوف وطابقته في الجنس والعدد والتنكير وحركة الإعراب، وكذلك جاءت الصفة مكمّلة لمتبوعها الموصوف وأحالت إليه إحالة سابقة، وهذا واضح في (تمر فائقٍ، كدُس كمثرى منعوت، قنو موز موصوف، طبقٍ نظيفٍ، منديلٌ نظيفٌ) وكذلك وجدنا قرينة النسبة في جر الاسم المجرور (كدسٍ، مائةٍ، طبقٍ) بالكسرة، فقد تلازم حرف الجر مع المجرور المكسور وانضم إليه، وأحال الاسم المجرور بعده إليه إحالة قبلية.

4-مع قرينة الرتبة:

"من أبرز القرائن التي تتعاون معها العلامة الإعرابية قرينة الرتبة، وهي قرينة لفظية أولاها نحاتنا القدماء اهتماماً، ونصّوا كثيراً على أن كذا رتبته التقديم أو التأخير. يقول ابن جني:" ألا ترى أنك إذا سمعت " أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه، فإن قلت قد تقول: ضرب يحيى بشري، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً، وكذلك نحوه، قيل: إذا

---

[1] - عبد اللطيف، د. محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص312.
[2] - حسان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص201.
[3] - عبد اللطيف، د. محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص312.
[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص148.

اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ حاله ألزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب، فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرّف فيه بالتقديم والتأخير نحو أكل يحيى كمثرى، لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت وكذلك ضربت هذا هذه وكلم هذه هذا، وكذلك إن وضح الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف، نحو قولك: أكرم اليحييان البشريين، وضرب البشريين اليحيون، وكذلك لو أمأت إلى رجل وفرس فقلت كلّم هذا هذا فلم يجيبه لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت، لأن في الحال بياناً لما تعني، وكذلك قولك ولدت هذه هذه من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة غير منكورة وكذلك إن ألحقت الكلام ضرباً من الإتباع جاز ذلك التصرف لما تعقب من البيان، نحو ضرب يحيى نفسه بشري، أو كلم بشري العاقل معلى أو كلم هذا وزيداً يحيى"[1]، "وتزداد أهمية الرتبة في اللغات الخالية من الإعراب، إذ تستعيض هذه اللغات في تأدية العلاقات التي كان يعبر عنها بالإعراب إما بكلمات مساعدة وإما بوضع كل كلمة بالنسبة للكلمات الأخرى"[2].

"وتظهر أهمية الرتبة بوضوح في الهدف الذي علل النحاة به دخول الإعراب الكلام إذ جعلوا الحركات دلائل على المعاني" ليتسعوا في كلامهم ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه"[3]. فإن العلامة الإعرابية هي التي تتيح الحرية للرتبة فيتقدّم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم مع المحافظة على وظيفة كل منهما"[4]. "وقد تنبّه نحاتنا – رحمهم الله – إلى ملاحظة دور الرتبة في الجملة ولكنهم لم يعالجوها في مبحث مستقل، بل توّزعت على جميع أبواب النحو ولعل هذا التوزيع بسبب تضافر القرائن، وقد آثروا أن ينظروا للقرائن جميعاً من خلال منظار العلامة الإعرابية، ولكن هذا يعد تركيزاً على قرينة واحدة لا تنهض بالعبء كله"[5]. ولعل فهم ابن جني لدور الرتبة هو الذي جعله يقول: " ولا يجوز تقديم الصلة ولا شيء منها على الموصول، ولا الصفة على الموصوف ولا البدل على المبدل منه، ولا عطف البيان على المعطوف عليه، ولا العطف الذي هو نسق على المعطوف عليه... ولا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف، ولا شيء مما اتصل به"[6] وعلى هذا يظهر دور الرتبة بمعنى أنه إذا تقدم شيء من هذه فلن يبقى على وظيفته

---

[1] - ابن جني، الخصائص، 35/1.

[2] - عبد اللطيف، د. محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص313 نقلاً عن فندريس في اللغة ص111.

[3] - الزّجاجي، الإيضاح، ص70.

[4] - عبد اللطيف، د. محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، 314.

[5] - المرجع السابق، ص314.

[6] - ابن جني، الخصائص، 385/2-387.

التي كان عليها يقول حازم القرطاجني: "إذ العبارة إنما تدل على المعنى بوضع مخصوص فإن بدل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة"[1].

"إذن هناك نوعان من حرية الرتبة، أولهما يتقدم فيه المتأخر، مع المحافظة على وظيفته، كما لو تقدم الخبر على المبتدأ، أو المفعول به على الفاعل، أو على الفعل نفسه، والذي يحرس الوظيفة هنا هو العلامة الإعرابية، وكذلك إذا توسط خبر كان وأخواتها أو تقدم عليها، وكذلك اسم إنّ إذا تأخر وتوّسط الخبر وهو ظرف أو جار ومجرور وهكذا، وثانيهما: ما يتقدم فيه المتأخر ولكنه لا يبقى على وظيفته التي كان عليها، بل ينتقل إلى وظيفة أخرى ومن ذلك مثل: (قام محمدٌ) إذا تقدّم محمدٌ لم يعد فاعلاً ولكنه يصبح مبتدأ، وهذا هو مدلول قول ابن جني السابق"[2].

ومن ذلك أن الصفة لا تتقدّم على الموصوف معرفة كانت أو نكرة، فإذا كان المنعوت نكرة وتقدم نعته عليه فإنه يعرب حالاً لأن الحال مفعول على حد تعبير المبرد[3]. والمفعول يجوز أن يتقدم وأن يتأخر ومثاله من نصوص البخلاء للجاحظ:

"ليس يفسُد الناسَ إلاّ الناسُ"[4].

فهنا نلحظ تقدم المفعول به على الفاعل، والذي ضبط ذلك هو العلامة الإعرابية

وممّا تقدّم يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1-الإعراب جزء أساسي من اللغة العربية وليس من الممكن الاستغناء عنه، وهو ضروري لفهم الكلام العربي؛ فنحن لا نستطيع أن نعرف الفاعل من المفعول، ولا المضاف من المضاف إليه دون تحليتها بحركات الإعراب.

2-للإعراب أهمية لفظية نطقية؛فهو الوسيلة الوحيدة لدفع التقاء الساكنين اللذين لا تجيز قواعد العربية التقاءهما.

3-للإعراب خاصيّة جماليّة إيقاعيّة موسيقّية تتيح للمنشد أن ينشد في النصوص الشعرية، وتجعل النص النثري يرفل في فن موسيقيّ بلاغي.

4-أدّت العوامل النحوية دوراً في الإحالة من خلال ضمها لأجزاء الكلام بعضها إلى بعض، وتعليق بعضها ببعض.

5-للإسناد دورٌ في تحقيق الإحالة؛فالمسند يحيل إلى المسند إليه ويرتبط به دائماً، وكذلك شاركته قرائن التخصيص والنسبة والتبعية والرتبة.

---

[1] - القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص179.

[2] - عبد اللطيف، د. محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص315.

[3] - المبرد، المقتضب، 192/4.

[4] - الجاحظ، البخلاء، قصة تمام بن جعفر، ص 182.

9- الإحالة بعلامات الترقيم:

في كل موضوع فكرة عامة تشمله، وداخل الفكرة العامة أفكار جزئية تؤلّف مفهوماً خاصاً يستقلّ بذاته، وهو مع ذلك مرتبط بالموضوع العام.

"ولمّا كان من المستحيل نطق الكلام دون أي تنغيم، فقد اهتدى الإنسان إلى تقسيم الموضوع العام إلى قطع، والقطع إلى فقرات، والفقرات إلى جمل وعبارات، برموز كتابيّة تسمّى علامات الوقف، توضع بين أجزاء الكلام، تسهيلاً لمعرفة مواقع الفصل والوقف والابتداء، وتنبيهاً إلى أهمية تنويع النبرات الصوتيّة أثناء القراءة. وكما أن اللّغة هي الحروف والكلمات والعبارات والفقر والقطع، كذلك هي أيضاً بما يرافقها من إيقاع موسيقي، ومن وسائل تصويرية كعلامات الوقف التي تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز"[1].

و"الترقيم هو وضع علامات اصطلاحية معيّنة بين أجزاء الكلام أو الجمل أو الكلمات، لإيضاح مواقف الوقف وتيسير عملية الفهم والإفهام"[2]. "وتلعب علامات الترقيم دوراً مهماً في ضبط الكتابة والقراءة، يمكن مقارنته بالدّور الذي تقوم به إشارات المرور في تنظيم حركة السير، أو الدور الذي تقوم به الحركات الجسمية والنبرات الصوتية في توجيه دلالة الخطاب الشفوي"[3].

"وتتجلّى أهمية علامات (الوقف) في إيصال المعنى بشكل واضح إلى القارئ لأنّ المؤلّف يحدّد المعنى في ذهن القارئ من خلال هذه العلامات التي تؤثّر على تأويل الخطاب،

---

[1] - زرقة، أحمد، لغة الكتابة، دار الينابيع، د. ط و د. ت ص 274.

[2] - أوكان، عمر، دلائل الإملاء وأسرار الترقيم، أفريقيا الشرق، د. ط و د. ت، ص103.

[3] - المرجع السابق، ص103.

وتغير من مسار الجملة والمعنى والتفكير إذا لم تراعَ مواضعها بإتقان وتدبير جديرين باللّغة ومن يتكلم بها، وهكذا نجد أنّ النّص لا يتشكّل من حروف الأبجدية فحسب بل من علامات الوقف كذلك، وإنّ كلّ تغيير لأماكن هذه العلامات يجعل النص غامضاً ذا إشكالية"[1]. و"لا تستطيع علامات الوقف في نص ما أن تبيّن ما يجب أن يعدّ جملة أساساً وبوجه عام، بل لا توضح إلاّ كيف أراد المؤلف أن يكون نصه مقسّماً، وهكذا فإن علامات الجملة السابق إيرادها (النقطة، وعلامة الاستفهام، وعلامة النداء، مع كتابة تالية بحرف كبير) تَسمِ قطع نص ما تتمتع بالنسبة للمؤلف بخاصتي استقلال وتمام نسبيين"[2].

ولعلّ الأهميّة الأكبر لعلامات الترقيم أو (الوقف) تتجلّى في تحقيقها للربط بين الكلمات والجمل والنصوص عن طريق إحالتها إلى ما سبقها أو ما جاء بعدها وهذا ما عبّر عنه أحدهم بقوله: "علامات الوقف هي مفاصل لربط الكلمات والجمل، وحفظ الوزن في مختلف أجزاء الجملة، والمحافظة على استقامة المعنى في هيكل اللغة المؤلف من الأطر الصورية المحكومة بنظام القواعد"[3].

وكذلك من الأشياء التي يمكن لعلامات الترقيم تأديتها أنها تجنّب القارئ هدر الوقت بين تردّد النظر، وبين اشتغال الذهن في تفهّم عبارات كان من أيسر الأمور إدراك معانيها، لو كانت تقاسيمها وأجزاؤها مفصولة أو موصولة بعلامات تبيّن أغراضها وتّوضح مراميها، فالزمن الذي يحتاجه القارئ لفهم النص المرقوم أقصر بكثير من الزمن الذي تتطلّبه قراءة النص غير المرقوم. وكذلك يمكننا القول أنها تنظم الموضوع وتجمّل لغته وتحسّن عرضه، فيظهر في جماليّة خاصة تريح القارئ وتدفعه إلى القراءة باستمتاع[4].

وتنقسم علامات الترقيم إلى ثلاثة أنواع يمكننا ترتيبها في سياق وظيفتها الكتابية على النحو التالي:

1- علامات الوقف وهي (،. ؛) تمكّن القارئ من الوقوف عندها وقوفاً تاماً أو متوسطاً أو قصيراً والتزوّد بالراحة أو بالنفس الضروري لمواصلة عملية القراءة[5].
2- علامات النبرات الصوتية (:... ؟ !) وهي علامات وقف أيضاً لكنّها إضافة إلى الوقف تتمتّع بنبرات صوتيّة خاصة وانفعالات نفسية معنية أثناء القراءة.

---

[1] - زرقة، أحمد، لغة الكتابة، ص274.
[2] - برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري، ص 33.
[3] - المرجع السابق، ص 275.
[4] - الحسين، د. أحمد جاسم، الإملاء والتحرير العربي، دمشق: أعدّ الكتاب وفقاً لخطة كليات المعلمين المعدلة في المملكة العربية السعودية، 2003م، ص 24.
[5] - أوكان، عمر، دلائل الإملاء وأسرار الترقيم، ص105.

3- علامات الحصر ([( ) <<>> - -) وهي تساهم في تنظيم الكلام المكتوب وتساعد على فهمه ويمكن اليوم إضافة الألوان التي أصبحت تؤدي نفس الغرض.

أما عن دور علامات الترقيم في الربط والإحالة فنورد النص التالي من نصوص البخلاء لملاحظة ذلك يقول الجاحظ: " وكنت أتعجّب من تفسير أصحابنا لقول العرب في لؤم اللئيم الراضع، قال أصحابنا: كل لئيمٍ بخيل، وليس كل بخيل لئيماً؛لأنّ اسم اللئيم يقع على البُخل، وعلى قلة الشكر، وعلى مهانة النفس، وعلى أنّ له في ذلك عرقاً متّقدماً. قال أبو زيد: هو لئيم وملأم، فاللئيم ما فسّرت، والملأم الذي يقوم بعذر اللئيم؛ فأما اللئيم الراضع، فالذي لا يحلب في الإناء، ويرضع من الخِلْفِ، مخافة أن يضيع من اللبن شيء. قال ثوب بن شحمة العنبري في امرأته الهمدَانية:

وحديثُ مالجة التي حدّثتني تــدعُ الإنــاء تشُّــرباً للقــادِم

(القادمان الخِلفان المقدّمان) فلمّا بلغه ذلك عنها طلّقها. فلمّا طلّقها قيل له:

إنّ البخل إنّما يعيب الرجل، ومتى سمعت بامرأةٍ هُجيت في البخل؟

قال: "ليس ذلك بي. أخاف أن تلدَ لي مثلها"[1].

فنرى هنا في هذا النص توظيفاً لمعظم علامات الترقيم وأكثرها وروداً الفاصلة التي نعتناها بعلامة الوقف "وسمّيت بذلك لأنها تفصل بين جمل متصلة المعنى، وتوضع بين متعاطفين وبين أسماء العلم، وبعد لفظ النداء، وبين أقسام الشيء الواحد"[2].

وفي النّص السابق نلحظ ذلك واضحاً فالفاصلة فصلت بين الجمل المتعاطفة وربطت بينها وأحالت الكلام السابق إلى لاحقه أو اللاحق إلى سابقه لإيضاح المعنى، أما في نيابتها عن حروف العطف فيتجلى دورها الأكبر في الإحالة نحو قول الجاحظ: "وأبو عبد الرحمن هذا شديد البخل، شديد العارضة، عضبُ اللسان"[3].

ومن علامات الترقيم التي أدّت دوراً في الإحالة والربط في النص السابق الفاصلة المنقوطة وهي "توضع قبل التعليل لبيان السبب، وبعدها يشرح ما قبلها أي أنها تأتي أحياناً بمعنى أي، وتوضع بين جملتين يتعلق معنى الثانية بالأولى، بخاصة قبل حروف الاستدراك: لكن ولأن"[4].

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة أبي سعيد المدائني، ص 209.

[2] - الحسين، د. أحمد جاسم، الإملاء والتحرير العربي، ص20.

[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة أسد بن جاني (يحتج للبخل ويوصي به)، ص 165. شديد العارضة: قوي الحجّة.

[4] - الحسين، د. أحمد جاسم، الإملاء والتحرير العربي، ص 20.

ففي النّص السابق وجدنا كيف أدّت الفاصلة المنقوطة دوراً واضحاً في الإحالة فما بعد الفاصلة المنقوصة يحيل إلى ما قبلها ليشرحه وهنا جاءت الفاصلة المنقوطة لتحيل إلى عبارة سابقة وهي كل لئيم بخيل وتشرحها بعبارة لأن اسم اللئيم يقع على البخل. وكذلك من علامات الترقيم المستخدمة النقطة وهي " ترسم بعد انتهاء المعنى وفي نهاية الفقرة"[1].

فهي تحيل إلى الكلام السابق لها وتبيّن أنّه تام المعنى فهي "تشير إلى نهاية الكلام، وانقضائه، واستقلاله عمّا بعده معنىً وإعراباً"[2]. ومن العلامات المستخدمة أيضاً وأدّت دوراً في الإحالة النقطتان وهما" توضعان بعد القول سواء كان بالفعل قال أو بسواه وبعد العنصر الرئيسي وأقسامه، وشيء سيشرح بعده"[3] وتسميان"نقطتا البيان أو التوضيح"[4].

وفي النص السابق جاءت النقطتان لتشرحا ما بعدهما في قوله:

قال أبو زيد: هو لئيم وملأم. فأحالت هنا إحالة لاحقة إلى ما بعدها.

وكذلك من العلامات المستعملة القوسان ( ) وهما "يوضع كلام بينهما ليفسّر كلاماً قبلهما"[5]. فالقوسان في النص السابق وضع بينهما (القادمان الخلِفان المقدّمان) وهو تفسير لكلام سابق فأحالت القوسان بذلك إلى ذلك الكلام إحالة قبليّة.

ومن العلامات أيضاً علامتا التنصيص << >> وهي "علامة تدل على الكلام المنقول بنصه حرفياً"[6]. فهنا أحالت هذه العلامة إلى قائل المقولة الحقيقي وهو ثوب بن شحمة العنبري دون تغيير في ألفاظها " فعلامات التنصيص هي إشارية، أي ترتبط بعلاقة تجاور مع ما يحيل إليه، وتربط بذلك الكلام المذكور بصاحبه"[7]. ومن العلامات التي رصدنا وجودها في النص السابق وأدّت دوراً في الإحالة والربط علامة الاستفهام وهي تعني "طلب الفهم"[8]. وهي تدعو عموماً إلى رفع درجة الصوت قليلاً. وحتى سمعت بامرأة هُجيت في البخل؟ فهنا أحالت العلامة إلى المعنى الذي قبلها المستفهم عنه إحالة قبلية.

وهكذا نرى أنّ علامات الترقيم " تختص بالدلالة على شكل المعنى وصورته والوقف على ما تم معناه، وانقطاع ما بعده أو الاكتفاء بما تم الوقف عليه، والابتداء بما بعده، وأكثر ما يكون ذلك في الجملة"[9]. وبيّنا من خلال النص السابق كيف أدّت علامات الترقيم دوراً بيّناً في الإحالتين (السابقة و اللاحقة) فضلاً عن الربط في الجملة.

---

[1] - المرجع السابق، ص 21.
[2] - أوكان، عمر، دلائل الإملاء وأسرار الترقيم، ص106.
[3] - الحسين، د. أحمد جاسم، الإملاء والتحرير العربي، ص22.
[4] - أوكان، عمر، دلائل الإملاء وأسرار الترقيم، ص 117.
[5] - الحسين، د. أحمد جاسم، الإملاء والتحرير العربي، ص23.
[6] - زرقة، أحمد، لغة الكتابة، ص283.
[7] - فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته (2)، (نظام النص التخاطبي _ الإحالي)، ص120.
[8] - المرجع السابق، ص278.
[9] - المرجع السابق (2)، ص 287.

نتائج الفصل الثالث:

1-أكثر عناصر الإحالة الإشارية تواتراً في نصوص البخلاء هو ما دلّ على البعد (ذلك)، ثمّ جاء العنصر الإحالي الإشاري الدال على القرب (هذا) في الدرجة الثانية، ولوحظ شيوع العنصر الإشاري الدال على البعد في القصص أولاً، ثم في الرسائل، في حين شاع العنصر الإشاري الدال على القرب في النوادر، وهذا يؤكّد لنا قرب عهد الجاحظ بتلك النوادر التي ساقها، ولا سيّما أنّه خصّها في الفرس والبخلاء المغالين، وهذا ما يعزّز دفاع الجاحظ عن العرب وبعدهم عن هذه الصفة الذميمة مقارنة بالفرس، ومن هنا جاء استخدامه العنصر الإشاري الدال على البعد في قصصهم.

2-أكثر الروابط الإحالية الإشارية تواتراً في نصوص البخلاء كانت في القصص، وشيوعها في القصص يعود إلى احتوائها على العنصر الحكائي، ووجود العنصر الحكائي يقود إلى كثرة الجملة الفعليّة ومن ثم فقد كثرت الإحالة الإشارية عما يحكى عنه، وعمن يسند إليه القيام بهذه الأفعال.

3-أكثر الروابط الإحالية الإشارية تواتراً في القصص، كانت في قصص البخلاء الحكماء الواعظين وهي (قصة أسد بن جاني، قصة أبي سعيد المدائني، قصة تمام بن جعفر) وقصص البخلاء النفسية وهي (قصة الحزامي، وقصة أبي جعفر الطرسوسي، وقصة

الكندي) وهذا يعود إلى حاجة هذه القصص دون سواها إلى الإقناع وإقامة الحجة والبرهان على السامع، والتأثير فيه من خلال الوعظ والإرشاد بنماذج من البخلاء.

4- أكثر الأسماء الموصولة تواتراً في نصوص البخلاء هو (ما)، ثم جاء الاسم الموصول (مَنْ) في الدرجة الثانية، ولوحظ شيوع الاسم الموصول (ما) في الرسائل أولاً ثمّ في القصص، ثم في النوادر، وهذا الشيوع الملحوظ له في (الرسائل) يعود فيما نحسب إلى تميّزها باستخدام بنية الشعر، والأمثال العربية، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف في أجزاء كثيرة منها، تدعيماً لفكرته التي يناقشها.

5-أكثر الضمائر تواتراً في نصوص البخلاء هو ضمير (الغائب)، ثم جاء ضمير المتكلم في الدرجة الثانية، وفي الدرجة الثالثة جاء ضمير المخاطب، فالضمير المحيل إلى الغائب هو الذي قام بوظيفة الربط بين الفقرات، فلا تخلو منه فقرة في أي نص من النصوص المدروسة، والضمير المتكلم أذهب الفوارق الزمنية داخل النص، وغاص في أعماق النفس الإنسانية في النصوص التي شاع فيها، والضمير المخاطب وظفّ الزمن الحاضر والمستقبل عند المتلقي.

6-غلب على الضمائر المنفصلة اقترانها بواو الحال في الأغلبية العظمى من النصوص، وهذا البناء له دوره ودلالته على صعيد الإحالة؛ فقد أدّت هذه البنية وظيفة محددة هي وظيفة الإيضاح أو البيان ليس لأمرٍ مبهمٍ؛ لأن الضمير المشير إلى المتقدم ذاته غاية في الإبهام، ولكنه يصل بين الاسم الظاهر المتقدم وما يليه.

7-أدّت الضمائر دوراً مهماً في تحقيق التماسك والربط على مستوى الجملة الواحدة، وعلى مستوى النص، لأن الربط قد تعدّى حدود الجملة الواحدة إلى الجملتين أو أكثر، وكذلك تجاوزت الضمائر حدود النص الواحد، لتربط النصوص بعضها ببعض.

8-أكثر أدوات العطف تواتراً في نصوص البخلاء هي (الواو) ثم جاءت الفاء في المرتبة الثانية، ومن ثم جاءت (ثمّ) في المرتبة الثالثة.

9-أسهمت الواو في الربط بين العناصر السابقة واللاحقة في النصوص من خلال الربط بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، أو الربط بين أجزاء النص، ومن ثم الربط بين النصوص.

10-أكثر الروابط العطفيّة تواتراً في نصوص البخلاء كانت في القصص ثم في الرسائل ثم النوادر، وهذا له مؤشر دلالي يمكننا تفسيره بأن القصص اعتمدت على حشد الأخبار بشكل تراكمي قائم على مقدار التشابه في الوصف التحليلي لنفسية البخلاء، فالتحليل النفسي يتطلب من الكاتب استخدام أدوات العطف التي تساعده في إيصال المعنى أكثر من الأدوات الأخرى، فعلى طريق الاستقصاء لا يذكر الجاحظ خبراً واحداً، ولكنه يذكر أكثر من خبر، ويقدّمها مجتمعةً في نفس الإطار مستغلاً أدوات الوصل.

11-أكثر المقارنة تواتراً في النصوص المدروسة هي المقارنة الخاصة ولا سيّما مجيء اسم التفضيل متبوعاً بمن، ليبيّن أن شيئاً زاد في صفة نفسه على شيء أخر في صفته فلا يكون بينهما وصف مشترك، في حين جاءت المقارنة العامة في المرتبة الثانية.

12-أكثر أدوات التعريف تواتراً في النصوص هي أل العهدية، في حين جاءت أل الموصولة في المرتبة الثانية، وجاءت أل الجنسية في المرتبة الثالثة. فزادت أل العهدية بذلك من التماسك والترابط بين أجزاء وجمل النصوص؛ فالكلمة الثانية المعرّفة بأل هي بمنزلة الضمير، والكلمة المحال إليها أو النكرة السابقة، بمنزلة مرجعه، ولا يفهم الضمير إلاّ بمعرفة مرجعه، وأل هي الرابطة بينهما.

13-اتفاق النصوص جميعها التي ينهض عليها كتاب البخلاء (قصص، رسائل، نوادر) في الترتيب الكمي لنسبة تواتر الأنماط التكرارية فيها.

14-سيطر التكرار بأنماطه المختلفة على نصوص البخلاء سيطرةً واضحة؛ إذ باتت هذه الوسيلة الاتساقية متحكمّة أشدّ التحكمّ في النسيج النصّي، فبدت الألفاظ والعبارات مكررة بكثرة لازمة ولافته للانتباه، ممّا صبغ الكتاب بصبغة خاصة ميّزته عن النصوص التراثية الأخرى.

15-أسهم التكرار في تعزيز الترابط الإحالي بين العناصر المتكررة والبنى النصيّة التي ترد فيها، وذلك بالإحالة إلى العنصر الإشاري المذكور أول الأمر في النص، وإعادة ذكره مرةً أخرى في مقام الحاجة السياقية إليه، ممّا يزيد النص تماسكاً شكلياً و انسجاماً دلالياً، إلى جانب استحضار العنصر الإشاري وتقليبه في صور مختلفة من العبارة، فالعناصر المتكررة تُسهم في تواشج جمل النص، فضلاً عن منحها تتابعاً شكلياً وفاعلية دلالية، كما أنها ترتبط بالعناصر الإشارية، وترتّد إليها شكلياً ودلالياً، وتشحنها بمزيدٍ من المعاني المستفادة من سياق ورودها؛ لأنها تستلّ دلالات إضافية من سياقاتها الجديدة فتثري دلالات العناصر الإشارية.

16-الإعراب جزء أساسي من اللغة العربية وليس من الممكن الاستغناء عنه؛ وهو ضروري لفهم الكلام العربي؛ فنحن لا نستطيع أن نعرف الفاعل من المفعول، ولا المضاف من المضاف إليه دون تحليتها بحركات الإعراب.

17-أدّت العوامل النحوية دوراً في الإحالة من خلال ضمّها لأجزاء الكلام بعضها إلى بعض، وتعليق بعضها ببعض.

18-للإسناد دورٌ في تحقيق الإحالة، فالمسند يحيل إلى المسند إليه ويرتبط به دائماً، وكذلك شاركته قرائن التخصيص والنسبة والتبعية والرتبة.

19-أدّت علامات الترقيم دوراً بيّناً في الإحالة السابقة واللاحقة، فضلاً عن الربط بين عناصر الجملة الواحدة وبين الجمل.

الفصل الرابع

مقولات في التحليل النّصي للبنية الإحاليّة في نصوص البخلاء

أولاً: التّناص في نصوص البخلاء.

ثانياً: السياق في الرسائل.

ثالثاً: الإحالة في الحكايات.

رابعاً: التماسك النّصي في القصص

(قصة ليلى الناعطيّة).

أولاً: التناص في نصوص البخلاء:

للتناص **المضموني المباشر** في نصوص البخلاء صور عديدة ندرجها على النحو الآتي:

1-ذكر النص المقتبس كاملاً بلفظه:

ومثاله من **الشعر** ذكر بيت شعر **للأسود بن يعفر** في قصة الحزامي[1]:

وقبلَـك مـاتَ الخالـدانِ كلاهمـا عَميـدُ بنـي جَحْـوانَ وابـنُ المضـلّلِ

وقولُ **أبي الشمقمق** في قصة الحارثي[2]:

رأيـتُ الخبـزَ عـزَّ لـديك حتَّـى حسـبتُ الخبـزَ فـي جـوّ السّـحابِ

ومـا روّحَتنـا لتـذبَّ عنّـا ولكـن خفِـتَ مرزئـة الـذُّبابِ

وقول **الأعشى** في قصة محمد بن أبي المؤمل[3]:

وكـأسٍ شـربتُ علـى لـذّةٍ وأخـرى تـداويتُ منهـا بهـا

وذكر الجاحظ بيتاً من الشعر كان ينشده الثوري والبيت **للشنفرى** [4]:

إذا ضرَبوا رأسي وفي الرأس أكثري وغـودِرَ عنـدَ الملتقَـى ثَـمّ سـائري

وقال **ثوب بن شَحْمه العنبري** في امرأته الهمدانيّة [5]:

وحـديث مالجَـةَ التـي حـدّثتني تـدعُ الإنـاءَ تشـرُّباً للقـادِم

"كان للإرث الكبير للشعر في نفوس العرب وولعهم به أكبر الأثر في تواجده على الساحة الأدبية"[6]. لقد أدرج الجاحظ أشعاراً عديدة في نصوص البخلاء زيّن بها قصصه ورسائله، وهذا الحضور الشعري أو التناص أخذ أشكالاً عديدة، فهناك قصص تناثرت أبيات الشعر بين ثناياها بشكل محدود وذلك عند الانتقال من فكرة إلى أخرى، فكان يصوغ الغرض

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحزامي، (بخل خالد القسري)، ص108. الأسود بن يعفر: شاعر جاهلي من بني حارثة، كان ضريراً ويُكنى أبا الجراح، واسمه الحقيقي: الأعشى بن نهشل، أما اللذان أشار إليهما الأسود في شعره: عميد بن جحوان أبي خالد المهزول، وابن المضلل أي خالد بن نضلة، وقد قتلهما المنذر وهما ينادمانه على الشراب. ينظر الشاهد في: ابن يعفر النهشليّ، الأسود، الديوان، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، مديرية الثقافة العامة، 1970م، ص57.

[2] - المصدر السابق، قصة الحارثي (أبو الشمقمق وخبز جعفر)، ص117. أبو الشمقمق: مروان بن محمد وهو شاعر عباسيّ. ينظر الشاهد في: أبو الشمقمق (مروان بن محمد) الديوان، تحقيق: واضح محمد الصمد، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1995، ص29.

[3] - المصدر السابق، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص 156. ينظر الشاهد في: الأعشى، الديوان، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط7، 1983م، ص23.

[4] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني (لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص168. البيت للشنفرى: وهو ثابت بن أوس الأزدي، من الشعراء الصعاليك الجاهليين، روي عنه أنه حلف ليقتلن مئة رجل من أخصامه فقتل تسعة وتسعين واحتالوا عليه فقتلوه، يريد أنهم إذا ضربوا رأسه مات سائر جسده في ساحة القتال. ينظر الشاهد: الأصفهاني، أبو الفرج (علي بن الحسين)، الأغاني، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1956م، ج136/21.

[5] - الجاحظ، البخلاء، قصة أبي سعيد المدائني، ص 209. ثوب بن شحمة العنبري: شخصيّة جاهليّة، عاصر حاتم الطائي، ويذكر الجاحظ في موضع آخر انه أسره، وظلّ عنده زماناً، ويذكر في موضع آخر انه كان يلقّب بمجير الطير، الجاحظ، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، القاهرة: دار المعارف، ط5، د. ت، ص374. وينظر الشاهد في: الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، طبعة القاهرة: 1980، ص355.

[6] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص 210.

على هيئة أبيات شعرية ثم ينثره كذلك، وكأنّ التكرار هنا لنفس المعنى أداة يؤثر بها الكاتب على قارئه ومثاله من كتاب البخلاء قولُ أبي فاتك[1]:

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيْفَن فأودَى بما يُقرَى الضيوفُ الضيافنِ

فقد أورد الجاحظ شرحاً لهذا البيت تلاه بصيغة نثرية وهو قوله: "يقول: الأكيل لا يكون إلاّ بالمعاينة، وقد يكون الضيف وإن كان معه الضيفن لا يؤاكل من أضافه، يقول: فأكل الكثير من حيث لا أراه أهون عليّ[2]. وكذلك أورد الجاحظ شعراً في حديثه عن البخلاء ولم يُسمّ قائله و الشعر **لأبي الشمقمق** ثم عّزز الفكرة التي يريد سوقها نثراً[3]:

رأيتُ الخبزَ عزَّ لديك حتّى حسبتُ الخبزَ في جوّ السحابِ
وما روّحتنا لتذبَّ عنّا ولكن خِفتَ مرزئةَ الذُّبابِ

فقال: "ولمَ ذبّ عنهم لعنها الله؟ واللهِ ما أعلمُ إلاّ أنّه شهّى إليهم الطعام، ونّظف لهم القصاع، وفرّغَهم له، وسحّرهم عليه. ثم ألا تركَها تقع في قصاعِهم، وتسقُطُ على آنافهم وعُيونهم؟ هو واللهِ أهلٌ لما هو أعظمُ من هذا. كم ترَوْنَ من مرّةٍ قد أمرتُ الجاريةَ أن تلقيَ في القصعة الذبابةَ والذّبابتين والثّلاث حتى يتقزّزَ بعضُهم، ويكفي اللهُ شرَّه" [4]. وتأتي الأبيات الشعرية فيما عدا ذلك في ثنايا النصوص ليستدلّ بها على معنى قاله نثراً، وهذا كثير في نصوصه، ومثاله رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد فقد قال في يحيى بن خالد: "وقلتم: قد لزم الحثّ على الحقوق والتزهيد في الفضول، حتّى صار يستعمل ذلك في أشعاره بعد رسائله وفي خطبه بعد سائر كلامه، فمن ذلك قوله في **يحيى بن خالد:**

عدوٌّ تِلاد المال فيما ينوُبه مَنوعٌ إذا ما منعُه كان أحزما

ومن ذلك قوله في **محمد بن زياد**:

وخليقتان: تُقىً وفضلُ تحرّم وإهانةٌ، في حقّه، للمال [5]

ومثاله ما جاء في تفسير كلام أبي فاتك" وأعجبُ من كل عجب، وأطرف من كل طريف، أنكم تشيرون عليّ بإطعام الأكلة، ودفعي إلى الناس مالي، وأنتم أترك لهذا منّي فإذا

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، ص 125 (تفسير كلام أبي فاتك).
[2] - المصدر السابق، تفسير كلام أبي فاتك، ص125.
[3] - المصدر السابق، طرائف شتى (البخيل النّفاج)، ص 194. أبو الشمقمق: مروان بن محمد وقد مرّ ذكره. أبوالشمقمق: مروان بن محمد وهو شاعر عباسيّ. ينظر الشاهد في: أبو الشمقمق مروان بن محمد) الديوان، تحقيق: واضح محمد الصمد، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1995، ص29.
[4] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتى (البخيل النّفاج)، ص194.
[5] - المصدر السابق، رسالة سهل بن هارون إلى الثقفي، ص36. محمد بن زياد ربما كان المحدث الملقّب ببؤبؤ. ويحيى بن خالد: هو أكبر الظن محمد بن زياد الزيادي، وكان أديباً وصديقاً لسهل بن هارون. الجاحظ، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، ص279.

زعمتم أنّي أكثر مالاً، وأعدّ عدةً فليس بين حالي وحالكم في التقارب أن أُطعم أبداً، وأنتم تأكلون أبداً... بل أنتم كما قال الشاعر:

يحبُّ الخمرَ من مال النّدامَى ويكره أن تفارِقَه الفُلوسُ [1]

وقد يستعمل الكاتبُ الأشعار لعرض بعض المعاني التي يرغب في تسليط الضوء عليها أو وضعها في البؤرة، نرى مثالاً لذلك قصة الأصمعي: فقد جاء فيها: " كان الحكم بن أيوب الثقفي عاملاً للحجاج على البصرة فاستعمل على العِرق جرير بن بيهس المازني، ولُقب جرير العطرّق، فخرج الحكم يتنزّه، وهو باليمامة، فدعا العطرق إلى غدائه، فأكل معه فتناول دُرّاجه[2] كانت بين يديه، فعزله وولّى مكانه نويرة المازني، **فقال نويرة، وهو ابن عم العطرق:**

قد كان في العرق صَيْد لو قنعت به فيه غنىً لك عن دُرّاجة الحَكَم
وفي عَوارِضَ لا تنفكّ تأكلُها لو كان يشفِيك لحمُ الجُزر من قَرَم
وفي وِطابٍ مُمَلاّهٍ مثّمةٍ فيها الصّريحُ الذي يشفي من القَرَم

فلمّا ولىّ مكانه نويرة بلغة أنه ابن عمّ له فعزله، فقال **نويرة:**

أبا يوسُفٍ لو كنتَ تعرفُ طاعتي ونُصْحي، إذاً ما بعتني بالمحلّق
ولا انهلّ سَرّاقُ العُراقةِ صالحٌ عليّ، ولا كُلّفتُ ذنبَ العطرّق

فذهبت مثلاً [3] ومع بعض الرسائل يصل فيها حجم الشعر إلى النصف تقريباً. والكاتب عندئذٍ لديه مساحة كبيرة ليدعم الأفكار والمعاني التي يسوقها في رسالته، كما أنه يخصص مساحات للشعر فقط دون أن يلجأ إلى صياغتها نثراً.

ومثاله ما جاء في رسالة ابن التوأم: " ما أبطأكم عن البذلِ في الحقّ، وأسرعكم إلى البذل في الباطل، فإن كنتم الشعراء تفضلون، وإلى قولهم ترجعون، فقد قال الشاعر[4]:

قليلُ المال تصلحُه فيبقَى ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وقد قال **الشّماخ بن ضرار**[5]:

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، تفسير كلام أبي فاتك (أعجب العجب)، ص 126. ينظر الشاهد في: الهيثميّ، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، مكتبة القدسي، د. ط، 1994م، فقد أخرج ابن سيرين أن ابن عمر كان يتمثل بهذا البيت (رواه الطبراني).

[2] - طائر أرقط من طيور العراق.

[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة الأصمعي (أبو الأشهب وكثرة الأكل)، ص233قصة الحكم بن أيوب والعطرق، الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص376.

[4] - الضُّبَعِيّ، المتلمّس، الديوان، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربيّة، ط1، 1970م، ص173.

[5] - الشمّاخ بن ضرار: هو معقل بن ضرار بن سنان من بني ذبيان، شاعر مخضرم، قيل إنّ الحطيئة قال في وصيته: أبلغوا الشمّاخ أنه أشعر غطفان. ينظر الشاهد في: الذبياني، الشماخ بن ضرار، الديوان، تحقيق: صلاح الدين الهادي، مصر: دار المعارف، د. ط و د. ت، ص221.

لمـالُ المـرء يصـلحُه فيغْنـي مفـاقرَه أعـفّ مـن القُنـوع

وقال **أحيحة بن الجُلاح**[1]:

استغنِ أو متْ ولا يغرُرك ذو نشَبٍ مـن ابـنِ عَـمّ ولا عـمّ ولا خـال

إنّـي أكِـبُّ علـى الـزَوْراءِ أعمُرُهَـا إنّ الكـريمَ علـى الأقـوامِ ذو المـال[2]

وتأتي قيمة التأثر بالشعر في حديث الجاحظ عن ضروب الطعام عند العرب، فقد استخدم الكاتب فيها الشعر فقط ولم يلجأ للنثر إلاّ فيما ندر، ومنه قوله: "وفي أكل الحيّات يقول ابنُ مُناذر:

فإيـاكُمُ والريـفَ لا تقرُبُنّـه فـإنّ لَديـه الحتـفَ والمـوتَ قاضـيا

وهـم طـرَدوكُم عـن بـلادِ أبـيكُمُ وأنـتم حلُـولٌ تشـتَوُون الأفاعيـا"[3]

"والتناص مع الشعر يحقّق للكاتب استمرارية الماضي في الحاضر من خلال التشابه في التجربة الشعورية التي تنتج أشكالاً مختلفة، بل إنّ استلهام الشعر في إطار نصّ نثري ممّا يتيح للكاتب دعم نصه بنص له قبول ثقافي واجتماعي إلى أبعد مدى، فالشعر ديوان العرب ومبعث فخرهم والشعر يمثّل ثقافة شفاهية عميقة الجذور في الفكر العربي القديم، وليس أدلّ على ذلك من اتجاه الفكر العربي في فترة من فتراته إلى صياغة الشروح في النحو والعلوم في قوالب شعرية، فيما يعرف بالأراجيز، والكاتب باختياره للشعر يعطي ثقلاً فنياً لنصّه، ويحوله إلى نص اكتملت له دعائمه الأدبية ونجح بقبول المتلقي له" [4]. ولم يقتصر الأمر على الأبيات الشعرية، فهناك تناص مضموني مباشر يذكر فيه الكاتب النص كاملاً مع **القرآن الكريم**، ومثاله ما جاء في قصة أهل البصرة من المسجديين: "فقال لها زوجها: أنّى لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله" [5]. تناص مع قوله تعالى: ﴿كلمّا دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾[6].

ومثاله أيضاً قوله: "والنارُ لا تبقي ولا تذر" [7].

تناص مع قوله تعالى: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾[8].

---

[1] - أحيحة بن الجلّاح: شاعر جاهلي من سادات بني الأوس كان ثرياً وبخيلاً. ينظر الشاهد في: البكري، أبو عبيد، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس، وعبد المجيد عابدين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1971مم، ص282.

[2] - الجاحظ، البخلاء، رسالة ابن التوأم، ص275. والزوراء: أرضٌ كان يملكها أحيحة.

[3] - المصدر السابق، ضروب الطعام عند العرب (أكل الحيات)، ص327. ابن مناذر: هو محمد مناذر شاعر بصري تميمي، نقد أبو العتاهية شعره، وقال إنه لا يلحق بالفحول ولا يدخل في طبقة المحدثين. ينظر الشاهد في: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 4/90-91.

[4] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، 222.

[5] - الجاحظ، البخلاء، قصة أهل البصرة من المسجديين (مريم الصناع وحسن تدبيرها)، ص58.

[6] - سورة آل عمران، الآية 37.

[7] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي، ص132.

[8] - سورة المدّثر، الآية 28.

ومثاله أيضاً قوله: "لا تجاودوا الله فإنّ الله جلّ ذكره أجود و أمجد وذكر نفسه، جل جلاله وتقدّست أسماؤه فقال: ﴿ذو الفضل العظيم ﴾[1].

و﴿ ذي الطَّول لا إله إلا هو﴾[2]، وقال: ﴿ ذو الجلال والإكرام﴾[3].

"ويرى بعض الدارسين أن التّناص مع القرآن الكريم له غاية أدبية جمالية لأن أسلوب القرآن الكريم هو أرقى أساليب اللغة العربية، بل يمثل الأسلوب الأمثل لها، هذا بالإضافة إلى ما يضفيه على الصياغة الأدبية من صور وأساليب تزيدها رونقاً وجمالاً، ويبرز إلى جانب الغاية الأدبية الجمالية غاية دينيّة تبرز كثير من المواقف في النص"[4]. وكذلك فإنّ "استلهام معاني القرآن أو آياته بألفاظها يجعل التواصل بين الكاتب والقارئ تواصلاً ناجحاً من هاتين الناحيتين (الجماليّة والعقيدية)، كما أنه يعطي ثقلاً أدبياً لرسالته"[5].

وقد يكون التناص المضموني المباشر الذي يذكر فيه الكاتب النص كاملاً مع **الأحاديث الشريفة**، ومثاله: جاء في قصة الكندي: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق"[6]. وكذلك ما جاء في رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوّا النار ولو بشق تمرة"[7]. وكذلك ما جاء في رسالة ابن التوأم: "قال رسول الله (ص): "إنّ من البيان سحراً"[8]. وكذلك جاء في رسالة ابن التوأم: "قال رسول الله: "خيرُ الصدقة ما أبقت غنىً، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول"[9] وما ذكرناه من غرض التناص مع القرآن سابقاً يندرج على التناص مع الحديث النبوي الشريف. وكذلك قد يكون التناص المضموني المباشر المتمثل في ذكر النص كاملاً مع **الأمثال العربية** ومثاله ما جاء في رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد "لكل شيء قدراً وبوّأ له موضعاً، كما جعل لكل دهرٍ رجالاً ولكلٍ مقامٍ مقالاً"[10].

---

[1] - سورة الحديد، الآية 21، وسورة الحديد، الأية 29، وسورة الجمعة الآية 4.

[2] - سورة غافر، الآية 3.

[3] - سورة الرحمن، الآية 27.

[4] - قيّاس، ليندة، لسانيات النص، ص183.

[5] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص222.

[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي 0شروط الكندي على سكان داره)، ص140، والحديث أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجه عن جابر.

[7] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص253، الحديث أخرجه البخاري ومسلم عن عديّ بن حاتم، ورقم الحديث في البخاري6023وفي مسلم1016. ينظر: ابن حجّاج، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، ط1، 2006م. البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، صحيح البخاري، اعتنى به: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علّوش، مكتبة الرشيد، الرياض: ط2، 2006م.

[8] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص265، والحديث " إنّ من البيان لسحراً " أخرجه البخاري.

[9] - الجاحظ، البخلاء، رسالة ابن التوأم، ص279، الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

[10] - المصدر السابق، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص33.

تناص مع **المثل العربي**: "لكل دهرٍ رجالاً ولكل مقامٍ مقالا"[1]. ومنه أيضاً ما جاء في قصة أهل البصرة من المسجديين: "من الذود إلى الذود إبل"[2]. ومثاله أيضاً ما جاء في حديث خالد بن يزيد" أغار علي الأسواري على بعض ما بين يديه واغتنم الظلمة، وعمل على أنّ الليل أخفى للويل، ففطن له"[3]. فقد تناص قوله مع **المثل العربي** "الليل أخفى للويل"[4]. "ويشير التناص مع الأمثال والحكم إلى ذلك الإرث الشفاهي الذي تحمله تلك الرسائل، على ما تعطيه تلك الشفاهية من سهولة في تداولها والأمثال والحكم هي خلاصة تجارب العربي القديم والتي يمثّل الاحتفاظ بها تمسّكه بعنصر مهم من عناصر ثقافته، وهو عنصر يمكن أن نطلق عليه عنصراً شعبياً يؤكد وجوده في الرسائل على حيوية ذلك العمل الأدبي"[5].

2- ذكر الكاتب جزء من النص المقتبس بلفظه: ومثاله من **الشعر** ما أورده الجاحظ في قصة الكندي من شعر **لعنترةَ** دون أن يصّرح باسمه ومكتفياً بشطر من البيت الشعري: "والكُفرُ مَخْبَثةٌ لنفس المُنْعِمِ"[6].

والشطر الأول من معلقته هو: "نبئتُ عمراً غير شاكر نعمتي".

ونذكر مثاله من الشعر أيضاً ما أورده الجاحظ في قصة أسد بن جاني من شعر **للأعشى** مكتفياً بشطرٍ منه: "والبِطنَةُ ممّا تُسَفّه الأحلاما"[7].

وكذلك مثاله ما جاء في قصة أبي سعيد المدائني من شعر **لرافع بن هَريم** فقد أورد البيت مجزوءاً من شطره الأول:

..... تحلب قاعداً وتملج أحياناً وقعبُكَ حاضرُ[8]

---

[1] - الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، حققّه: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار المعرفة، د. ط و د. ت 202/2.

[2] - الجاحظ، البخلاء، قصة أهل البصرة من المسجديين (مريم الصناع وحسن تدبيرها)، ص58 أورده الجاحظ على أنه حديث شريف مرفوع إلى رسول الله والصواب أنه مثل، انظر: العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطايش، المكتبة العصرية، ط1، 2003م، 229/2 وأورده الميداني في مجمع الأمثال بلفظ: (الذود إلى الذود إبل) 288/1.

[3] - المصدر السابق، حديث خالد بن يزيد، (التفنن في البخل)، ص94.

[4] - الميداني، مجمع الأمثال، 193/2.

[5] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص223.

[6] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي (شروط الكندي على سكان داره)، ص142. ينظر الشاهد في: ابن شدّاد، عنترة، الديوان، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، 1964م، ص172. والشطر الثاني من البيت: والكُفر مخبثة لنفس المنعمِ.

[7] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني 0لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص170. الأعشى، الديوان، شرح: محمد محمد حسين، ص26. والبيت بتمامه: يابني المنذر بن عبدان والبطنة يوماً قد تأفن الأحلاما.

[8] - المصدر السابق، قصة أبي سعيد المدائني، ص210. رافع بن هَريم: شاعر جاهلي لم يصل إلينا من شعره سوى أبيات قليلة. ينظر الشاهد في: القالي، أبي علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب المصرية، 1926م، 106/1. والشطر الأول منه: إن كنت تحلب قاعداً.

أما مثاله من **القرآن الكريم** فنذكر ما جاء في قصة أسد بن جاني" وقد قال الله جلّ ذكره "ولا تقتلوا أنفسكم" وسواء قتلنا أنفسنا أو قتل بعضنا بعضاً كان ذلك للآية تأويلاً"[1]. فقد تناص قوله مع الآية الكريمة ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ [2]. ومثاله من **الحديث الشريف** ما جاء في قصة الكندي: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصيّة المرء يوم فقره وحاجته وقبل أن يغرغر "الثلث، والثلث كثير" فاستحسنت الفقهاء، وتمنى الصالحون أن نغض من الثلث شيئاً، لاستكثار رسول الله (ص) الثلث، ولقوله: "إنك إن تدع عيالك أغنياء خير من أن تدعهم عالةً يتكفّفون الناس" [3] فقد تناص مع حديث رسول الله "عن سعد بن أبي وقاص ومنه: قلت يا رسول الله أوصي بمالي كله؟ قال: لا، قلت: فالشطر؟ قال: لا، قلت: الثلث؟ قال: فالثلث، والثلث كثير..."[4]. وكذلك مثاله ما جاء في قصة أسد بن جاني: "أي بنيّ لِمَ صار الضبّ أطول شيءٍ عمراً، ولِمَ زعم الرسول (ص) أن الصوم وجاء" [5]. تناص مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بالباءة (أي النكاح) فمن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[6]. ومثاله أيضاً: ما جاء في رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي من قوله: "وجاء في الأثر: أنّ أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة" [7]. فقد تناص مع الحديث الشريف: "إن أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة" [8].

ومثاله من **الأمثال العربية** ما جاء في أحاديث البخلاء "كما قال العربي: "أنا تئق وصاحبي مئق"[9]. وهو تناص مع المثل: "أنت تئق وأنا مئق فمتى نتفق؟"[10].

3-**ذكر الكاتب النص المقتبس أو جزءاً منه مع التغيير في لفظه:** وهو كثير في **الحديث الشريف والقرآن الكريم والأمثال العربية** أمّا في الشعر فلا نكاد نجد له أثراً. ومثاله من **الحديث الشريف** ما جاء في رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد "لو أتيتُ بذراع لأكلت ولو دُعيت إلى كراع لأجبت"[11]. فالحديث ورد بلفظ: "لو أهدي إليّ كراع لقبلت ولو

---

[1] - المصدر السابق، قصة أسد بن جاني (لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها)، ص170.
[2] - سورة النساء، الآية 29.
[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي (شروط الكندي على سكان داره)، ص 145.
[4] - أخرجه البخاري بحاشية السندي، دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي 125/2 باب الوصايا، وفي صحيح البخاري كتاب الوصايا، الحديث رقم 2555.
[5] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي (شروط الكندي على سكان داره)، ص172.
[6] - أخرجه البخاري في كتاب الصوم، ومسلم في كتاب النكاح.
[7] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص253.
[8] - أخرجه الطبراني (سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم) في الكبر.
[9] - الجاحظ، البخلاء، الرجوع إلى أحاديث البخلاء (اللسان يكذب والحال لاتكذب)، ص310.
[10] - التئق: السريع إلى الشر، والمئق: السريع إلى البكاء، الميداني، مجمع الأمثال، 30/1، و العسكري، جمهرة الأمثال، ، 96/1.
[11] - المصدر السابق، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص32.

دعيت عليه لأجبت"[1]. ومنه أيضاً ما جاء في نفس الرسالة: قد قال النبيّ (ص): "إذا طبختم لحماً فزيدوا في الماء، فإن لم يُصب أحدكم لحماً أصاب مرقاً"[2]. ومنه كذلك ما جاء في قصة الحارثي: قال رسول الله (ص): سيّد الطعام الثريد، ومثل عائشة في النساء مثلُ الثريد في الطعام"[3]. الحديث ورد بلفظ: "فضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[4]. ومثاله من **القرآن الكريم** ما جاء في رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد "وقد جعل الله عزّ وجل لكل شيء قدراً وبوّأ له موضعاً"[5]. تناص مع قوله تعالى: ﴿إنّا كل شيء خلقناه بقدر﴾[6]. وكذلك ما جاء في نوادر أهل خراسان: "فهذا هو الخسران المبين الذي سمعت به"[7]. تناص مع قوله تعالى: ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾[8]. ومنه جاء أيضاً ما جاء في قصة أهل البصرة من المسجديين: "ماء بئرنا كما قد علمتم، مالحٌ أجاج"[9]. تناص مع قوله تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً﴾[10]. ومنه أيضاً ما جاء في قصة محمد بن أبي المؤمل: "لظننت أنه سيأتي على الحرث والنّسل"[11]. تناص مع قوله تعالى: ﴿يهلك الحرث والنسل﴾[12]. ومثاله من **الأمثال العربية** ما جاء في رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد: "وقالوا: لا جديد لمن لا يلبس الخَلَق"[13]. تناص مع المثل العربي: "لا جديد لمن لا خَلَق له"[14]. ومن ذلك أيضاً ما جاء في نفس الرسالة: "قال ابن سيرين" تحسبها خرقاء وهي صَناع" [15]. تناص مع المثل العربي: "تحسبها حمقاء وهي باخس"[16]. ومنه أيضاً ما جاء في تفسير كلام أبي فاتك: "وإلاّ فإنكم تحلبون حلباً لكم شطره"[17]. تناص مع **المثل العربي**: "حلب الدهر أشطره"[18]. ومنه أيضاً

---

[1] - رواه أحمد والترمذي.
[2] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص32. الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك.
[3] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحارثي (لقمة الدرداء)، ص120.
[4] - رواه البخاري عن أنس 296/3 كتاب الأطعمة.
[5] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ، ص32.
[6] - سورة القمر، الآية 49.
[7] - الجاحظ، البخلاء، نوادر أهل خراسان (كذب بكذب)، ص53.
[8] - سورة الزمر، الآية 15 وسورة الحج الآية 11.
[9] - الجاحظ، البخلاء، قصة أهل البصرة من المسجديين، (الحمار والماء الأجاج)، ص56.
[10] - سورة الفرقان، الآية 53.
[11] - الجاحظ، البخلاء، قصة محمد بن أبي المؤمل، ص152.
[12] - سورة البقرة، الآية 205.
[13] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص33.
[14] - العسكري، جمهرة الأمثال، 295/2.
[15] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص36.
[16] - أي تظن أنها حمقاء لا تحسن العمل وهي حاذقة، الميداني، مجمع الأمثال، 123/1.
[17] - الجاحظ، البخلاء، تفسير كلام أبي فاتك (أعجب العجب)، ص126.
[18] - العسكري، جمهرة الأمثال، 292/1.

ما جاء في رسالة أبـي العـاص إلـى الثقفي: "قـالوا: الغمـرات ثـمّ ينجلينـا"[1]. تنـاص مـع المثل العربـي: "غمـراتٌ ثـمّ ينجلـينَ"[2]، أمـا **التنـاص المضـموني غيـر المباشـر** فيـأتي علـى صورتين:

1-**تضمين معنـى النـص المقتبس بـذكر لفظـة محوريـة فيـه تـدل عليـه:** وأكثـر مـا نجـده فـي التناص مع **القرآن الكريم**، ومثالـه مـا جـاء فـي رسـالة سـهل بـن هـارون إلـى محمد ابـن زيـاد: "وبوّأ له موضعاً" [3] تناص غير مباشر مع قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكـان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والرّكع السجود﴾[4]. ومنه أيضاً قولـه فـي قصـة أهل البصرة من المسجديين: "وقد علمتُ أنّ الله، عزّ وجلّ لم يحرّم من الدم المسفوح إلاّ أكلـه وشربه"[5]. تناص غير مباشر مع قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزيـر﴾[6]. ومنه أيضـاً مـا جـاء فـي حديث خالـد بـن يزيـد: "فلمـا أعجـزه ذلـك جلده حدّ الزانـي الحرّ"[7]. تناص غير مباشـر مـع قولـه تعـالى: ﴿الزانيـة والزانـي فاجلدوا كل واحدٍ منهمـا مئـة جلدة﴾[8]. ومنه أيضاً ما جاء في نفس الحديث: "فجلده ثمانين جلدة، جلد القـاذف الحـرّة"[9]. تنـاص غيـر مباشر مع قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعـة شـهداء فاجلدوهم ثمـانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾[10].

ومنه أيضاً ما جاء في قصـة الأصـمعي: "أسمعتم بالقسمة الضـيزى"[11]. تنـاص غيـر مباشر مع قوله تعالى: ﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾[12]. وكذلك مـا جـاء فـي قصـة الكندي: "ومـن مال جمّ أريد دفنـه" [13]. تنـاص غيـر مباشـر مـع قولـه تعـالى: ﴿وتحبّون المـال حبّـاً جمّـاً﴾[14]. وكذلك ما جاء في قصة الحزامي: "فالتمستم تهجينهم بهذا اللقب، وأدخلتم المكر عليهم بهذا النبز"[15]. تنـاص غيـر مباشـر مـع قولـه تعـالى: ﴿ولا تنـابزوا بالألقـاب﴾[16] وكذلك ماجـاء فـي

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص255.
[2] - الميداني، مجمع الأمثال، 58/2.
[3] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص33.
[4] - سورة الحج، الآية 26.
[5] - المصدر السابق، قصة أهل البصرة من المسجديين (وضع الأمور مواضعها)، ص63.
[6] - سورة المائدة، الآية 3.
[7] - الجاحظ، البخلاء، حديث خالد بن يزيد (يجلده على إنضاج الخبز)، ص92.
[8] - سورة النور، الآية 2.
[9] - الجاحظ، البخلاء، حديث خالد بن يزيد (جدي مقام جديين)، ص93.
[10] - سورة النور، الآية 4.
[11] - الجاحظ، البخلاء، قصة الأصمعي، ص220.
[12] - سورة النجم، الآية 22.
[13] - الجاحظ، البخلاء، قصة الكندي (شروط الكندي على سكان داره)، ص133.
[14] - سورة الفجر، الآية 20.
[15] - الجاحظ، البخلاء، قصة الحزامي (لا المفسد ينجو ولا المصلح يسلم)، ص107.
[16] - سورة الحجرات,الآية11.

قصة محمد بن أبي المؤمل"أكبر أمر هذه السمكة" [1] تناص غير مباشر مع قوله تعالى: ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾[2].

"والسّمة المميّزة هنا أنّ الكاتب يأخذ جزءاً من معنى النص المقتبس فقط – وهو المرتبط بالكلمة المحورية – ويخضعه لإطار المعنى في نصه هو، وهذا له دلالته: فهو يستحضر سياق النص ومعناه في ذهن المتلقي بمجرد ذكر تلك الكلمة، وفي نفس الوقت يؤدي الاعتماد على تلك التقنية إلى التكثيف وعدم الإسهاب، فهو يستفيد من المعنى كله بأقل لفظ، تاركاً لنفسه مساحة أكبر للإبداع في إطار وجود هذا المعنى، ويشترط في هذا النوع من التناص أن تكون النصوص المقتبسة من تلك النصوص الأكثر انتشاراً، كالقرآن الكريم، وذلك دليل على المسحة الدينيّة التي ميّزت أسلوب هؤلاء الكتاب"[3].

2-الصورة الثانية للتناص غير المباشر تكون بذكر مسمى صاحب النص أو الموقف المراد أخذ أو تضمين معناه: وأكثر ما نجده في التناص مع الأسماء ومثاله ما جاء في قصة أحمد بن خلف: "ولولا أن أكون سبباً لتلف نفسك، لعلّمتك الساعة الشيء الذي بلغ به قارون وبه تبنكت خاتون"[4].

ومنه أيضاً ما جاء في نفس القصة: "ولأنا أهدى من القطا ومن دعيمص ومن رافع المخِش"[5].

ومنه أيضاً ما جاء في رسالة أبي العاص إلى الثقفي: "فما رأينا عربّياً سّفه حلم حاتم بجوده بجميع ماله، ولا رأينا أحداً منهم سفّه حلم كعبٍ على جوده بنفسه. بل جعلوا ذلك من كعبٍ لإيادٍ مفخراً، وجعلوا ذلك من حاتم لطيء مأثرة، ثم لعدنانَ على قحطان"[6]. ومنه أيضاً ما جاء في بيت الشعر الذي قاله **النمر بن تولب**:

هــلاّ ســألتِ بعاديــاء وبيْتِــهِ والخيــلِ والخمــرِ التــي لــم تمنــع[7]

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، قصة محمد بن أبي المؤمل، 157.

[2] - سورة يوسف، الآية 31.

[3] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص232.

[4] - الجاحظ، البخلاء، حديث خالد بن يزيد، ص80. تبنكت خاتون: تمكنت من عزها، وخاتون: قيل إنها ملكة بخارى، وتطلق على أميرات المغول وعلى المرأة الشريفة وهي لفظة فارسية.

[5] - المصدر السابق، حديث خالد بن يزيد، ص79. ودعميص كان داهياً يضرب به المثل، ورافع المخش هو رافع بن عمير كان دليلاً ماهراً ولقّب بالمخشّ لجرأته.

[6] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص241. وكعب هنا هو" كعب بن مامة الإيادي يضرب به المثل في جوده لأنه في ساعة العطش القتّال سقى صاحبه ما لديه من الماء ومات عطشاً.

[7] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص251. السموأل بن عادياء: يهودي صاحب المعروف بالأبلق، يضرب به المثل في الوفاء لأنه فضّل قتل ابنه على التفريط بأمانة أودعها عنده امرؤ القيس. ينظر الشاهد في: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 157/19.

ومنه ما جاء في أحاديث البخلاء "ولو استطعتُ أن أجعَلَ دونه ردماً كردم يأجوج ومأجوج لفعلت"[1]. ومنه أيضاً: "أعلمت أن ناووس أبرويز أمدحُ له من شعر زهير لآل سنان بن أبي حارثة"[2].

ومنه أيضاً: "قيل: لديسموس: تأكل في السوق؟ قال: إن جاع ديسموس في السوق أكل في السوق"[3].

"وتفسير هذا التناص ربما يرجع إلى رغبة الكتّاب في إحياء التاريخ وما به من شخصيات قديمة وتقاليد و محاولة بث روحها في ثنايا الحاضر وهي رغبة تنطوي في جانب كبير منها على نزعة إصلاحية"[4].

"ويمثل تناص الأسماء على كثرته في بعض النصوص وخاصة في الرسائل حجم الإدراك الواعي لهؤلاء الكتاب بثقافتهم، فهو عندما يذكر اسماً، فهو يذكر جُماع تجارب وأشعار ومواقف تحسب لهذا الشخص، وتحوله إلى رمز يمثل التلفظ باسمه استدعاء لكل ذلك، فالطائي رمز للكرم... إن مجرد ذكر هذه الأسماء يعطي للرسالة امتدادات أخرى غير مقروءة، هي محسوسة في نفس المتلقي الذي يمثل وعيه بتلك الأسماء مشاركة منه في صياغة بعض أجزاء الرسالة، ويعني هذا أن ذكر تلك الأسماء من منطلق التناص كان مرتبطاً بمتلقٍ واع مثقف، يستطيع بوعيه الثقافي هذا أن يكمل ما تركه الكاتب له عن عمد"[5].

يتّضح لنا من خلال ما تقدّم عرضه لأشكال التناص، أنّ أول قصد من مقاصد الجاحظ كان إظهار مقدرته الأدبية من خلال تعدد مصادره الثقافية، التي اقتحمت النسيج اللغوي لنصوصه، فجاءت ملفوظات مقتطعة من نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي والأمثال والشعر والأسماء، وشكلت فسيفساء من نصوص أخرى، وقد أدمجت بصور مختلفة، وبتقنيات عالية الكفاءة. ونعرض فيما يأتي جدولاً يبيّن التوزع الكمي للتناص بصوره المختلفة، وبمصادره المتعددة (الشعر، القرآن، الحديث الشريف، الأسماء، المثل) في نصوص البخلاء للجاحظ:

توزع التناص في نصوص البخلاء للجاحظ

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، أحاديث البخلاء (اللسان يكذب والحال لا تكذب)، ، ص312. يشير إلى السّد الجبّار الذي زعم الأقدمون أن الإسكندر بناه لحماية شعب يأجوج ومأجوج الذي استنجد به.

[2] - المصدر السابق، أحاديث البخلاء (اللسان يكذب والحال لا تكذب)، ، ص309. أبرويز هو ابن هرمز أحد ملوك الفرس والناووس قبر النصارى.

[3] - المصدر السابق، ، رسالة ابن التوأم، ص284. وديسموس هو يوناني اشتهر بنوادره العجيبة.

[4] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص232.

[5] - المرجع السابق، ص223.

نوع النص		عنوان النص	مصادر التناص					
			القرآن	الحديث	الشعر	الأسماء	الأمثال	المجموع
رسائل		رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد	2	3	3	5	3	16
		رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	10	22	14	9	12	67
		رسالة ابن التوأم	9	16	34	24	27	110
		المجموع	21	41	51	38	42	193
نوادر		نوادر أهل خراسان	2	1		1		4
		نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتّى)	2		2			4
		نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	1	1	4	15	6	27
		المجموع	5	2	6	16	6	35
قصص	بخلاء الجمع والمنع	قصة أهل البصرة من المسجديين	3				1	4
		قصة ليلى الناعطية						
		قصة ابن العقدي	1					1
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد		1				1
	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	1			4		5
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	2				2	4
	البخلاء النفسية	قصة أبي جعفر الطرسوسي						
		قصة الحزامي	2		1		1	4
		قصة الكندي	2	3	2		1	8
	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي		1	3	3		7
	البخلاء الشراهوالط	تفسير كلام أبي فاتك			2		1	3
		قصة الأصمعي	2	1	2	4		9

	فيليين							
	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	2		1	6		9
	البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أسد بن جاني	1	2	3	1		7
		قصة أبي سعيد المدائني			2			2
		قصة تمام بن جعفر		2	1			3
		المجموع	16	10	17	18	6	67
		ضروب الطعام عند العرب		3	123	13	1	140
		المجموع العام للتناص في النصوص	42	56	197	85	55	435

جدول (9)

ومن قراءة الجدول السابق يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1-كان التناص في الرسائل أكثر وروداً من حيث الكم من النوادر والقصص، ويمكننا تفسير ذلك بطبيعة الرسائل التي تناولت أغراضاً مثل المعاتبة والشكوى كما في رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، حين ذموا مذهبه في البخل، وتتبّعوا كلامه في الكتب، والذم والتشنيع كما في رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي، وجواب ابن التوأم عليه في موضع الدفاع عن نفسه، كلّ ذلك أسهم في زيادة التناص في الرسائل، وأكثر ما زادت كميّة التناص في ردّ ابن التوأم على رسالة أبي العاص، فقد حاول فيها الكاتب إظهار براعته وتفوقه الأدبي على الرسالة الأولى، ناهيك عن اعتماده على التناص مع الرسالة الأولى.

2- كان التناص في القصص الأكثر وروداً من حيث الكم بعد الرسائل، ويمكننا تفسير ذلك باعتماد القصص على بنية الحكاية، فقد انقسمت كل قصة إلى عناوين جزئية، وكل عنوان جزئي يمثّل بحدّ ذاته حكاية تتناول هذا البخيل أو ذاك، فعلى سبيل المثال نجد في قصة أحمد بن خلف العناوين الجزئية التالية: (أجهز على الجرحى، صالح بن عفان وصاحب الحّمام، يطعم لوجه الله) ونجد في قصة أهل البصرة من المسجديين العناوين الجزئية التالية: (الحمار والماء الأجاج، مريم الصناع وحسن تدبيرها، الغذاء بالنخالة، مذاكرة الرجال تلقح الألباب، وضع الأمور مواضعها). وهكذا في بقية القصص، فالعنوان الجزئي يمثّل حكاية مستقلة، لها بداية ونهاية، وحبكة، وشخصيات، وزمان ومكان، وهذا التوظيف للحكاية له ما يبرّره لدى الكاتب فهو يستغل الميل الفطري لدى الإنسان لحب الحكاية، فتصبح الحكاية وسيلةً تجذب القارئ، من بداية القصة وحتى نهايتها، ولاسيما أن جميع الحكايات التي تندرج ضمن قصة من القصص تتناول شخصيته واحدة من البخلاء سّميت القصة باسمه، كما أن الحكاية وسيلة

للإقناع لاعتمادها على حقائق مّما يدعم غرض الكاتب من تأليف الكتاب؛ وهو الدفاع عن العرب في وجه الفرس الذين ذموّا مذهبهم في الكرم، ومن ناحية أخرى تحمل الحكايات دعوة إصلاحية للتخلي عن هذه العادة الذميمة (البخل) والتي شاعت في عصر الكاتب.

3-أكثر مصادر التناص تواتراً في نصوص البخلاء من حيث الكم، كان الشعر، فقد شكّل الكم الأكبر في الرسائل والنوادر والقصص، وهذا التواتر له ما يبرره، فالتناص بالشعر العربي مثلاً يحقق نظرة الكاتب إلى التفاعل بين الحاضر والماضي، فيرى أنّ الحاضر ينبغي أن يغيّر من الماضي بقدر ما يّوجه الماضي الحاضر.

ثانياً: السّياق في الرسائل:

هناك عوامل سياقيّة تؤدي إلى ظهور النص، وهناك عوامل تصاحبه وقت حدوثه، وأخرى تعقبه ومن ثم فهناك ثلاثة محاور أساسية للسّياق هي:

1-السّياق السابق.

2-السّياق المصاحب.

3-السّياق اللاحق[1].

"ويشير "**السياق السابق**" إلى مفردات الموقف الاجتماعي التي تمخّض عنها النص والجوانب الثقافيّة لأطراف الخطاب، ويعبّر "**السياق المصاحب**" عن البيئة اللفظيّة للنص أو الأداء الصوتي المصاحب له من نبر وتنغيم.

كما يعبّر عن الأداء السيميولوجي المصاحب من إيماءات وحركات للجسد، وفي النص المكتوب يمكن تحديد عناصره من خلال أساليب لغويّة أخرى مثل الحوار والجمل الاعتراضية (التي يرتبط وجودها بوجود المتلقي الضمني أو المستمع المفترض) وأساليب السجع والجناس الدالة على وجود أداء صوتي خاص للنص.

أما "**السياق اللاحق**" فيدل على ما أدّى له النص من تغيير في النواحي الاجتماعية والأيديولوجية "مما انعكس أثره على النصوص التالية له أو تصرفات الشخوص المتصلة به"[2]. وستسعى هذه الدراسة إلى إظهار التأثير المتبادل بين النص والسياق في الرسائل التي جاءت في نصوص البخلاء، والكشف عن الجوانب السياقية الممكنة سواء كانت سابقة لها أو لاحقة لها أو تحدّث أثناء أدائها. "فكل إرسال أو (تواصل) يقوم على ثلاثة مقومات أساسية: المرسل والمرسل إليه والرسالة، فالمرسل لا يأخذ هذه الصفة إلاّ إذا اتجه إلى آخر (المرسل إليه) بمعلومة ما (الرسالة) وهذه المقوّمات الثلاثة الأولى تفترض ثلاثة أخرى: لغة أو منظومة علامات أو رموز مشتركة بين كل من المرسل والمرسل إليه، وتصاغ منها

---

[1]- فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص 24.

[2] - المرجع السابق، ص24.

الرسالة، وقناة أو وسيلة اتصال أو إرسال تربط بين المرسل والمرسل إليه، و (عالم) أو مرجع تحيل إليه الرسالة أو تفيد أمراً عنه"[1].

أولاً: السياق السابق:

الرسائل في نصوص البخلاء يمكننا تصنيفها إلى نوعين: رسائل في مدح الكرم و رسائل في ذم البخل. ولدينا أربع رسائل نصيّة اثنان منها جاءت جواباً أو رداً على رسالة سابقة وهما (المقدمة، ورسالة ابن التوأم)" فقد سلك الجاحظ في مقدمته أسلوباً جديداً، حيث كتبها رسالةً موّجهة إليه من صاحب لم يذكر اسمه، "رجاه فيها أن يحدّثه عن البخل ونوادر البخلاء بعد أن حدّثه عن حيل لصوص النهار ولصوص الليل"[2] والجاحظ يشير في طليعة كتابه إلى أنّه قدّمه إلى عظيم من عظماء الدولة، ولكنّه لم يبحْ باسمه، وإننا نرجّح أن يكون الكتاب لواحد من ثلاثة هم: محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق؛ لما كان بينه وبين الجاحظ من صلة وثيقة، والفتح بن خاقان وزير المتوكّل؛لما أثر عن الفتح من الإعجاب بكتب الجاحظ، وحثّه على التأليف في مختلف الشؤون، وابن المدبر وقد كان للجاحظ صديقاً حميماً.

أمّا رسالة (ابن التوأم) فقد جاءت ردّاً على رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي، والتي ذمّ فيها البخل، وشنّ فيها هجوماً على البخلاء ومن بينهم أبو العاص بن عبد الوهاب، فجاء جواب ابن التوأم دفاعاً عن الكرم ومدحاً له، وتعظيماً للكرماء، وتنزيهاً للثقفي عن البخل، وهناك رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد حين ذموا مذهبه في البخل وتتبّعوا كلامه في الكتب. لقد" اهتم الجاحظ بفئات المجتمع الهامشيّة وسردها، اهتمامه بفئاته المركزية، فقد كان يسعى إلى إظهار مفاهيم المجتمع الثقافية وتناقضاتها، فالمجتمع بحسب رأي الجاحظ ليس بنية ثقافية متجانسة؛بل إنّه بنية تحفل بالاختلاف وتمور بالتناقض؛ لذلك راح يفتش في جانب الحياة المعتم، ويستخرج صوراً سرديّة جادة، تفجعنا بقسوتها، وتفاجئنا بوجودها الذي يقيم تعايشاً بين المتناقضات، والانحياز للهامش هو خروج من دائرة المتن المتخم بالتعالي الزائف والبيان الفاسد الذي يثبت صورة نمطية واحدة لمجتمع متعدد ومختلف"[3].

"فعندما يتحدّث الجاحظ عن البخلاء وسردياتهم فإنّ حديثه يستبطن سخرية من الأسخياء وسردياتهم، فما دام لا يستطيع الجهر بفئة الأسخياء وسردياتهم حفاظاً على مصالحه المتعددة أولاً وخشية من سلطتهم ثانياً فإنه يتعرّض للبخلاء ويتخذ منهم مطيّة

---

[1] - فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته (نظم النص التخاطبي– الإحالي)، ص64.
[2] - الجاحظ، البخلاء (نبذة عن البخلاء)، ص13.
[3] - سرحان، د. هيثم، الأنظمة السيميائية، دارسة في السرد العربي القديم، ص247.

يؤسس عبرها خطابه في نقد الأسخياء ومفاهيمهم الثقافية"[1]. وهذا ما انعكس في رسائله التي ذكرنا سابقاً فعبرّت عن ذلك بشكل مباشر كرسالة (ابن التوأم) أو تلمحه بين السطور.

وتبيّن لنا طبيعة العلاقات الاجتماعية في الرسائل الأبعاد النفسية للمتراسلَيْن من المودة والمنزلة، ودرجة القرب والاحترام، وهذا كله ينعكس على اللغة، فهناك لغة تعبّر عن الفوقية أو التعالي، ولغة تعبر عن القرب والتساوي بينهما.

وتكشف لنا الرسائل التي بين أيدينا عن وجود المتلقي في ذهن المرسل، وهو متلق مثالي مطابق لفكرة منتج النص عن نمط الشخص الذي سوف يهتم بقراءة نصّه، وبينهما أمور مشتركة كثيرة اجتماعية وثقافيّة ونفسيّة، فالرسائل التي بين أيدينا تكاد تكون نسخةً طبق الأصل، ما بين الراسل والمرسل، اّللهم إلاّ ذلك الاختلاف الناتج عن كون أحدهما مرسلاً والآخر مستقبلاً واختلاف الموضوع، فكلاهما كاتب وأديب، وكل منهما يراسل الآخر بلغة مشتركة، ويأتي بالبراهين والأدلة ذاتها التي تدعم رأيه، فكل منهما استشهد بالآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف وبالمثل العربي وبالشعر والأعلام، وكل واحدٍ منهما يحاول أن يقيم الحجّة على الآخر بالأسلوب واللغة ذاتها، فهذا يدافع عن الكرم وذاك يذمّ البخل. وتكاد تتساوى الرسالتين في الطول والحجم، وكأنّ كلاً منهما يحاول أن يفحم الآخر بالحجة والبرهان، وينتصر لرأيه ومذهبه في الحياة. والرسالة نصٌ مكتوب يلجأ إليه الكاتب لعمل حوار مع مخاطَبه متجاوزاً حواجز الزمان والمكان. إنّ الرسالة لا تكتمل إلاّ بوجود نص الرسالة التي ُيردّ بها عليها، شأنها في ذلك شأن الحوار الشفاهي الذي لا تكتمل حدود النصية فيه إلاّ بوجود ازدواجية الإرسال والاستقبال بين كل من المتكلم والمستمع" ووجود الآخر أمر أساسي في بناء الرسالة، ليس فقط لأنها موّجهة لهذا الآخر، وإنما لأنّ هذا النص (مع الرسالة الرد) يّمثل حواراً عاماً، وعليه فإنّ الرسالة الواحدة تعتبر قولاً يُنتظر اكتماله بالقول الذي يمثّل الرسالة الأخرى... وهو حوار غير مرئي تتمثل صعوبته في أنّ الكاتب يحاول أن يضع في اعتباره وجوداً للحالة الشعوريّة والذهنيّة للقارئ اعتماداً على التشابه الاجتماعي والنفسي بينهما"[2]. والرسائل[3] التي ساقها الجاحظ في المدوّنة من النوع المرصّع" وسُمّي كذلك لأنّه رصّع بالأخبار والأمثال والأشعار وآيات القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك من النحو والعروض، وحل أبيات القريض"[4]. وهي كذلك من النوع المفصّل" وهو ما فصّل فيه المنظوم بالمنثور فجاء كالوشاح المفصل، فكأنك

---

[1] - المرجع السابق، ص248.

[2] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص33.

[3] - لدينا أربع رسائل في كتاب البخلاء، (المقدمة، رسالة ابن التوأم، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد).

[4] - الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الأندلسي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت: عالم الكتب، ط2، 1985م، ص134–145.

تحس وأنت تقرأ الرسالة بعدم وجود فاصل بينهما، فكلاهما يؤدي إلى الآخر"[1]، "والرسائل من حيث البناء لها تقاليد محددّة، عليها وبها يلتزم الكتاب وتصبح عندهم أموراً لابدّ من إتباعها حتى تصبح الرسالة رسالةً لها قيمتها"[2]، في بداية الرسالة يبدأ بالعنوان وهو ما يدل على الكتاب ممّن هو وإلى من هو وهذا ما رأيناه في (رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد حين ذمّوا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب) وكذلك في رسالة (أبي العاص بن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي).

وتتّفق جميع الرسائل بعد ذلك في أمر الاستفتاح باسم الله أو البسملة، فإذا انتقلنا إلى صدر الرسالة نجده يختلف باختلاف الغرض الذي من أجله كتبت الرسالة، وباختلاف طرفيها فـ(أما بعد) أكثر ما تستعمله الكتّاب في العتاب واللوم، وهو ما رأيناه في رسالة أبي العاص ورد ابن التوأم عليه، وكانوا يستفتحون بالدعاء كما في رسالة المقدمة التي جاءت جواباً على رسالة صديق عزيز، وكذلك في رسالة سهل بن هارون التي وجهها إلى محمد بن زياد إلى بني عمه من آل زياد.

وفي صدر الرسالة قد يشير إلى الغرض من إنشائها وهو ما وجدناه في جميع الرسائل نحو قول أبي العاص في رسالته إلى الثقفي: " فإنّ جلوسك إلى الأصمعي، وعجبك بسهل بن هارون، واسترجاحك إسماعيل بن غزوان، وطعنك على مويس بن عمران... وإكثارك من ذكر المال وإصلاحه و القيام عليه واصطناعه، وإطنابك في وصف الترويج والتثمير وحسن التعهد والتوفير، دليل على خبيء سوء، وشاهد على عيب ودبر بعد أن كنت تستثقل ذكرهم..."[3].

وممّا يجب على الكاتب أن يتحرّى في الدعاء الألفاظ الرائقة والمعاني اللائقة ويتوخى في ذلك ما يناسب الحال، ويشاكل المعنى، ويوافق المخاطب كقول الجاحظ في رسالته الجوابية لصديقة "تولاك الله بحفظه وأعانك على شكره، ووفقك لطاعته، وجعلك من الفائزين برحمته ذكرتَ –حفظك الله –...."[4].

فنلحظ أن استخدام الجاحظ الدعاء لصديقه بـ"حفظك الله" يناسب المقام، فالصديق قد أعجب بكتاب الجاحظ (حيل لصوص النهار وحيل سراق الليل) واستفاد منه، وطلب منه تأليف كتاب في نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء. فمن واجب الجاحظ الدعاء له بالحفظ ليتمكّن من قراءة كتابه الذي سيؤلفه له.

---

[1] - المصدر السابق، ص 148.
[2] - المصدر السابق، ص60.
[3] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي، ص235.
[4] - المصدر السابق، المقدمة (ربّ أنعمت فزد)، ص 17.

ومن هنا وجدنا في الرسائل فكرة الإحالة فكل رسالة تنتظر ردّاً وبالتالي تحيل بشكل أو بآخر إلى نص المرسل ومضمونه لتكون متوافقةً معه في الفكرة والمعنى.

ثانياً: السياق المصاحب:

يشتمل هذا المفهوم على أشياء كثيرة لغويّة وغير لغويّة في البيئة العامة التي يظهر فيها النّص[1]. ويؤكّد وجود هذا سياق على أنّه من الصعب فهم أيّة رسالة ما لم نكن نعلم ماذا يحدث الآن، وما لم نكن على علم بالأداء الصوتي والمرئي المصاحب لها والذي يبيّن ما يحدث الآن بالفعل[2].

ويؤكد بعض الباحثين أنّ تصوّر السياق المصاحب وسيلة يلجأ لها القارئ لفهم النص، فهو يلجأ إلى تعويض العالم الفعلي بعالم ممكن (متخيل) والعلاقة بين هذين العالمين ليست علاقة انفصال تام بل هناك تفاعل دينامي بينهما بواسطة تفهم هذا بذاك[3]، "يحاول الكاتب أن يقدّم – من ناحية أخرى – تصوّراً أكثر حيوية للقارئ، ليعرض له النص كما تمثّله هو أثناء كتابته، وهو إطار آخر يبحث عن ذلك المعادل الموضوعي لعناصر السياق المصاحب اللغوية والسيميولوجية[4]، بحيث لا يفقد نصه المكتوب أي عنصر يجعله أقلّ أداءً من النص الشفاهي"[5].

ويجد الكاتب ضالته في السجع والقافية، والصيغ الدعائية، وبعض العناصر الحوارية فمن خلال قراءة الجزء التالي وملاحظة مابه من سجع: "وعبتموني حين ختمت على سدّ عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ومن رُطبَةٍ غريبة، على عبدٍنَهِم وصبيٍّ جشع وأمَة لكعاء وزوجة خرقاء، وليس من أصل الأدب ولا في ترتيب الحكم ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة أن يستوي في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب، والناعم من كلّ فنّ واللباب من كل شكل، التابع والمتبوع والسّيد والمسود"[6].

نجد أنّ السجع من العناصر التي اعتمدت عليها الرسائل بشكل أساسي، لجعل النص متماسكاً من الناحية الصوتيّة، وذلك من خلال المماثلة المعقودة بين كلمتين أو أكثر في الوزن والتقفية، والتي تنتج الترصيع، أما المماثلة في التقفية فقط مع الاختلاف في الوزن فتنتج السجع المطرّف[7].

---

[1] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص 40 نقلاً عن هاليدي ورقية حسن، ص5.

[2] - المرجع السابق، ص 40.

[3] - خطابي، محمد، لسانيات النص، ص301.

[4] - السيميولوجيا: مصطلح يشير إلى أحد الفروع الخصبة في الدرس النقدي الحديث التي ورثت البنيوية، والكلمة من أصل يوناني وتعني العلامة أي الخطاب.

[5] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص41.

[6] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون، ص31.

[7] - السّكاكي، مفتاح العلوم، ص431–432.

فالنهايات المتشابهة التي يخلفها السجع تعطي له الدعم الصوتي الذي يشكّل وسيلة قوية للإقناع، ولا ننسى أنّ الكاتب في معرض الدفاع عن نفسه أمام من نعته بالبخل، ويكون الإقناع أكثر فاعلية إذا كان بين الكلمتين المسجوعتين علاقة دلالية. " كما أنّ الإتيان بالأسجاع مجال يتبارى فيه كل كاتب لإظهار ثراء لغته ومفرداته وتمكنّه من استقدام أي منها ووضعها في صورة جميلة تظهر معناها بالنظر إلى غيرها مما يماثلها شكلاً ومعنى"[1]. وهناك نوعان للسجع كما قلنا: الترّصيع، والمطرّف. وزيادة الترصيع في الرسائل بشكل عام تؤكد على رغبة الكاتب في الحفاظ على أكبر درجات التماثل الصوتي، التي تضع حدوداً واضحة للإطار، كما تؤثر بالإيجاب في قبول القارئ لها. ومن السجع ما نجده في رسالة أبي العاص إلى الثقفي يذمّ فيها مذهبه في البخل فقال: "إنّ الله جوادٌ لا يبخل، وصدوق لا يكذب، ووفيّ لا يغدر، وحليم لا يعجل، وعدلٌ لا يظلم..."[2].

ومنه أيضاً في الرسالة نفسها: " ولو كانوا لأولادهم يجمعون، ولهم يكدّون، ومن أجلهم يحرصون، لجعلوا لهم كثيراً ممّا يطلبون، ولتركوا محاسبتهم في كثيرٍ ممّا يشتهون"[3].

ومّما جاء من السجع في ردّ ابن التوأم على سابقه ودفاعه عن نفسه، وعن الكرم قوله: "وليس يحترس من أسباب اللّجاج إلاّ من عرف أسباب البلوى.

ومن وقاه الله سوء التكفي وسخفه، وعصمه من سوء التصميم ونكده، فقد اعتدلت طبائعه وتساوت خواطره"[4]، "ومن الأمور المهمّة ذلك التعانق بين السجع والجناس[5]، فكثير من الكلمات المسجوعة بينها جناس؛ فيكون دعم العنصر الصوتي للجوانب الدلالية للإطار أكبر، فهو إذ يذكر الكلمات المرتبطة بالمعاني المحورية من خلال الجناس، فإنّه يعرض هذه الكلمات في نهايات التراكيب والجمل مسجوعةً لما يحقّقه هذا العرض من وقع أشدّ تأثيراً لدى القارئ ممّا لو أتت في منتصف التراكيب؛ فالوقوف عليها في النهايات يظهرها دلالياً دون منافسة من دلالات باقي الكلمات المشاركة لها في التركيب، كما أنّ الواقع المكاني لها يؤكد أنّها آخر ما يسمعه القارئ، وبالتالي فإنّ أثرها يكون أكثر حضوراً ونشاطاً من غيرها من الكلمات"[6]. واحتواء الرسالة على أجزاء شعرية يعني حضوراً للوزن والقافية فيها، وهذا الشعر يكاد يشكل نصف حجم الرسالة في بعض الأحيان، وذكر

---

[1] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص18.

[2] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص239.

[3] - المصدر السابق، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص247.

[4] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص257.

[5] - هو تشابه الكلمتين في اللفظ، ومنه التام والناقص. أما الجناس التام فهو عدم تفاوت المتجانسين في اللفظ، حيث يتفقان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها. أما الجناس الناقص فهو ما يحدث إن اختلفت الكلمتان في عدد الحروف إما بزيادة حرف أو أكثر من حرف، أو باختلاف حرف بين اللفظين المتجانسين. السكاكي، مفتاح العلوم، ص429.

[6] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص120.

الشعر في الرسائل ظهر من خلال غرض التأكيد، فالكاتب يسعى لإقناع متلقيه بفكرة، فيسوقها له نثراً ثم إنّه يكرّرها شعراً، ربما على سبيل الاستشهاد فابن التوأم يهاجم أبا العاص وينعته بالبخل وبالفساد ثمّ يؤكد هذا المعنى شعراً فقال: "ما أبطأكم عن البذل في الحقّ، وأسرعكم إلى البذل في الباطل، فإن كنتم الشعراء تفضلّون، وإلى قولهم ترجعون فقد قال الشاعر[1]:

قليلُ المالِ تصلحُهُ فيبقَى ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وقد قال **الشماخ بن ضرار**:

لمالُ المرءِ يصلحُه فيُغني مفاقرَه أعفّ من القُنوع[2]

وكأنّ ذلك التكرار لنفس المعنى أداة يؤثّر بها الكاتب على قارئه "[3].

ومن ذلك قول الجاحظ: " وأنتم ترون أنّ المجد والكرم أن أُفْقر نفسي بإغناء غيري، وأن أحوط عيال غيري بإضاعة عيالي.

وقال في ذلك **ابن هرمة**:

كتارِكَةٍ بَيْضَها بالعَراء ومُلْبِسَةٍ بَيْض أخرى جَناحا[4]

وعلى هذا المنوال سار الجاحظ في سوق نصوصه، فهو يعرض الفكرة أو المعنى أولاً بشكل نثري، ثم يدّعم رأيه أو فكرته بالشعر أو القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الأمثال.

ومن أمثلة ذلك قول الجاحظ أيضاً" فاحذر رقاهم وما نصبوا لك من الشرك، واحرس نعمتك وما دسّوا لها من الدواهي، واعمل على أنّ سحرهم يستّرق الذهن ويختطف البصر"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ من البيان سحراً "[5].

"ولكن ثمة خاصية مميّزة تجمع بين المنثور والمنظوم في إطار واحد، وتجعل ورودهما متجاورين أمراً منطقياً، فإذا كان الكاتب في النثر يعتمد على ما يقدّمه السجع من إيقاع منتظم، يلازم المعاني المطروحة – فإنّه حينما يكرّر تلك المعاني فهو يعتمد على ما يقدّمه الوزن الشعري من إيقاع مختلف ومع كل هذا يتأكد لنا أهمية وجود الإيقاع بشكل دائم داخل الرسالة باعتباره وسيلة إقناع"[6] وفي السياق المصاحب يلجأ الكاتب إلى استخدام بعض صور الحوار بصورة صريحة كشكل من أشكال تمّثّل الحوار الدائر بينه وبين القارئ

---

[1] - الضُّبَعِيّ، المتلمّس، الديوان، ص173.

[2] - الجاحظ، البخلاء، رسالة ابن التوأم، ص275، الذبياني، الشماخ بن ضرار، الديوان، ص221.

[3] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص211.

[4] - الجاحظ، البخلاء، رسالة ابن التوأم، ص280. تارِكَةٍ بَيْضها في العراء: أي النعامة يضرب بها المثل في الحماقة، تترك بيضها لتخض بيض غيرها، ثم تعود إلى بيضها فتجده فاسداً. ينظر الشاهد: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 44/9.

[5] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص266.

[6] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص121.

ومن ذلك ما جاء في رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد حين ذموا مذهبه في البخل: ".... وما أردنا بما قلنا إلاّ هدايتكم وتقويمكم، وإلاّ إصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم. ثم قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلاّ بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم و شُهرنا به في الآفاق دونكم، فما كان أحقكم في تقديم حرمتنا بكم... عبتموني بقولي لخادمي: أجيدي عجنه خميراً كما أجدته فطيراً..."[1].

فهنا يتمثّل الكاتب حواراً دائراً بين طرفين يدعم هذا التمثل ببعض الصيغ الحوارية مثل النداء في "يا معشر بني تميم"[2].

والرسالة نصٌ حواري بين اثنين من الكتاب بينهما تكافؤ إلى حد كبير. هذا التكافؤ يدفع كلاً منهما إلى إظهار براعته وتفوقه لصاحبه، حتى غدت الرسالة مباراة بين خصمين مثلما هي حوار بين صديقين، وقد بدا هذا واضحاً في تشكيل الكتّاب لرسائل الردّ، إذ يقدّم كل كاتب أقصى ما لديه عند ردّه على رسالة صديقه، مثلما نرى في ردّ ابن التوأم على رسالة أبي العاص إلى الثقفي، فقد جاء الردّ مدعوماً بالبراهين المتعدّدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي، والمثل والحكمة وبطول أو حجم يفوق حجم رسالة المرسِل، فبينما بلغت رسالة أبي العاص اثنتين وعشرين صفحة، بلغت رسالة الرد من ابن التوأم ستاً وثلاثين صفحة "وساهم قصد الكتاب –غير الظاهر– لإظهار أدبيتهم وبراعتهم في ذلك الحوار الخاص في تعميق حجم التأثر بنصوص التراث، بحيث لا تمثّل الرسالة حواراً مع الصديق فقط؟ بل تمثّل حالة حوار مفتوحة مع التراث العربي: شعره ونثره، ممّا يعمّق من القيمة الأدبية والفنية لمثل تلك الرسالة"[3]، وهذا الحوار مع التراث العربي رصّع الرسالة بعلامات الحصر ولاسيّما المزدوجتين والعارضتين والهلالين" وعلامات التنصيص هي إشارية؛ أي ترتبط بعلاقة تجاور مع ما تحيل إليه، وتربط بذلك الكلام المذكور بصاحبه"[4]. "إن استخدام الكاتب لكل هذه الأشكال الأسلوبية لتلك المتصلة بالحديث الشفاهي إنما هو محاولة منه لرسم صورة اجتهادية وناجحة لحوار متخيل بينهما، بكل ما فيه من معان ومواقف متبادلة"[5].

ثالثاً: السياق اللاحق:

"يدلّ السّياق اللاحق على ما أدّى له النص من تغيرات اجتماعية وأيديولوجية وتعد دراسة هذا السياق أمراً ذا فائدة إذا ما وضعنا في الاعتبار أنّ الرسالة تنتظر رداً عليها يكمل

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص30.
[2] - رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، ص29.
[3] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص62.
[4] - فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته (2)، ص120.
[5] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص42.

معها حدوداً لنص أكبر، بما يعني أنّ ذلك السياق جزء من النص، ومن ثم فإنّ السياق اللاحق لنص من نصوص الرسائل هو في الآن سياق سابق لرسالة أخرى تالية لها"[1]. هذا التصوّر يؤكّد أنّ أي نص يدخل بعد كتابته حيّز السياق على اتساعه فيشكل بوجوده نصوصاً أخرى لاحقة له تمثّل امتداداً لمقولاته. هذا يعني أنّ النص لا يكتمل برسالة واحدة، فهذه الرسالة تمثل نصف النص، الذي يكتمل برد المتلقي برسالة أخرى. ومن هنا يشترك في بناء النص طرفان، يقوم كل منهما في نفس الوقت بأداءدور مزدوج (دور الكاتب ودور القارئ)، ولا يحمل النص بذلك سياقاً واحداً، بل يحمل سياقين؛ سياقاً احتوى الرسالة الأولى، وآخر احتوى الرسالة الثانية، فالمتلقي بذلك مرسل، والمرسل متلقٍ، من خلال الرد الذي يتحول فيه من قارئ إلى كاتب، ويتجلى هذا الوعي في استمرار نفس الموضوع ونفس الأفكار ونفس القافية الشعرية وامتدادها في الرسالة الثانية[2].

ومن أهم معالم السياق اللاحق هي أن كل رسالة تعمل على تنشيط مفهوم (الحواريّة) باعتبار أن كل رسالة لها أخرى جوابية فعندما يكتب أبو العاص إلى الثقفي: "والعامّة لم تقصّر في الطلب، والحَكَرة والبخلاء لم يحدّوا شيئاً من جهدهم، ولا أعفوا بعدَ قُدرتهم، ولا قصّروا في شيء من الحرص والحصر، لأنهم في دار قُلعَة، وبعَرَض نُقْلَة، حتى لو كانوا بالخلودِ موقنين.... فمن لم يستعن على ما وصفنا، بطبيعة قويّة وبشهوةٍ شديدةٍ وبنظرٍ شافٍ، كان إمّا عاميّاً وإمّا بخيلاً شقياً.. "[3]، فجاء رد ابن التوأم مفّنداً: "فإن قضيتم بقول العامّة، فالعامّة ليست بقدوة، وكيف يكون قدوةً من لا ينظر ولا يحصّلُ ولا يفكرّ ولا يمثّل؟"[4].

ومن معالم السّياق اللاحق أيضاً ما تؤدّيه الرسائل من تثقيف ونصح وإرشاد للقارئ، وهذا ما ظهر في رسالة المقدمة التي كتبها جواباً على رسالة من صديقٍ له رجاه فيها أن يحدثهِ عن البخل ونوادر والبخلاء بعد أن حدّثه عن حيل لصوص النهار ولصوص الليل "فكتابه الموسوم بتصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل يقوّم على توعية القارئ بحيل اللصوص النهاريين وحيل السّراق اللّيليين بذكر تفصيلات سردياتهم ودخائل نفوسهم من أجل تسديد الخلل وتحصين العوار، فالقارئ محتاج إلى هذه السرديات ليقي نفسه من الوقوع في براثن اللصوص والسقوط في أحايل السراق"[5].

ممَّا تقدَم نرى أن السياق في الرسائل كان له دور في الإحالة؛ فالنص لا يكتمل برسالة واحدة، ولا بدَ له من نص يكمله هو رد المتلقي؛إذ يشترك في بناء النص طرفان هما المرسل

---

[1] - المرجع السابق، ص42.
[2] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص63 بتصرّف.
[3] - الجاحظ، البخلاء، رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ص248.
[4] - المصدر السابق، رسالة ابن التوأم، ص263.
[5] - سرحان، د. هيثم، الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، ص250.

والمتلقي، ويغدو المرسل بذلك متلقياً والمتلقي مرسلاً عبر الرد الذي يتحول فيه المتلقي من قارئ إلى كاتب.

ثالثاً: الإحالة في الحكايات

ألمعَ الجاحظ في مقدمة البخلاء إلى المنهج الذي سلكه في إخراج كتابه يقول "فأما ما سألت من احتجاج الأشحّاء ونوادر أحاديث البخلاء فسأوجدك ذلك في قصصهم إن شاء الله مفرّقاً، وفي احتجاجاتهم مجملاً، فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندي دون ما انتهى إليّ من أخبارهم على وجهها"[1] أما الاحتجاجات التي أشار إليها الجاحظ فقد وردت في شكل وحدات كلاميّة مطوّلة طبقاً لطبيعة نوعيتها من جهة، ولخصوصيّة الأهداف التي من أجلها وضعت من جهة أخرى، وقد نسبها الجاحظ إلى أعلام معروفين كسهل بن هارون والكندي والثوري وخالد بن يزيد، ومن الخصائص الشكليّة التي تتميّز بها الاحتجاجات الاستخدام

[1] - الجاحظ، البخلاء، ص24.

المكّثف للأساليب الإنشائيّة التي من خصائصها أنها لا تقبل التصديق والكذب، وكذلك المقابلة وإقامة الحجج والبراهين، وطرح الاحتمالات المختلفة، وتوليد بعضها من بعض.

وأما **القصص** فقد استغرقت نصف الكتاب تقريباً، وقد وردت في شكل قصص قصيرة وحكايات ونوادر، تصوّر حياة البخيل وكيفيّة عيشه، والمحيط الذي ينتمي إليه، وتتّصف هذه القصص ببساطة الوحدات السردية، وكثرة الأساليب الخبرية، وواقعيّة الوصف والتصوير؛ وذلك سعياً من الجاحظ إلى نقل صورة البخيل كما تجسّدت في الواقع دون أن يتصرّف في أبعادها وخصائصها.

"وأما **الخبر** الذي يرويه الجاحظ فيقوم على حادثة طريفة أو نادرة تدلّ دلالة واضحة على خلق ثابت، فهو قصة شديدة البساطة وإنما يظهر فن الكاتب فيما يسوقه من حوار، فهو لا يضحي بالنبرة الطبيعيّة للكلام في سبيل فصاحة اللغة، وهو يجعل حديث المتكلم دالاً على شخصيّته حتى لتكاد ترتسم منه صورة كاملة"[1]. "وربما طال الخبر عند الجاحظ وكثر افتتانه في الحوار حتى ليستحق بفضل ما فيه من التفاصيل أن يُسّمى صورة، وربما اعتبر بشيء من التسامح – قصة قصيرة"[2].

وأما **النادرة** فهي خبر قصير يشبه الحكاية المضحكة وهو نوع من أنواع الفكاهة، وشكل من أشكال القصّ القديم الذي عرف به الجاحظ. وتميّزت بنية النادرة التي تقوم على الأخبار والأحاديث بوجود سند ومتن، أما السّند فهو سلسلة الرواةالذين ينقلون الخبر إما معانية أو سماعاً، وقد يكون الجاحظ نفسه راوياً وفاعلاً قصصيّاً في الوقت نفسه، ويمثل السّند سلطة مرجعيّة يستند إليها الجاحظ لتوثيق الخبر، وأما المتن فهو موضوع الخبر وأحداثه، ويقوم عادة على حيلة لطيفة وبديعة، قوامها المجاز والإيجاز؟" ولا شك أن النّوادر التي أوردها الجاحظ في البخلاء ترجع إلى أصول شفوية، ولكن انتقالها من الشفويّة الساذجة إلى الكتابة الأدبية والواعية والراقية يجعلنا نقف على النسبة الكبيرة في تدّخل الجاحظ في صياغة نصوص تلك النوادر، إذن فلم يكن الجاحظ مجرد راوٍ لنوادر البخلاء، وإنما كان مبدعاً لها إلى حد كبير، وأما **الحكاية** " فهي التي تساق فيها واقعة من الوقائع الحقيقيّة أو الخياليّة، الأسطوريّة أو الخرافيّة دون التزام بقواعد الفن القصصيّ وغالباً ما تتضمّن النوادروالخرافات والأساطير وتنتشر على أفواه الناس وما وضع منها كتاب البخلاء للجاحظ"[3]. ويكمن جوهر الإحالة في الحكاية بإحالتها إلى زمان ومكان سابق إحالة قبلية

[1] - عيّاد، شكري محمد، القصة القصيرة في مصر، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1968م، ص17.
[2] - المرجع السابق، ص17.
[3] - مريدن، د. عزيزة، القصة والرواية، دمشق: دار الفكر، د. ط 1980، ص12.

وإلى شخصية من شخصيات البخلاء، وتكون هذه الإحالة مقيّدة لأنها "سمة النصوص التي تحيل إلى ماضٍ يبدو منقطعاً عن حاضر المتكلم"[1].

ولقد استفاد الجاحظ من بنية الحكاية في كتابه البخلاء" لما لها من قدرة على الإقناع بالدليل الواقعي أكبر مما لو اعتمد الكاتب على المنطق والأسلوب[2]. "والقصّ له بعدان أساسيان: الوصف والسرد"[3]. "وأغلب الظّن أنّ الجاحظ في كتاب البخلاء كان أقرب النماذج الحكائيّة في التراث العربي من فن القصّة المعاصر، فقد وصف أبطال قصصه بدقة، وربما كان يحلل دوافع السلوك عند بعضها غير أنّه لم يخرج على مظهر السرد المباشر في كتابه البخلاء"[4].

يتفرّد السرد العربي القديم (والجاحظ أحد رواده) بمنطق مخصوص يوّجه مجمل أحداثه ووقائعه، خلعنا عليه مصطلح "الدائرة المفتوحة" ونعني بذلك تناسل الحكايات بعضها من بعض، بحيث تنبثق اللّاحقة من رماد السابقة في ضرب من التداعي الذي لا يرد، وعلى هذا تصبح كل نهاية فاتحة لبداية جديدة، وتصبح كل خاتمة إعلاناً عن ميلاد حكاية ثانيّة، لكأنّ السرد عند العربي ضرب من ضروب استبعاد النهاية، ولكأنّه استهلال دائم وبداية مطّردة"[5].

وهذا ما وجدناه في حكايات الجاحظ وسرده، فكل حكاية تحيل إلى السابقة إحالة قبليّة، وتحيل إلى اللاحقة إحالة بعديّة، طالما تتحدث عن شخصية واحدة من شخصيات البخلاء تحت عنوان قصة حمل اسمه. فمثلاً تحت عنوان قصة أسد بن جاني رأينا الحكايات التالية: يوصي عياله بأكل العلف، يمشي ونعله في يده، في حلقة المصلحين، الحمى مربحة، خطة الإصلاح، يحتج للبخل ويوصي به، الدرهم دارهمّ والدينار يدني إلى النار، تأويلات للأسماء، لماذا يعجب بالرؤوس ويأكلها، ماء بماء، العنبري وظئره، أبو قطبة وبالوعته، الفساء يدر القمل والصوت يدبغ، يبخل بالدرهم على أمه. فالبخلاء لا يصوّر شخصية واحدة وإنما يختار لكل قصّة شخصيّتها وقد يكتب مجموعة من القصص يصّور فيها شخصية عامة هي شخصية الخراسانيّ مثلاً فقد دارت حولها أكثر من عشرين قصة ونادرة وخبراً. "إن منطق الدائرة المفتوحة هو الذي أتاح لتقنية التضمين أن تكون، والتضمين هو حركة انفتاح على

---

[1] - فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته، محاور الإحالة الكلامية(1)، ص38.

[2] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص74.

[3] - فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته، محاور الإحالة الكلامية (1)، ص38.

[4] - مجموعة من المشاركين، تقنيات الكتابة الإبداعية، السرد نموذجاً، إشراف: فضل، د. صلاح، جائزة الشارقة للإبداع العربي، الدورة الثانية إبريل 1999، الشارقة: إصدار دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة 2005م، ص27.

[5] - المرجع السابق، ص53.

الداخل، يتمّ بمقتضاه استدعاء حكاية لحكاية أخرى بحيث تصبح الخرافة مشيمة تحتضن حكايات شتّى"[1]. "فالسرد هو وسيلة بناء لا غير"[2].

والرواية عند الجاحظ تتّسم بقواعد عامة منتظمة أساسها الصدق والواقعيّة يحرص فيها على إقامة علاقة واضحة الأبعاد بينه وبين القارئ (السامع) مع الحرص على دوره الأساسي في القيام بوظيفة السرد، ولهذه الوظيفة درجات فهي إما أن تعتمد على الأسلوب المباشر في نقل الكلام الذي سمعه الجاحظ من غيره، سارداً الحكاية بأسلوبه الخاص وهو عندئذٍ يستخدم المفردات (حدثني، أخبرني، سمعت)، وفي أحيان أخرى يميل الجاحظ إلى نقل الحكاية كما وردت على لسان أصحابها فيستخدم عندئذٍ المفردات (قال، حكى، قالت) دون أن ينسى الجاحظ أن يدعم حكاياته بالسند والرواية إلاّ في بعض الحكايات.

ويستخدم الجاحظ أساليب عديدة تجعل من كتابه أقرب للسّرد القصصي منه إلى الحكاية الإخبارية، فطريقته في السرد ليست أداة توصيل فحسب بل هي وسيلة لجذب اهتمام القارئ وتشويقه ودفعه للمشاركة في الرؤية التي يصدر عنها وهي موقفه من البخل والبخلاء. "إنّ خطاب البخلاء يقوم على نظامين دلاليين يدوران مع القراءة عدماً ووجوداً هما الجدّ والهزل اللذان يصبحان أثناء القراءة بنية واحدة تتجانس في الغايات وتختلف في الوظائف، فأما تجانس الغايات فذلك الذي يتحقق بمعرفة دوافع البخل وأحوال البخلاء، وأما اختلاف الوظائف فيكمن في وظيفة الهزل التي تضفي على القارئ إحساساً بالراحة وتمنحه الرغبة في الضحك، ووظيفة الجد التي تتيح إصابة النفع والفائدة"[3]. وسنحاول أن نستعرض الجوانب التي ظهر فيها السرد من خلال الوقوف على نموذج البخيل الذي يمثّله" أبو القماقم" والجاحظ يروي بعضاً من الحكايات التي دارت حول هذا الرجل مستخدماً أسلوب السرد المعتمد على نقل الحكاية كما جاءت على لسان صاحبها[4].

ويبدأ الجاحظ كلامه عن هذا الرجل بنقل كلام على لسانه حول وجوب" أن يحافظ المرء على ما صار في يده وألاّ يفرّط فيه إلى يد غيره؛لأنه لو فعل فقد أباح لغيره أخذ ما كان له"[5].

ولعل في هذا القول لأبي القماقم والذي افتتح به الجاحظ حديثه عنه يعدّ بمنزلة التمهيد والإعداد التجهيزي للحكاية، فكأنّما يقول الجاحظ للقارئ هذا هو فكر الرجل فإليك سلوكه وانظر كيف وظّف فكره في حياته. وتكشف لنا الحكاية التي يوردها الجاحظ عن تناقض بين المستوى العقلي والمستوى الاجتماعي لهذه الشخصية، ولعل أولى الإشارات إلى هذا

---

[1] - مجموعة من المشاركين، تقنيات الكتابة الإبداعية، ص54.
[2] - إبراهيم، عبد الله، المتخيل السردي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص116.
[3] - سرحان، د. هيثم، الأنظمة السيميائية، ص252.
[4] - انظر الحكايات في الملحق المثبت نهاية البحث.
[5] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتى (أول الإصلاح)، ص191.

التناقض تبرز من خلال الحوار الذي تديره المرأة فهي تبدأه بقولها" ويحك يا أبا القماقم"[1]. وكلمة "ويحك" وإن لم تكن المرأة تقصد بها إلى الشتم والزجر في ظل السياق الذي جاءت فيه إلاّ أنها توحي بدنو منزلة المخاطب.

ولننظر في **الحكاية الأولى** وهي واحدة من ثلاث حكايات تجمعها عناصر عديدة.. أوّل العناصر أنّها جميعاً حكايات قصيرة ومكثفة تظهر فيها صنعة جاحظيّة تعتمد الاهتمام باللفظ الموحي المستخدم للتعبير عن مشهد كامل وصورة كاملة، على عكس ما عرف عن الجاحظ من الاستطراد.

والعنصر الثاني هو أنّ البطل واحد وهو أبو القماقم (البخيل)، وهو يمارس الحيلة دائماً للوصول إلى هدفه أو للتخلّص من المآزق التي يقع فيها، والعنصر الثالث أن الضحيّة في كل الحكايات هو امرأة. تتحدّث الحكاية الأولى عن امرأة كانت تستعّد للزواج (النهاري) وأرادت أن تتجمّل لزوجها فطلبت من أبي القماقم أن يحضر لها برغيف آساً تتعطّر به، وبفلس دهناً تتجمل به، لكنّه أخذ الرغيف والفلس وذهب دون أن يعود، وعندما لقيته بعد أيام، سألته عّما فعل بها حين تركها، فأجابها أن الفلس قد سقط منه وأنه من غمه أكل الرغيف.

والحكاية تكشف في الجانب الاجتماعي عن الزواج النهاري، ويبدو أنّه زواجٌ خاص، وربما أقيم في النّهار، تحاول فيه الزّوجة إرضاء زوجها بكل السبل الممكنة، والأمر الثاني يتعلّق بشراء السلع حيث يتم استبدال سلعة بأخرى كما هو حال استبدال الآس بالرغيف. وفي هذه الحكاية يدير الجاحظ جلّ الحوار على لسان المرأة (الضحية) فتبدأ بعرض سوء حالها، وتبالغ في محاولة لكسب تعاطفه وترغيبه بالأجر والثواب "فإنك تؤجر.... فعسى الله أن يلقي محبتي في قلبه.... فقد والله ساءت حالي وبلغ المجهود مني"[2].

والحقيقة أنّ الجاحظ يستفيض في هذا الوصف ليكسب تعاطف القارئ مع هذه المرأة ويشدّه إلى قصتها، والتأثر بحالها، وعملية الإسهاب في الحديث يمدّ في حالة القلق والإثارة التي يشعر بها القارئ تجاه ما ستؤول إليه الحكاية، وبالتالي فإنّ الجاحظ جذب القارئ جذباً مبطّناً إلى رؤيته في نبذ البخل.

وعلى الرغم من هذا التطويل في السرد على لسان المرأة فإنّنا نفاجأ بأنّ شخصية أبي القماقم لا تبرز إلاّ من خلال الحركة (فأخذهما وجعلها وجهه) ثم بعبارتين تختم بهما الحكاية لكنّهما على الرغم من الاقتصاد اللفظي قد أسهما في حلّ الغموض، وإزالة التوتر والترقّب الذي ظلّ مسيطراً على القارئ، ويفاجئنا هذا التطويل في السرد، في أنّه جاء للإثارة والتشويق وكسب التعاطف على حساب الأحداث ذاتها، إذ تظل أحداث عديدة ضمن إطار

---

[1] - المصدر السابق، طرائف شتى (أول الإصلاح)، ص191.

[2] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتى (أول الإصلاح)، ص191.

الحكاية خاضعة للإضمار والغموض، فأبو القماقم ترك المرأة في أزمتها وغادر، ثم يخبرنا الجاحظ أنّها رأته بعد أيام دون أن يخبرنا بما حدث لها بعد أن عاد زوجها ولم يجدها متزيّنة لاستقباله، وتنتهي الحكاية دون أن نعرف رد المرأة عليه وأنّها صدقته أم لا.

ويوضّح الجاحظ هذين الموقفين من خلال استخدامه للتكثيف اللفظي والإيحاء، ففي الموقف الأول يشير الجاحظ إلى ما حلّ بالمرأة من خلال قولها لأبي القماقم" سبحان الله أما رحمتني ممّا صنعت بي"[1].

وهذا يدل على أنّها لم تستطع تجاوز الموقف فسقطت فيما كانت تحاذره وألقت باللوم على أبي القماقم الذي حاول التخلص من الموقف بإيجاد حيلة مناسبة وقد كانت الحيلة التي ابتدعها طريفة مضحكة بسبب القدرة التي تهيأت في ابتكارها وفي اعتمادها على سذاجة الناس وبساطتهم في نجاحها.

و**الحكاية الثانية** ليست إلاّ صورة أخرى يتناول بها الجاحظ وصفاً لجانب من شخصية أبي القماقم، يثبت لنا أنّ أبا القماقم لم يأكل الرغيف غمّاً وحزناً على فقد الفلس بل جوعاً وطمعاً وخوفاً من ذهاب الرغيف الذي صار في يده إلى يد غيره.

وهنا تظهر **الإحالة** جليةً فالحكاية الثانية تفسّر الحكاية السابقة وتحيل إليها إحالة قبليّة، وفي هذه الحكاية يتعشّق أبو القماقم امرأة فلا يزال يتبعها ويبكي بين يديها حتى ترحمه وتحنّ عليه، ثم راح يطلب إليها أن تهديه من أصناف الطعام وتكثر حتى علمت المرأة موضع هواه، وأنّه يحبّ الطعام لا إياها فقالت: "رأيت عشق الناس يكون في القلب، وعشقك أنت ليس يجاوز معدتك"[2].

والحكاية السابقة تصل إلى الإضحاك عبر اعتمادها لأسلوب المفارقة، فأبو القماقم يطارد المرأة ويلّح عليها ويبكي بين يديها حتى ترحمه، لكن المفارقة تبدأ حين يستغل ذلك الحب فيطلب منها أن تهديه أطايب الطعام، والجاحظ ينقل لنا هذه الحكاية مستخدماً تقنية السرد ولكنه يتدخل للمشاركة الفعلية حين يهيئ القارئ للموقف ومن ذلك قوله" وكانت مكثرة وكان مقلاً"[3].

وفكرتا الإضحاك والسخرية اللتان يقوم عليهما كتاب البخلاء يتوصل إليهما الجاحظ عن طريق الثنائيات الضّدية، ثنائية من يملك ومن لا يملك، ومن هو مقلّ ومن هو مكثر، ومن هو شبعان ومن هو جائع.

أبو القماقم مع هذه المرأة جائع يبحث عن الشبع، ومقل يبحث عن مكثر، والحيلة التي يلجأ إليها طريفة على الرغم من أنّه لا يسوقها بشكل مباشر، وهو يعتمد فيها على سذاجة

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتى (أول الإصلاح)، ص191.
[2] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتى، (عشق في المعدة)، ص192.
[3] - المصدر السابق، ص192.

الضحيّة التي يمارس معها الاحتيال، ولكن المفاجأة التي تحقّق للقارئ المتعة والإضحاك تكمن في اكتشاف الضحية للحيلة لتسير الأمور بعد ذلك نحو الانفراج. وتشبه هذه الحكاية **الحكاية الثالثة** في اعتماد الحيلة على سذاجة الضحية، وتبدو شخصية أبي القماقم في هذه الحكايات أقرب إلى شخصية الطفيليين منها إلى شخصية البخيل رغم التقاطع الواضح بين ملامح الشخصيتين.

يظهر التشابه مع شخصية الطّفيلي من خلال استخدام أبي القماقم لأسلوب الإلحاح على المسألة (فلم يزل يتبعها) في الحكاية الثانية، وقول أبي الإصبغ في الحكاية الثالثة" ألح أبو القماقم" وهو إلحاح الطامع بمال غيره المتباخل بماله.

ويمكن أن نلاحظ الاختلاف في البناء الفني للحكاية الثالثة عن غيرها من خلال اعتماد السرد على راوٍ ينقل الأحداث وهو أبو الإصبغ والسرد عندئذٍ يتحول إلى الأسلوب المباشر المعتمد على نقل الحوار، لتكثر في الحكاية مفردات (يسأل، قالوا، قال) وليتخذ المتحاورون مظهراً يعتمد الحكاية، فيحل الحوار مكان السرد الحكائي؛ فأبو القماقم في هذه الحكاية يلحّ على قوم عند الخطبة إليهم ليسأل عن مال المرأة و يحصيه، فيأتي الجواب: قد أخبرناك بمالها، فأنت أي شيء مالك؟ فيجيب أبو القماقم الذي لها يكفيني ويكفيها.

لقد كشف لنا الجاحظ عن نفسيّة بخيله وتطّور شخصية البخيل، ففقد ظهر البخيل أول الأمر متستّراً؛ إذ لم يكن المبادر إلى الحيلة، لكنّه صار أكثر جرأةً فراح يلاحق امرأة بدعوى الحب، ومن ثم استغلالها لملء معدته، والحكاية الثالثة تظهره أكثر جرأة حين لا يتورّع عن المجاهرة بنيّته، وحين يصل البخيل إلى هذه المرحلة فإنّه يوقع نفسه في مزالق حيله بما يكشف عن غبائه وجهله، وهذا هو السر في ضحك المتلقي الذي يفاجأ بالمفارقة الواضحة بين أهمية الموقف وسوء تفكير البخيل.

وممّا تقدّم يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1- الحكاية عند الجاحظ تدور في "دائرة مفتوحة"، وتتناسل الحكايات بعضها من بعض، بحيث تنبثق اللاحقة من رماد السابقة، وتحيل إليها.
2- السرد عند الجاحظ يعتمد على الأسلوب المباشر في نقل الكلام، إما بأسلوبه الخاص، وعندئذٍ يستخدم مفردات من مثل (حدثني، أخبرني، سمعت)، وإما ينقله كما ورد على لسان قائله، ويستخدم عندئذٍ مفردات من مثل (قال، حكى، قالت) دون أن ينسى أن يدعم حكاياته بالسند والرواية.

رابعاً: التّماسك النّصي في القصص

يزداد إدراكنا لدور الإحالة شكلياً ودلالياً بعد تعرّفنا على مفهومها وأدواتها، "فهي تقوم بدور بارز في إنشاء التماسك الدلالي للنص، إذ إنّ شيوع ورود صيغ الإحالة الممكن تحديدها في كل نص تبرز أنّ الإحالة تشغل ضمن العناصر المؤثرة في تماسك النص مكاناً بارزاً ويكون بحثها من خلال نحو النص لتقديم القواعد التي يجب أن تفي بقيود ما يسمى بالنصيّة"[1]. وأهميتها لا تتوقّف في كونها نائبة أو معوّضة عن الأسماء أو الأفعال أو العبارات، بل يقتضي وجودها ربط الكلم بعضه ببعض" حيث لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، ويجعل هذه بسبب من تلك"[2]. "وإذا كانت الإحالة (القبليّة) تحقّق استرجاعاً مقبولاً للمعنى مع إضفاء صفة الاقتصاد اللّغوي على

[1] - بحيري، د. سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص107.
[2] - الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص45.

النص"[1]. "وإذا كانت الإحصاءات تؤكد على أنّها أكثر عناصر السبك وروداً في أي نص – فإنّ كثرتها واستمرارية وجودها تؤكد على ضرورة وجود تلك العناصر المحال إليها وجوداً فاعلاً على مدار النص، فهي تمثّل الأساس الذي يحمل معانيه وأفكار صاحبه، والإحالة كعنصر من عناصر السبك النحوي يرتبط بشكل أشد وضوحاً من غيره من العناصر بالبناء اللغوي التلقائي للمعاني الذي يحمل غرضاً أساسياً، وهو تقديم جمل مترابطة ومتوازنة لا انقطاع فيها"[2]، وبعد تحليلنا لأدوات الإحالة الداخليّة ودورها في التماسك النّصي نطرح السؤال التالي: ها نحن قد انتهينا من وصف الكيفية التي تماسك بها النص، فما هي الفائدة المرجوة من هذا التماسك؟ لم يغفل هاليدي ورقية حسن هذا السؤال، لذا يقدمان التوضيح التالي: "إنّنا إذ نقدّم إطاراً لتحليل وترميز نص ما – من زاوية مثل هذا الإطار- كوسيلة نحو غاية، وليس كغاية في ذاته، من المحتمل أن يعني ذلك شيئاً في سياق تدريس الإنشاء، وشيئاً أخر في سياق التحليل الآلي للنص بالحاسوب، وشيئاً مختلفاً أيضاً في سياق الدراسات الأسلوبية (.....) يمكن أن تثار أسئلة مثل: هل يفضّل متكلّم أو كاتب ما نوعاً من التماسك على أنواع أخرى؟ وهل تظل الروابط الإحاليّة ثابتة أو أنّها تتنوع، وإذا كانت متنوّعة، فهل يرتبط التنوع، بشكل مطّرد، بعامل أو عوامل أخرى؟ما هي العلاقة بين التماسك وبين تقسيم النص المكتوب إلى فقرات؟هناك عدة أسئلة أساسية يمكن أن تقارب باتخاذ الدّراسة المنظّمة للتماسك نقطة انطلاق"[3].

ومن أجل الإجابة عن الأسئلة السابقة سنقارب في هذا المبحث بين أدوات تماسك النص الداخليّة التي قدّمنا لها سابقاً، وذلك للكشف عن مدى فعاليّة التماسك، والتّعرف على حدوده، وذلك عن طريق ملاحظة عدد الكلمات والجمل الفاصلة بين العناصر الإحاليّة، إذ ينبغي أن يشدّد على أنّ عدد الجمل الفاصلة في جميع الحالات، هو الذي ينبغي أن يعد وليس..... عدد مرات ورود عنصر اتساقي وسيطي؛ وذلك لأنّ اهتمامنا يكمن في الطريقة التي تبني بها العلاقات الاتساقية نصّاً ما"[4]. وللوصول إلى الغاية المذكورة رأينا تبنّي شبكة من المختصرات تلافياً للتطويل، وذلك على النحو التالي:

1- وضعنا لكل جملة نصّية رقماً حسب تدرّج النص من البداية حتى النهاية، وهو الرقم الموجود في الخانة الأولى من الشبكة.
2- الرقم المدرج في الخانة الثانية يعني عدد الروابط الإحالية المستعملة في الجملة النصّية، سواء كانت هذه الروابط داخل الجملة نفسها، أم رابطة إياها مع جمل سابقة.

---

[1] - Robert&Wolfgang,DressLer,Introductiontotextlinguistics,p60. deBeaugrande
[2] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص85.
[3] - خطابي، محمد، لسانيات النص، ص 225 نقلاً عن هاليدي ورقية حسن، ص 332.
[4] - المرجع السابق، ص 331.

3- في الخانة الثالثة العنصر الإحالي الذي يتضمن أداة إحالة كيفما كان نوعها.
4- الخانة الرابعة خاصة بنوع العنصر الإحالي:

إ ح. ض. قب = إحالة ضميريّة قبليّة.
إ ح. ض بعد = إحالة ضميريّة بعديّة.
إ ح. ض خ = إحالة ضميريّة خارجيّة.
إ ح. إ ش = إحالة إشاريّة.
إ ح. إ ش. ظ = إحالة إشاريّة ظرفيّة.
إ ح. م = إحالة موصوليّة.
إ ح. مقا = إحالة مقارنة.
إ ح. تك = إحالة تكراريّة.
إ ح. عط = إحالة بالعطف.
إ ح. ت = إحالة تعريفيّة.

5- وفي الخانة الخامسة (المسافة) التي تشير إلى عدد الجمل الفاصلة بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.
6- أما الخانة السادسة فهي خاصة بالعنصر المحال إليه.

وقد اخترنا من نصوص البخلاء (قصة ليلى الناعطيّة) [1]، وذلك نظراً لتناسب طولها قياساً بالقصص الأخرى، وكذلك لنسيجها المتكامل، وتجنبها للعناوين الجزئية كما في القصص الأخرى، وتقع القصة في ستٍ وأربعين جملة، سنسقط عليها الشبكة الإحالية السابقة، للكشف عن مدى فعاليّة التماسك بالإحالة عند الجاحظ.

رقم الجملة في نص ليلى الناعطية	عدد الروابط الإحالية	العنصر الإحالي	نوعه	المسافة	العنصر المحال إليه
1	2	فإنها	إ ح. ض. قب	1	ليلى الناعطية
		الغالية	إ ح. ت	0	ليلى الناعطية
2	6	لها	إ ح. ض. قب	2	ليلى الناعطية
		و	إ ح. عط	0	ترقع
		تلبسه	إ ح. ض. قب	2	ليلى الناعطية

[1] - انظر: الملحق في نهاية الرسالة.

		و	إ ح. عط	0	صار
		القميص	إ ح. تك	0	قميصاً
		القميص	إ ح. تك	0	القميص
3	8	رفت(هي)	إ ح. ض. قب	4	ليلى الناعطية
		كساءها	إ ح. ض. قب	4	ليلى الناعطية
		لبسته	إ ح. ض. قب	4	ليلى الناعطية
		صارت(هي)	إ ح. ض. قب	5	ليلى الناعطية
		و	إ ح. عط	0	رفت
		الرفو	إ ح. تك + إ ح. ت	0	رفت
		تلبس	إ ح. تك	0	لبسته
		و	إ ح. عط	1	رفت
4	3	الكساء	إ ح. تك + إ ح. ت	1	كساءها
		سمعت(هي)	إ ح. ض. قب	7	ليلى الناعطية
		و	إ ح. عط	1	ذهب
5	6	قميصك	إ ح. ض. خ	0	ليلى الناعطية
		اهتديت	إ ح. ض. خ	0	ليلى الناعطية
		قميصك	إ ح. تك	4	القميص
		لجيبه	إ ح. ض. قب	0	قميصك
		جيبه	إ ح. ض. قب	0	قميصك
		جيبه	إ ح. تك	0	لجيبه
6	6	قالت(هي)	إ ح. ض. قب	11	ليلى الناعطية
		إنّي	إ ح. ض. قب	11	ليلى الناعطية
		و	إ ح. عط	0	الفتق
		أنا	إ ح. ض. قب	12	ليلى الناعطية
		الفتق	إ ح. تك	0	الفتق
		الفتق	إ ح. ت	0	فتق
7	4	الخرق	إ ح. تك	0	الخرق

		الخرق	إ ح. ت	0	خرق
		و	إ ح. عط	0	الخرق
		أرقع الخرق	إ ح. تك	0	أحوص الفتق
8	4	مضيتُ	إ ح. ض. بعد	0	أنا (ليلى الناعطية)
		نريد(نحن)	إ ح. ض. قب	1	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		و	إ ح. عط	0	أبو إسحاق، عمرو
		الحديث	إ ح. ت	0	نريد
9	5	نتناظر	إ ح. ض. قب	1	أبو إسحاق وعمرووليلى
		مررنا	إ ح. ض. قب	2	أبو إسحاق وعمرووليلى
		ف	إ ح. عط	3	مضيتُ
		و	إ ح. عط	0	نريد
		الكلام	إ ح. ت	0	نتناظر
10	8	و	إ ح. عط	0	مجلس
		طريقنا	إ ح. ض. قب	3	ليلى وعمرو وأبوإسحاق
		رآنا(هو)	إ ح. ض. قب	1	وليد القرشي
		تمشّى	إ ح. ض. قب	1	وليد القرشي
		معنا	إ ح. ض. قب	4	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		جاوزنا	إ ح. ض. قب	5	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		كان(هو)	إ ح. ض. قب	0	مجلس
		الخندق	إ ح. ت		جاوزنا
11	5	جلسنا	إ ح. ض. قب	6	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		حائطه	إ ح. ض. قب	0	الخندق
		له(هو)	إ ح. ض. قب	0	الحائط
		السواد	إ ج. ت	0	شديد
		ذلك	إ ح. إ ش	0	لثخن
12	7	و	إ ح. عط	0	ثخن الساتر
		و	إ ح. عط	0	لثخن
		حائطه(هو)	إ ح. ض. قب	4	الخندق
		الساتر	إ ح. ت	0	نحن
		ف	إ ح. عط	4	جلسنا
		حائطه	إ ح. تك	3	حائطه
		بنا	إ ح. ض. قب	11	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
13	6	الحديث	إ ح. تك	10	الحديث
		جرينا	إ ح. ض. قب	12	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		و	إ ح. عط	0	طال

		شعرنا	إ ح. ض. قب	13	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		شعرنا	إ ح. تك	0	جرينا
		الكلام	إ ح. تك + إ ح. ت	0	الحديث
14	5	نحن	إ ح. ض. قب	14	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		صرنا	إ ح. ض. قب	15	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		و	إ ح. عط	0	صرنا
		وجدتُ	إ ح. ض. قب	16	ليلى الناعطية
		الرجوع	إ ح. ت	0	صرنا
15	7	و	إ ح. عط	0	مسّ
		وقعها(هي)	إ ح. ض. قب	0	الشمس
		أيقنتُ	إ ح. ض. قب	17	ليلى الناعطية
		ف	إ ح. عط	0	أيقنت
		قلت	إ ح. ض. قب	18	ليلى الناعطية
		قلتُ	إ ح. تك	0	أيقنت
		الشمس، الرأس	إ ح. ت	0	وجدت مسّ
16	7	جنبي	إ ح. ض. قب	19	ليلى الناعطية
		كلامي	إ ح. ض. قب	19	ليلى الناعطية
		يسمُع	إ ح. ض. قب	0	الوليد
		مّنا	إ ح. ض. قب	20	ليلى وأبو إسحاق والوليد
		هذا	إ ح. إ ش	0	يومٌ
		يومٌ	إ ح. تك	5	يوم
17	3	نحن	إ ح. ض. قب	21	ليلى وأبو إسحاق والوليد
		نميل	إ ح. ض. قب	22	ليلى وأبو إسحاق والوليد
		الرأي	إ ح. ت	0	نحن في ساعة
18	10	نقيل	إ ح. ض. قب	22	ليلى وأبو إسحاق والوليد
		ف	إ ح. عط	0	نميل
		فيه (هو)	إ ح. ض. قب	0	منزل الوليد
		نأكل	إ ح. ض. قب	23	ليلى وأبو إسحاق والوليد
		ما	إ ح. م	0	نأكل
		إنّه	إ ح. ض. بعد	0	يوم
		أبردنا	إ ح. ض. قب	24	ليلى وأبو إسحاق والوليد
		تفرّقنا	إ ح. ض. قب	24	ليلى وأبو إسحاق والوليد
		و	إ ح. عط	0	نقيل
		تفرّقنا	إ ح. تك	0	أبردنا
19	5	هو	إ ح. ض. بعد	0	الموت

		الموت	إ ح. ت	5	نحن في ساعة تذيب
		دونه(هو)	إ ح. ض. قب	0	الموت
		صوته (هو)	إ ح. ض. قب	0	الوليد
		هذا	إ ح. إ ش	0	الوجه
20	9	ضعه	إ ح. ض. قب	0	الوجه
		قلبك	إ ح. ض. قب	0	ليلى الناعطية
		قلتُ	إ ح. ض. قب	0	ليلى الناعطية
		له	إ ح. ض. قب	2	الوليد
		هذا	إ ح. إ ش	0	الوجه
		ف	إ ح. عط	0	يكون
		ف	إ ح. عط	0	ضعه
		فقلت	إ ح. تك	13	فقلت
		الوجه	إ ح. تك	3	الوجه
21	8	الذي	إ ح. م	0	الوجه
		أنكرته	إ ح. ض. قب	4	الوليد
		علينا	إ ح. ض. قب	30	ليلى والوليد وأبو إسحاق
		رحمك	إ ح. ض. قب	0	الوليد
		ههنا	إ ح. إ ش. ظ	0	الحاجة
		و	إ ح. عط	0	الحاجة
		قال (هو)	إ ح. ض. قب	5	الوليد
		الضرورة	إ ح. ت	0	الحاجة
22	9	إنّك	إ ح. ض. قب	31	ليلى الناعطية
		أخرجته	إ ح. ض. قب	31	ليلى الناعطية
		قلتُ	إ ح. ض. قب	31	ليلى الناعطية
		أخرجه	إ ح. ض. قب	31	ليلى الناعطية
		مخرج الهزء	إ ح. ت	0	مخرج الهزء
		حياتي	إ ح. ض. قب	32	ليلى الناعطية
		قلتُ	إ ح. تك	1	قال
		قال	إ ح. تك	5	قال
		الهزء	إ ح. ت	0	أخرجه
23	9	يدك	إ ح. ض. قب	7	الوليد
		معرفتي	إ ح. ض. قب	33	ليلى الناعطية
		بك	إ ح. ض. قب	8	الوليد
		ف	إ ح. عط	3	قلتُ
		و	إ ح. عط	0	غضب

		يده	إ ح. ض. قب	8	الوليد
		أيدينا	إ ح. ض. قب	33	ليلى وأبو إسحاق
		فارقنا	إ ح. ض. قب	33	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		و	إ ح. عط	0	نتر
24	6	اعتذر (هو)	إ ح. ض. قب	9	الوليد
		إلينا	إ ح. ض. قب	33	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		ما	إ ح. م	0	ركبنا
		به	إ ح. ض. قب	0	ركبنا
		ركبنا	إ ح. ض. قب	33	ليلى وأبوإسحاق وعمرو
		الساعة	إ ح. ت	0	اعتذر
25	4	لم أرَ	إ ح. ض. قب	34	ليلى الناعطية
		مَنْ	إ ح. م	0	يجعل الأس حجّةً
		هو	إ ح. ض. قب	9	الوليد
		ما	إ ح. م	0	كان
26	6	كان (هو)	إ ح. ض. قب	0	جبل
		فيه	إ ح. ض. قب	0	موضع
		خاف	إ ح. ض. قب	0	جبلٌ
		ف	إ ح. عط	0	خرج
		الطائف	إ ح. ت	0	خاف
		يأمن	إ ح. ض. قب	1	جبلٌ
27	5	المستقفي	إ ح. ت	0	يأمن
		قال	إ ح. ض. قب	2	جبلٌ
		دققتُ	إ ح. ض. قب	2	جبلٌ
		بتُّ	إ ح. ض. قب	3	جبلٌ
		عنده	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن
28	4	أو	إ ح. عط	0	بيت
		دهليزه	إ ح. ض. قب	0	بيت
		ألزمه	إ ح. ض. قب	5	جبل
		مؤونتي	إ ح. ض. قب	5	جبل
29	9	الصبح	إ ح. ت	0	انصدع عمود
		خرجتُ	إ ح. ض. قب	5	جبل
		المدلجين	إ ح. ت	0	خرجت في أوائل
		ف	إ ح. عط	3	دققُت
		عليه	إ ح. ض. قب	3	أبو مازن
		الباب	إ ح. ت + إ ح. تك	3	الباب

		دقّ	إ ح. تك	3	دققُت
		و	إ ح. عط	0	دقّ
		دقّ واثق	إ ح. تك	0	دق مُدلٍ
30	8	و	إ ح. عط	0	دقّ
		مَنْ	إ ح. م	0	يخاف
		يدركه	إ ح. ض. بعَد	0	الطائف
		يقفوه	إ ح. ض. بعد	0	المستقفي
		الطائف	إ ح. تك. إ ح. ت	6	الطائف
		المستقفي	إ ح. تك. إ ح. ت	6	المستقفي
		أو	إ ح. عط	0	يدركه
		قلبه	إ ح. ض. بعَد		عز
31	4	و	إ ح. عط	0	الكفاية
		الكفاية	إ ح. ت	0	في قلبه عز
		أنّه	إ ح. ض. بعد	0	دقّ
		أبو مازن	إ ح. تك	7	أبي مازن
32	2	منزلَ	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن
		ف	إ ح. عطف	0	يشك
33	6	الباب	إ ح. تك	4	الباب
		بصر	إ ح. تك	0	بصر
		الموت	إ ح. ت	0	بصر بملك
		رآه	إ ح. ض. بعد	0	جبل
		جبل	إ ح. تك	1	بجبل
		فتح (هو)	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن

34	6	قال(هو)	إح. ض. قب	0	جبل
		له	إح. ض. قب	3	أبو مازن
		إني	إح. ض. قب	0	جبل
		خفت	إح. ض. قب	0	جبل
		الطائف المستقفي	إح. ت+إح. تك	0	خفت
		و	إح. عط	0	معرة الطائف
				0	
				0	
35	10	ف	إ ح. عط	0	خفت
		ملتُ	إ ح. ض. قب	1	جبل
		إليك	إ ح. ض. قب	6	أبو مازن
		أبيتَ	إ ح. ض. قب	1	جبل
		عندك	إ ح. ض. قب	6	أبو مازن
		ف	إ ح. عط	0	ملتُ
		أراه	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن
		أبو مازن	إ ح. تك	7	أبو مازن
		وجومه	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن
		كان	إ ح. ض. قب	0	وجومه
36	10	السكر	إ ح. تك	0	تساكرَ
		خلعَ	إ ح. ض. قب	1	أبو مازن
		جوارحه	إ ح. ض. قب	1	أبو مازن
		خبّل	إ ح. ض. قب	1	أبو مازن
		لسانه	إ ح. ض. قب	1	أبو مازن

		قال	إ ح. ض. قب	2	أبو مازن
		أنا	إ ح. ض. قب	3	أبو مازن
		و	إ ح. عط	0	خلّع
		سكران والله	إ ح. تك	0	والله سكران
		السُّكر	إ ح. ت	0	كان
37	5	له	إ ح. ض. قب	4	أبو مازن
		كن	إ ح. ض. قب	5	أبو مازن
		شئت	إ ح. ض. قب	5	أبو مازن
		نحنُ	إ ح. ض. قب	0	جبل وأبو مازن
		الفصل	إ ح. ت	0	في أيام
38	8	لستُ	إ ح. ض. قب	4	جبل
		أحتاج	إ ح. ض. قب	5	جبل
		أغمّ	إ ح. ض. قب	5	جبل
		عيالك	إ ح. ض. قب	8	أبو مازن
		لستُ	إ ح. ض. قب	5	جبل
		لا صيف	إ ح. تك	0	لا شتاء
		و	إ ح. عط	0	لستُ
		ف	إ ح. عط	0	أحتاج
39	10	أحتاج	إ ح. ض. قب	5	جبل
		أحتاج	إ ح. تك	0	أحتاج
		لحاف	إ ح. تك	0	دثار
		أكلفك	إ ح. ض. قب	8	أبو مازن
		تؤثرين	إ ح. ض. قب	8	أبو مازن
		أنا	إ ح. ض. قب	6	جبل
		كما	إ ح. مقا	0	ترى
		ترى	إ ح. ض. قب	9	أبو مازن
		ف	إ ح. عط	0	لستُ
		ثمل	إ ح. تك	7	سكران
40	5	شبعان من الطعام	إ ح. تك	0	ثمل من الشراب
		الشراب، الطعام	إ ح. ت	0	ترى ثمل شبعان
		جرجتُ	إ ح. ض. قب	8	جبل
		هو	إ ح. ض. قب	0	فلان
		أخصبُ	إ ح. مقا	0	فلان
41	8	الناس	إ ح. ت	0	أحضبُ
		أريدُ	إ ح. ض. قب	9	جبل

		تدعني	إ ح. ض. قب	13	أبو مازن
		أغفي	إ ح. ض. قب	9	جبل
		دهليزك	إ ح. ض. قب	13	أبو مازن
		إغفاءة	إ ح. تك	0	أغفي
		ثمّ	إ ح. عط	0	أغفي
		دهليزك	إ ح. تك	31	دهليزه
42	8	أقوم	إ ح. ض. قب	9	جبل
		المبكريّن	إ ح. ت	0	أقوم في أوائل
		أرضى	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن
		عينيه	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن
		فكيه	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن
		لسانه	إ ح. ض. قب	0	أبو مازن
		ثم	إ ح. عط	0	أرض
		و	إ ح. عط	0	قال
43	5	قال (هو)	إ ح. ض. قب	1	أبو مازن
		سكران	إ ح. تك	0	سكران
		أنا	إ ح. ض. قب	3	أبو مازن
		والله	إ ح. تك	0	والله
		أنا	إ ح. ض. قب	4	أبو مازن
44	3	أفهم	إ ح. ض. قب	5	أبو مازن
		تقول	إ ح. ض. قب	19	جبل
		ما	إ ح. م	0	أفهمُ
45	8	ثمّ	إ ح. عط	6	قال
		أغلق	إ ح. ض. قب	5	أبو مازن
		وجهه	إ ح. ض. قب	19	جبل
		دخلَ	إ ح. ض. قب	5	أبو مازن
		يشك	إ ح. ض. قب	5	أبو مازن
		عذره	إ ح. ض. قب	5	أبو مازن
		أنّه	إ ح. ض. قب	0	ألطف
		و	إ ح. عط	0	أغلق
46	4	ألطف	إ ح. ض. قب	6	أبو مازن
		وقع	إ ح. ض. قب	6	أبو مازن
		هذه	إ ح. إ ش	0	الحيلة
		الحيلة	إ ح. ت	0	وقع على هذه

جدول(10)

أكدّت الشبكة السالفة المخصّصة لأدوات الإحالة التي اعتمدتها قصة (ليلى الناعطية) في تماسكها على أنّ النص شديد التماسك فيما بين جمله وفقراته، ممّا يمكننا من استخلاص النتائج الآتية:

1- كانت الإحالة الضميريّة بنوعيها القبليّة والبعديّة من أكثر أدوات الإحالة ربطاً في النص، وذلك بتواتر قدره (153) رابطاً. وكذلك كانت من أكثر الإحالات تواتراً في النصوص جميعها بتواتر قدره (9031) إحالة.

2- كانت الإحالة العطفيّة في الدرجة الثانية من حيث تواتر الربط بين الجمل والفقرات، فقد بلغ تعدادها (46) حالة. وكذلك كانت في الدرجة الثانية من حيث ورودها في جميع النصوص بتواتر قدره (6712) إحالة.

3- جاءت الإحالة التكراريّة في الدّرجة الثالثة من حيث كثافة التواتر والربط، وذلك بحضور قدره (39) حالة، وكذلك احتلت الدّرجة الثالثة من حيث كثافة تواترها في نصوص البخلاء وذلك بتواتر قدره (6532) إحالة.

4- كان النص شديد التماسك والاتساق، وذلك لغلبة الإحالات التي انعدمت فيها الجمل الفاصلة (المسافة) على الجمل التي فصلت فيها (المسافة) الجمل بين الروابط "حيث إنّ علاقة السبك تكون أوضح كلما قلت تلك المسافة"[1]. و"كلّما تقلّصت المسافة التي تفصل العناصر الإحاليّة عن مراجعها وارتبطت معها بعلاقة تجاوريّة في خطاب ما، ارتفعت نسبة تداوليّة[2] هذا الخطاب، وكلّما زادت المسافة قلّت هذه النسبة"[3] فقد بلغت الإحالات التي انعدمت فيها المسافة (الجمل الفاصلة) بين الروابط (144) إحالة، في حين بلغت الإحالات التي فصلت فيها المسافة (الجمل) بين الروابط (135) إحالة. (فالكتّاب الجيدون) (الذين تمتلك نصوصهم كثافة في أدوات السبك)، لديهم تمكّن أفضل في مهارات الابتكار يسمح لهم بإحكام وتوسيع المفاهيم التي يقدّمونها، كما يميلون إلى تقديم معلومات جديدة باستمرار، ومعها يصبح النص طويلاً، ومع هؤلاء الكتّاب تصبح حرية القارئ في تفسير الجمل المترابطة محدودة وتعتمد قدرته في إقامة المعنى على الوسائل الأدبيّة أكثر من اعتمادها على إبداع القارئ)[4].

5- كان الربط بالمقارنة نادراً.

6- إنّ الضمير المحيل إلى الغائب هو الذي قام بوظيفة الربط بين المقاطع حتى إنّه لا يخلو منه مقطع من مقاطع القصة، وهذا يعني أن هناك ذاتاً حاضرة ومستمرة بقوة في النص

---

[1] - Patterns of lexis in text, oxford university press1991 pp. 125-149Michael,- Honey.

[2] - التداوليّة: جزء من السيميائيّة التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، فهي تُعنى بدراسة استعمال اللّغة في الخطاب.

[3] - موسى، د. داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، ص273.

[4] - Patterns of lexis in text, pp. 153. Michael,- Honey,

بأكمله. "فمن خصائص صيغة الغيبة أنّها يمكن أن تأتي بعدد تراكمي كبير من الإحالات على الكلام السابق فقد يتبع استعمال كلمة في بداية النص عدد كبير لا حدّ له من ضمائر (هو، عنه، له) وهي كلها تفهم بالعودة إلى الاسم الأصلي، إنّ هذه الظاهرة تسهم بشكل كبير في الترابط الداخلي للنّص بما أنّها تخلق نوعاً من الشبكة من خطوط الإحالة، بحيث يرتبط كل استعمال بكل الاستعمالات السابقة التي تصل إلى درجة الإحالة الأولى (الأصليّة)" [1].

7- كان الربط بين الجمل النّصية بالواو كثيراً، وكذلك بين عناصر نفس الجملة، في حين قلّ الربط بأدوات العطف الأخرى.

8- بلغت الروابط الإحالية في حدّها الأقصى عشرة روابط في الجملة الواحدة، وفي حدها الأدنى رابطان في الجملة الواحدة، وهذا يؤكد على قوة الترابط والتعالق في لغة الجاحظ، وقوة التماسك النصي، إذ إنّه كلّما زادت الإحالات في الجملة، زاد اعتمادها على غيرها في فهمها، واضمحلّ استقلالها بنفسها، فتزايدت قوتها الربطيّة، وقدراتها التماسكيّة، وكل ذلك يدعم سمة النّصّيّة[2] في الكلام" وكلّما قدم الكاتب نصاً مترابطاً ومرتباً أصبح التماسك في عقل القارئ أكثر وضوحاً"[3].

9- أسهمت الإحالات المختلفة في النص السابق في تحقيق الاختزال والاختصار في النص، وهو ما أشرنا إليه سابقاً، وخاصةً عند حدثينا عن الإحالة بالعطف، وهذه حقيقة يشير إليها جوفري ليتش وميخائيل شورت، فهما يقولان: " إنّ الاتساق يتضمن، بشكل مستمر، مبدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا متقين بذلك التعبير المكرر عن الأفكار المعادة"[4]. ومن الجدير بالذكر أنّ علماء النص المحدثين اتفقوا على أنّ النص تشتغل فيه" شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة، وهذا مدخل الاقتصاد في نظام المعوّضات في اللغة، إذ تختصر هذه الوحدات الإحاليّة العناصر الإشارية وتجنّب مستعملها إعادتها وتكرارها"[5].

10- لم تعمل أدوات الإحالة منفردة في النص، " بل كان بعضها يعضد البعض الآخر، ويتلاحم معه في نفس الإطار، فالتوّحد بين عناصر السبك النّحوي والمعجمي والصوتي،

---

[1] - براون، جوليان، يول، جورج، تحليل الخطاب، نقلاً عن هاليدي ورقية حسن ص52.

[2] - النّصيّة: تمثّل النّصانيّة قواعد صياغة النّص، وقد استنبط دوبوجراند ودريسلر سبعة معايير يجب توّفرها في كلّ نص وهي: الاتساق، الانسجام، القصد، القبول، الإعلام، السّياق، التناص. وإذا كان أحد هذه المعايير غير محقّق فإنّ النّص يعدّ غير اتصالي.

[3] - Alden ,Moe,Cohesion, Coherence and the comprehension of text,journal of reading,october , 1979. pp. 18

[4] - خطابي، محمد، لسانيات النص، ص 228.

[5] - الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص 121.

والـذي يدعمــه البعـد الـدلالي، مظهـر واضـح مـن مظـاهر فصـاحة الكاتـب وامتلاكـه لأدواته"[1].

11- خلق الكاتب انتظاماً إيقاعيّاً أفقيّاً ورأسيّاً في بنية نصوصـه كمـا هو واضـح فـي القصـة السابقة، فقد استفاد من الطاقة التوظيفيّة لكل من السجع والتوازي، وبنـى نصـاً متلاحم الأجزاء، متوّسط العبارات، وجعل هندسـة كلماتـه إيقاعيّـة يغلـب عليهـا الجـرس والموسيقا ومن ذلك قوله مثلاً: " أحوصُ الفتق وفتق الفتـق، وأرفـع الخـرق وخـرق الخـرق" وضـمّن قصـته الشـعر وهـو مـا نلاحظـه فـي كثيرٍ من القصـص والرسـائل " وثمـة خاصـية مميّـزة تجمع بين المنثور والمنظوم فـي إطـار واحـد، وتجعل ورودهمـا متجـاورين أمـراً منطقيـاً، فـإذا كـان الكاتـب فـي النثـر يعتمـد علـى مـا يقدّمـه السـجع من إيقـاع منـتظم يـلازم المعـاني المطروحة – فإنّه حينما يكرّر تلك المعاني فهو يعتمد علـى مـا يقدّمـه الـوزن الشـعري مـن إيقاع مختلف، ومـع كل هذا يتأكّد لنـا أهميـة وجـود الإيقـاع بشـكل دائـم... باعتبـاره وسـيلة إقناع"[2].

12- أظهـر هـذا الترابط فـي عمل أدوات الإحالـة حرصـاً مـن الكاتـب علـى إبـراز فصـاحته ووضـعها فـي إطـار بنـائيّ متميّـز بحيث يشـكل تلاحمهـا كتلـة متماسكة تسمّى نصـاً. وهـذا التلاحم البنائيّ منبعه توحّد نفسي واستقرار ذهني لدى الكاتب، فهو لا يريد فقط بنـاء نـص متماسك بل يريد أيضاً إظهـار ثقافتـه ورصـانة أسـلوبه للمتلقـي، وقـد ظهـر ذلـك مـن خـلال توظيفه للشعر وللقرآن الكريم وللأمثال العربية وللحديث النبوي في نصوصه.

نتائج الفصل الرابع:

1-كان التّناص في الرسائل أكثر وروداً من حيث الكم من النـوادر والقصـص، ويمكننـا تفسـير ذلك بطبيعة الرسـائل التـي تناولـت أغراضـاً مثـل المعاتبـة والشـكوى كمـا فـي رسـالة سـهل بـن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زيـاد، حين ذمـوا مذهبـه فـي البخـل، وتتبّعـوا كلامه في الكتب، والذم والتشنيع كما في رسالة أبـي العـاص بـن عبـد الوهـاب ابـن عبـد المجيـد الثقفي إلى الثقفي، وجـواب ابـن التـوأم عليـه فـي موضـع الـدفاع عـن نفسـه، كـل ذلـك أسـهم فـي زيادة التناص في الرسائل، وأكثر ما زادت كميـة التنـاص فـي ردّ ابـن التـوأم علـى رسـالة أبـي العاص، فقد حاول فيها الكاتب إظهار براعته وتفوّقه الأدبي على الرسـالة الأولـى، ناهيـك عـن اعتماده على التناص مع الرسالة الأولى.

2-كان التناص فـي القصـص الأكثـر وروداً مـن حيـث الكـم بعـد الرسـائل؛ ويمكننـا تفسـير ذلـك باعتماد القصص على بنية الحكايّة، فقد انقسمت كل قصّـة إلـى عنـاوين جزئيـة، وكـل عنـوان

[1] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص70.
[2] - فرج، د. حسام أحمد، نظرية علم النص، ص 121.

جزئي يمّثل بحد ذاته حكاية تتناول هذا البخيل أو ذاك، فالعنوان الجزئي يمّثل حكاية مستقلة، لها بداية ونهاية، وحبكة، وشخصيات، وزمان ومكان وهذا التوظيف للحكاية له ما يبرّره لدى الكاتب، فهو يستغلّ الميل الفطري لدى الإنسان لحبّ الحكايّة، فتصبح الحكايّة وسيلة تجذب القارئ، من بداية القصة وحتى نهايتها، كما أنّ الحكاية وسيلة للإقناع لاعتمادها على حقائق وأسماء مشهورين.

3-أكثر مصادر التناص تواتراً في نصوص البخلاء من حيث الكم، كان الشعر، فقد احتل الكمّ الأكبر في الرسائل والنوادر والقصص، وهذا التواتر له ما يبرّره، فالتناص بالشعر العربي مثلاً يحقّق نظرة الكاتب إلى التفاعل بين الحاضر والماضي، فيرى أنّ الحاضر ينبغي أن يغيّر من الماضي بقدر ما يوّجه الماضي الحاضر.

4- للسياق في الرسائل دورٌ في الإحالة، فالنص لا يكتمل برسالة واحدة، ولا بد له من نص يكمله هو رد المتلقي، إذ يشترك في بناء النص طرفان هما المرسل والمتلقي، ويغدو بذلك المرسل متلقيّاً والمتلقي مرسلاً من خلال الردّ الذي يتحول فيه المتلقي من قارئ إلى كاتب، فالرد بذلك إحالة إلى رسالة المرسل التي تشكّل مع الرد نصّاً واحداً متكاملاً.

5-الحكاية عند الجاحظ تدور في دائرة مفتوحة، وتتناسل الحكايات بعضها من بعض، بحيث تنبثق اللاحقة من رماد السابقة وتحيل إليها.

6-السرد عند الجاحظ يعتمد على الأسلوب المباشر في نقل الكلام، إما بأسلوبه الخاص، وعندئذٍ يستخدم مفردات من مثل (حدّثني، أخبرني، سمعت) وإما ينقله كما ورد على لسان قائله، ويستخدم عندئذٍ مفردات من مثل (قال، حكى، قالت) دون أن ينسى أن يدعم حكاياته بالسند والرواية.

7-خلق الجاحظ انتظاماً إيقاعيّاً أفقيّاً ورأسيّاً في بنية نصوصه كما هو واضح في قصة ليلى الناعطيّة، فقد استفاد من الطاقة التوظيفية لكلّ من السجع والتوازي، وبنى نصّاً متلاحم الأجزاء، متوّسط العبارات، وجعل هندسة كلماته إيقاعيّة يغلب عليها الجرس والموسيقا.

8-بلغت الروابط الإحالية في حدّها الأقصى عشرة روابط في الجملة الواحدة، وفي حدها الأدنى رابطان في الجملة الواحدة، وهذا يؤكد على قوة الترابط والتعالق في لغة الجاحظ، وقوة التماسك النصي، إذ إنه كلما زادت الإحالات في الجملة، زاد اعتمادها على غيرها في فهمها، واضمحل استقلالها بنفسها، فتزايدت قوتها الربطيّة، وقدراتها التماسكية، وكل ذلك يدعم سمة النصية في الكلام.

9- أظهر الترابط في عمل أدوات الإحالة الداخلية حرصاً من الكاتب على إبراز فصاحته، ووضعها في إطار بنائي متميّز بحيث يشكّل تلاحمها كتلة متماسكة تسمّى نصّاً، وهذا التلاحم البنائي منبعه توّحد نفسي واستقرار ذهني لدى الكاتب، فهو لا يريد فقط بناء نص متماسك،

بل يريد أيضاً إظهار ثقافته ورصانة أسلوبه للمتلقي، وقد أظهر ذلك من خلال توظيفه للشعر والقرآن الكريم والأمثال العربية والحديث النبوي الشريف في نصوصه.

الخاتمة

حاولت هذه الدّراسة أن تقدّم تحليلاً لنصوص البخلاء، على مالها من خصوصيّة باعتبارها نصّاً عربيّاً قديماً، عبر دراسة البنية الإحاليّة فيها، كما حاولنا الكشف عن أدوات الإحالة التي تحقق انسجامها وتماسكها النّصي على المستوى الداخلي للكلمات والجمل، وعلى المستوى الخارجي للمتكّلم والمخاطب ووسائل الربط الدّلالي في كلٍ منهما، وقد توّصلنا بعد هذه الدّراسة اللّسانيّة النّصيّة للمدوّنة إلى رصد مجموعة من النتائج نوضحها في النقاط الآتية:

1-للإحالة نوعان: إحالة داخليّة بين عناصر النص ولها نوعان: إحالة داخليّة قبليّة، وإحالة داخليّة بعديّة، والنوع الثاني: الإحالة الخارجية تكون علاقة النص فيها أو بعض عناصره ذات علاقة مع السياق الخارجي.

2-كل جملة تحمل قيمة إحاليّة؛ لأنّها تختصر كلاماً كثيراً أو تحيل على جزء من النص أو على جملٍ أو كلامٍ كثيرٍ.

3-للإحالة دورٌ فعّال في تحقيق الربط، والتعويض، والاختصار والانسجام أو التماسك المعنوي بين العناصر المتباعدة في نص ما.

4- أكثر الإحالات الخارجيّة كانت في نصوص الرسائل، ويمكننا تفسير ذلك بما تميّزت به الرسائل من طبيعة خاصة في مدح كرم العرب كرسالة ابن التوأم ورسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، وذمّ بخل الأعاجم كرسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى

بني عمه من آل زياد، واحتواء الرسالة على أكثر من محال إليه زادت من نسبة الإحالة فقد رأينا الإحالة الخارجية مثلاً تتوزع في رسالة سهل بن هارون بينه وبين محمد بن زياد، وكلّما زادت الشخصيّة التي يتحدّث عنها أهميةً زادت الإحالة التي تؤكد على الوجود المستمر لها وفاعليتها في صنع الإحداث، وكذلك احتوت رسالة ابن التوأم على شكل من أشكال الحوار باعتبارها جاءت ردّاً على رسالة أبي العاص إلى الثقفي، فكان ثمة تشابه بنائي بينهما، فعندما صاغ أبو العاص رسالته على شكل حوارٍ قائمٍ على المحاجات، ألزم ابن التوأم نفسه أن يشكل رسالته على نفس المنوال، فزادت بذلك الإحالة الخارجية تواتراً في الرسائل.

5-غلبة ضمير الغائب على الإحالات الخارجيّة جاء من رغبة الجاحظ في أن يجعل نفسه خارج نصوصه، ويترك أحداث قصصه تقدّم نفسها للقارئ، وهذا يعني أن هناك ذاتاً مستمرة (حاضرة بقوة) في النصوص جميعها، فضمير الغائب يفصل بين زمنية المتحدث عنه وزمنية القول ذاته، لما يقوم به هذا الضمير من زمن " كان " هو وهذا يعطي القارئ فرصة التصديق أو عدمه.

6-رأينا أنّ الإحالة الخارجيّة علاقة موجودة بين نص أو بعض عناصره وبين السياق الخارجي، وهذا يوّجه إلى أنّ النص يُفسّر بإشارات ومعانٍ قائمة بالخارج، وتُعدّ هذه الإشارات منه بمنزلة الأسباب التي أوجدته، لذا إذا فُهمت هذه الأسباب الخارجية زال إشكال الإبهام، وحصل بالتالي فهم دلالة النص بواسطة هذه الإحالة الخارجيّة.

7- كانت الإحالة الخارجيّة إلى الجاحظ (الراوي) هي النسيج الرابط لهذه النصوص، إذ تتوفر في هذه النصوص وحدة الراوي(الجاحظ)، ووحدة البطل(البخلاء) في الغالب، ووحدة المكان (البيئة العباسيّة على امتداد مساحتها)، ووحدة الزمان (القرن الثالث الهجري) بل ووحدة القضية أو الغرض والمتمثل في توجيه نقدٍ لاذعٍ للأثرياء وأصحاب السلطان والجاه في ذلك العصر، لأنهم دفعوا الناس إلى التفكير في أساليب الاحتيال والتّكدي من أجل كسب قوت يومهم فكانت نصوص البخلاء بمنزلة السجل الذي يجمع بين دفتيه ذلك الواقع المرير والمؤلم.

8-يحيل ضمير الجمع (نا) المرتبط بالفعل (حدّث) أو ضمير المتكلم (ي) المرتبط بالفعل (حدّث) إحالة نصيّة خارجيّة إلى راوٍ غير متعين في الزمان والمكان، وتكرار هذه الجملة في نصوص المدوّنة يوحي بمدى ترابط النصوص فيما بينها على الرغم من ظهورها المفرّق في شكل نوادر ورسائل وقصص.

9-قام الجاحظ بإقحام إحالات خارجيّة متعددّة المراجع والآليات ضمن النص الواحد، بحيث ينغلق المعنى على القارئ، بسبب غموض هذه الإحالات وتقاطعها وتصادمها، فتغيّبت الدلالة

وتشتّتت أمام القارئ، ممّا اضطّره إلى بذل جهدٍ مساوٍ للجهد الذي بذله الجاحظ في نسجه لهذه النصوص، وهذا يجعل القارئ يعيش تجربةً مشابهةً في القراءة لتجربة الجاحظ في الكتابة.

10- وجدنا أنّ الجاحظ لا يعتمد كثيراً على الإحالات النّصيّة الداخليّة والتي تحقّق له التماسك النّصي، بل يحلّ نصوصه من روابطها من خلال التركيز على نوع آخر من الإحالة وهي الإحالات السياقيّة الخارجيّة التي يتم فيها التركيز على علاقة العنصر الإحالي بالعنصر المحال إليه والتي تحققّ مستوى آخر من التماسك وهو الانسجام الدلالي.

11-أكثر عناصر الإحالة الإشارية تواتراً في نصوص البخلاء هو ما دلّ على البعد (ذلك)، ثمّ جاء العنصر الإحالي الإشاري الدال على القرب (هذا) في الدرجة الثانية، ولوحظ شيوع العنصر الإشاري الدال على البعد في القصص أولاً، ثم في الرسائل، في حين شاع العنصر الإشاري الدال على القرب في النوادر، وهذا يؤكّد لنا قرب عهد الجاحظ بتلك النوادر التي ساقها، ولا سيّما أنه خصّها في الفرس والبخلاء المغالين، وهذا ما يعزّز دفاع الجاحظ عن العرب وبعدهم عن هذه الصفة الذميمة مقارنة بالفرس، ومن هنا جاء استخدامه العنصر الإشاري الدال على البعد في قصصهم.

12-أكثر الروابط الإحالية الإشارية تواتراً في نصوص البخلاء كانت في القصص، وشيوعها في القصص يعود إلى احتوائها على العنصر الحكائي، ووجود العنصر الحكائي يقود إلى كثرة الجملة الفعلية ومن ثم فقد كثرت الإحالة الإشارية عما يحكى عنه، وعمن يسند إليه القيام بهذه الأفعال.

13 -أكثر الروابط الإحالية الإشارية تواتراً في القصص، كانت في قصص البخلاء الحكماء الواعظين وهي (قصة أسد بن جاني، قصة أبي سعيد المدائني، قصة تمام بن جعفر) وقصص البخلاء النفسية وهي (قصة الحزامي، وقصة أبي جعفر الطرسوسي، وقصة الكندي) وهذا يعود إلى حاجة هذه القصص دون سواها إلى الإقناع وإقامة الحجة والبرهان على السامع، والتأثير فيه من خلال الوعظ والإرشاد بنماذج من البخلاء.

14- أكثر الأسماء الموصولة تواتراً في نصوص البخلاء هو (ما)، ثم جاء الاسم الموصول (مَنْ) في الدرجة الثانية، ولوحظ شيوع الاسم الموصول (ما) في الرسائل أولاً ثمّ في القصص، ثم في النوادر، وهذا الشيوع الملحوظ له في (الرسائل) يعود فيما نحسب إلى تميّزها باستخدام بنية الشعر، والأمثال العربية، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف في أجزاء كثيرة منها، تدعيماً لفكرته التي يناقشها.

15-أكثر الضمائر تواتراً في نصوص البخلاء هو ضمير (الغائب)، ثم جاء ضمير المتكلم في الدرجة الثانية، وفي الدرجة الثالثة جاء ضمير المخاطب، فالضمير المحيل إلى الغائب هو الذي قام بوظيفة الربط بين الفقرات، فلا تخلو منه فقرة في أي نص من النصوص

المدروسة، والضمير المتكلم أذهب الفوارق الزمنية داخل النص، وغاص في أعماق النفس الإنسانية في النصوص التي شاع فيها، والضمير المخاطب وظفّ الزمن الحاضر والمستقبل عند المتلقي.

16-غلب على الضمائر المنفصلة اقترانها بواو الحال في الأغلبيّة العظمى من النصوص، وهذا البناء له دوره ودلالته على صعيد الإحالة؛ فقد أدّت هذه البنية وظيفة محددة هي وظيفة الإيضاح أو البيان ليس لأمرٍ مبهمٍ؛ لأن الضمير المشير إلى المتقدّم ذاته غاية في الإبهام، ولكنه يصل بين الاسم الظاهر المتقدم وما يليه.

17-أدّت الضمائر دوراً مهماً في تحقيق التماسك والربط على مستوى الجملة الواحدة، وعلى مستوى النص، لأن الربط قد تعدّى حدود الجملة الواحدة إلى الجملتين أو أكثر، وكذلك تجاوزت الضمائر حدود النص الواحد، لتربط النصوص بعضها ببعض.

18-أكثر أدوات العطف تواتراً في نصوص البخلاء هي (الواو) ثم جاءت الفاء في المرتبة الثانية، ومن ثم جاءت (ثمّ)في المرتبة الثالثة.

19-أسهمت الواو في الربط بين العناصر السابقة واللاحقة في النصوص من خلال الربط بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، أو الربط بين أجزاء النص، ومن ثم الربط بين النصوص.

20-أكثر الروابط العطفيّة تواتراً في نصوص البخلاء كانت في القصص ثم في الرسائل ثم النوادر، وهذا له مؤشر دلالي يمكننا تفسيره بأن القصص اعتمدت على حشد الأخبار بشكل تراكمي قائم على مقدار التشابه في الوصف التحليلي لنفسية البخلاء، فالتحليل النفسي يتطلب من الكاتب استخدام أدوات العطف التي تساعده في إيصال المعنى أكثر من الأدوات الأخرى، فعلى طريق الاستقصاء لا يذكر الجاحظ خبراً واحداً، ولكنه يذكر أكثر من خبر، ويقدّمها مجتمعةً في نفس الإطار مستغلاً أدوات الوصل.

21-أكثر المقارنة تواتراً في النصوص المدروسة هي المقارنة الخاصة ولا سيّما مجيء اسم التفضيل متبوعاً بمن، ليبيّن أن شيئاً زاد في صفة نفسه على شيء أخر في صفته فلا يكون بينهما وصف مشترك، في حين جاءت المقارنة العامة في المرتبة الثانية.

22-أكثر أدوات التعريف تواتراً في النصوص هي (أل) العهدية، في حين جاءت (أل) الموصولة في المرتبة الثانية، وجاءت أل الجنسية في المرتبة الثالثة. فزادت (أل) العهدية بذلك من التماسك والترابط بين أجزاء وجمل النصوص؛ فالكلمة الثانية المعرّفة بأل هي بمنزلة الضمير، والكلمة المحال إليها أو النكرة السابقة، بمنزلة مرجعه، ولا يفهم الضمير إلاّ بمعرفة مرجعه، وأل هي الرابطة بينهما.

23-اتفاق النصوص جميعها التي ينهض عليها كتاب البخلاء (قصص، رسائل، نوادر) في الترتيب الكمي لنسبة تواتر الأنماط التكرارية فيها.

24-سيطر التكرار بأنماطه المختلفة على نصوص البخلاء سيطرةً واضحة؛ إذ باتت هذه الوسيلة الاتساقية متحكمّة أشدّ التحكمّ في النسيج النصّي، فبدت الألفاظ والعبارات مكررة بكثرة لازمة ولافته للانتباه، مما صبغ الكتاب بصبغة خاصة ميّزته عن النصوص التراثية الأخرى.

25-أسهم التكرار في تعزيز الترابط الإحالي بين العناصر المتكررة والبنى النصيّة التي ترد فيها، وذلك بالإحالة إلى العنصر الإشاري المذكور أول الأمر في النص، وإعادة ذكره مرةً أخرى في مقام الحاجة السياقية إليه، ممّا يزيد النص تماسكاً شكلياً و انسجاماً دلالياً، إلى جانب استحضار العنصر الإشاري وتقليبه في صور مختلفة من العبارة، فالعناصر المتكررة تُسهم في تواشج جمل النص، فضلاً عن منحها تتابعاً شكلياً وفاعلية دلالية، كما أنها ترتبط بالعناصر الإشارية، وترتّد إليها شكلياً ودلالياً، وتشحنها بمزيدٍ من المعاني المستفادة من سياق ورودها؛ لأنها تستلّ دلالات إضافية من سياقاتها الجديدة فتثري دلالات العناصر الإشارية.

26-أدّت العوامل النحوية دوراً في الإحالة من خلال ضمّها لأجزاء الكلام بعضها إلى بعض، وتعليق بعضها ببعض.

27-للإسناد دورٌ في تحقيق الإحالة، فالمسند يحيل إلى المسند إليه ويرتبط به دائماً، وكذلك شاركته قرائن التخصيص والنسبة والتبعية والرتبة.

28-بلغت الروابط الإحالية في حدّها الأقصى عشرة روابط في الجملة الواحدة، وفي حدها الأدنى رابطان في الجملة الواحدة، وهذا يؤكد على قوة الترابط والتعالق في لغة الجاحظ، وقوة التماسك النصي، إذ إنه كلما زادت الإحالات في الجملة، زاد اعتمادها على غيرها في فهمها، واضمحلّ استقلالها بنفسها، فتزايدت قوتها الربطيّة، وقدراتها التماسكيّة، وكل ذلك يدعم سمة النّصيّة في الكلام.

29-خلق الجاحظ انتظاماً إيقاعياً أفقياً ورأسياً في بنية المدوّنة، فقد استفاد من الطاقة التوظيفية لكلٍ من السجع والتوازي، وبنى نصّاً متلاحم الأجزاء، متوّسط العبارات وجعل هندسة كلماته إيقاعية يغلب عليها الجرس والموسيقى.

30-أظهر الترابط في عمل أدوات الإحالة حرصاً من الكاتب على إبراز فصاحته، ووضعها في إطار بنائي متمّيز بحيث يشكّل تلاحمها كتلة متماسكة تسمّى نصّاً، وهذا التلاحم البنائي منبعه توّحد نفسي واستقرار ذهني لدى الكاتب، فهو لا يريد فقط بناء نص متماسك، بل يريد أيضاً إظهار ثقافته ورصانة أسلوبه للمتلقي، وقد أظهر ذلك من خلال توظيفه للشعر والقرآن الكريم والأمثال العربية والحديث النبوي الشريف في نصوصه.

31-أدّت علامات الترقيم دوراً بيّناً في الإحالة السابقة واللاحقة، فضلاً عن الربط بين الجملة الواحدة وبين الجمل.
32-كان التناص في الرسائل أكثر وروداً من حيث الكم من النوادر والقصص، ويمكننا تفسير ذلك بطبيعة الرسائل التي تناولت أغراضاً مثل المعاتبة والشكوى كما في رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد، حين ذموا مذهبه في البخل، وتتبعوا كلامه في الكتب، والذم والتشنيع كما في رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي، وجواب ابن التوأم عليه في موضع الدفاع عن نفسه، كل ذلك أسهم في زيادة التناص في الرسائل، وأكثر ما زادت كمية التناص في ردّ ابن التوأم على رسالة أبي العاص، فقد حاول فيها الكاتب إظهار براعته وتفوّقه الأدبي على الرسالة الأولى، ناهيك عن اعتماده على التناص مع الرسالة الأولى.
33-كان التناص في القصص الأكثر وروداً من حيث الكم بعد الرسائل؛ ويمكننا تفسير ذلك باعتماد القصص على بنية الحكاية، فقد انقسمت كل قصّة إلى عناوين جزئيّة، وكل عنوان جزئي يمّثل بحد ذاته حكاية تتناول هذا البخيل أو ذاك، فالعنوان الجزئي يمّثل حكاية مستقلة، لها بداية ونهاية، وحبكة، وشخصيات، وزمان ومكان وهذا التوظيف للحكاية له ما يبرره لدى الكاتب، فهو يستغلّ الميل الفطري لدى الإنسان لحب الحكاية، فتصبح الحكاية وسيلة تجذب القارئ، من بداية القصة وحتى نهايتها، كما أن الحكاية وسيلة للإقناع لاعتمادها على حقائق وأسماء مشهورين.
34-أكثر مصادر التناص تواتراً في نصوص البخلاء من حيث الكم، كان الشعر، فقد احتل الكم الأكبر في الرسائل والنوادر والقصص، وهذا التواتر له ما يبرره، فالتناص بالشعر العربي مثلاً يحقق نظرة الكاتب إلى التفاعل بين الحاضر والماضي، فيرى أن الحاضر ينبغي أن يغيّر من الماضي بقدر ما يوّجه الماضي الحاضر.
35- للسياق في الرسائل دورٌ في الإحالة، فالنص لا يكتمل برسالة واحدة، ولا بد له من نص يكمله هو رد المتلقي، إذ يشترك في بناء النص طرفان هما المرسل والمتلقي، ويغدو بذلك المرسل متلقياً والمتلقي مرسلاً من خلال الرد الذي يتحول فيه المتلقي من قارئ إلى كاتب، فالرد بذلك إحالة إلى رسالة المرسل التي تشكل مع الرد نصّاً واحداً متكاملاً.
36-الحكاية عند الجاحظ تدور في دائرة مفتوحة، وتتناسل الحكايات بعضها من بعض، بحيث تنبثق اللاحقة من رماد السابقة وتحيل إليها.
37-السرد عند الجاحظ يعتمد على الأسلوب المباشر في نقل الكلام، إما بأسلوبه الخاص، وعندئذٍ يستخدم مفردات من مثل (حدّثني، أخبرني، سمعت) وإما ينقله كما ورد على لسان

قائله، ويستخدم عندئذٍ مفردات من مثل (قال، حكى، قالت) دون أن ينسى أن يدعم حكاياته بالسند والرواية.

38-بلغت الروابط الإحالية في حدّها الأقصى عشرة روابط في الجملة الواحدة، وفي حدها الأدنى رابطان في الجملة الواحدة، وهذا يؤكد على قوة الترابط والتعالق في لغة الجاحظ، وقوة التماسك النصي، إذ إنه كلما زادت الإحالات في الجملة، زاد اعتمادها على غيرها في فهمها، واضمحل استقلالها بنفسها، فتزايدت قوتها الربطية، وقدراتها التماسكية، وكل ذلك يدعم سمة النصية في الكلام.

39- أظهر الترابط في عمل أدوات الإحالة الداخلية حرصاً من الكاتب على إبراز فصاحته، ووضعها في إطار بنائي متمّيز بحيث يشكّل تلاحمها كتلة متماسكة تسمّى نصّاً، وهذا التلاحم البنائي منبعه توّحد نفسي واستقرار ذهني لدى الكاتب، فهو لا يريد فقط بناء نص متماسك، بل يريد أيضاً إظهار ثقافته ورصانة أسلوبه للمتلقي، وقد أظهر ذلك من خلال توظيفه للشعر والقرآن الكريم والأمثال العربية والحديث النبوي الشريف في نصوصه.

الملحق

حكايات أبي القماقم:

الحكاية الأولى: (أول الإصلاح):

قال أبو القماقم: أوّل الإصلاح ألاّ يُردّ ما صار في يدي لك. فإن كان ما صار في يدي لي فهو لي، وإن لم يكن لي فأنا أحقّ به ممّن صيّره في يدي، ومن أخرج من يده شيئاً إلى يد غيره، مِنْ غير ضرورة، فقد أباحه لمن صيّره إليه، وتفريقك إيّاه مثل إباحته.

وقالت له امرأة: ويحك يا أبا القماقم إني قد تزوّجت زوجاً نهارياً، والساعة وقته، وليستْ عليّ هيئةٌ فاشتر لي بهذا الرغيف أساً، وبهذا الفلس دُهناً، فإنك تؤجر، فعسى الله أن يلقيَ محبّتي في قلبه، فيرزقني على يدك شيئاً أعيش به، فقد والله ساءت حالي، وبلغ المجهود منّي. فأخذهما وجعله وجهه، فرأته بعد أيام، فقالت: سبحان الله! أما رحمتني مما صنعت بي؟ قال: ويحكِ! سقط والله مني الفلس، فمن الغمّ أكلت الرغيف.

الحكاية الثانية: (عشق في المعدة):

وتعشّق واحدةً، فلم يزل يتبعها، ويبكي بين يديها، حتى رحمته، وكانت مُكثرة، وكان مقلاً، فاستهداها هريسة، وقال: أنتم أحذق بها. فلمّا كان بعد أيام تشّهى عليها رؤوساً. فلما كان بعد قليل طلب منها حيسة[1] فلمّا كان بعد ذلك تشّهى عليها طفيشيلة[1] قالت المرأة: رأيت عشق الناس يكون في القلب وفي الكبد وفي الأحشاء، وعشقك أنت ليس يجاوز معدتك.

---

[1] - جبن يطبخ بالتمر والسمن.

الحكاية الثالثة:

وقال أبو الأصبع: ألح أبو القماقم على قوم عند الخطبة إليهم، يسأل عن مال المرأة ويحصيه، ويسأل عنه. فقالوا: قد أخبرناك بمالها، فأنت أي شيء مالك؟ قال: وما سؤالكم عن مالي؟ الذي لها يكفيني ويكفيها[2].

---

[1] - نوع من المرق.

[2] - الجاحظ، البخلاء، طرائف شتّى، ص191-192.

قصة ليلى الناعطية

وأما ليلى الناعطية[1]، صاحبة الغالية من الشيعة، فإنها ما زالَت ترقعَ قميصاً لها وتلبسُه، حتى صار القميصُ الرَّقاع، وذهب القميص الأوَّل. ورَفت[2] كِساءها ولبِسته، حتى صارت لا تلبسُ إلاَّ الرَّفْو، وذَهَبَ جَميعُ الكِساء. وسمعتْ قول الشاعر:

البَسْ قميصَك ما اهْتَدَيْتَ لجيْبه فــإذا أضــلّك جيُبــه فاســتبدِل

فقالت: إنِّي إذاً لخرقاء[3]. أنا، والله، أحُوصُ الفتقَ وفتقَ الفتق، وأرقعَ الخرق وحرْقَ الخرق.

حجج البخلاء في المنع:

ومضيتُ أنا وأبو إسحاقَ النظَّامُ وعمرُو بن نُهيْوي[4] نريد الحديث في الجبان[5]، ولنتناظر في شيء من الكلام. فمررنا بمجلس وليد القرشي، وكان على طريقنا. فلما رآنا تمشى معنا فلما جاوزنا الخندق، جلسنا في فناء حائطه. وله ظل شديد السواد بارد ناعم، وذلك لثخن الساتر، واكتناز الأجزاء، ولبعد مسقط الشمس من أصل حائطه، فطال بنا الحديث وجرينا في ضروب من الكلام. فما شعرنا إلا والنهار قد انتصف، ونحن في يوم قائظ[6]. فلما صرنا في الرجوع، ووجدت مس الشمس ووقعها على الرأس، أيقنت بالبرسام[7]. فقلت لأبي إسحاق، والوليد إلى جنبي يسمع كلامي: الباطنة[8] منا بعيدة، وهذا يوم منكر، ونحن في ساعة تذيب كل شيء. والرأي أن نميل إلى منزل الوليد فنقيل فيه[9]، ونأكل ما حضر، فإنه يوم تخفيف. فإذا أبردنا تفرقنا. وإلا فهو الموت، ليس دونه شيء. قال الوليد رافعا صوته: أما على هذا الوجه لا يكون والله أبداً، فضعه في سويداء قلبك. فقلت له: ما هذا الوجه الذي أنكرته علينا رحمك الله؟ هل ههنا إلا الحاجة والضرورة؟ قال: إنك أخرجته مخرج الهزء. فقلت: وكيف أخرجه مخرج الهزء، وحياتي في يدك، مع معرفتي بك؟ فغضب ونتر[10] يده من أيدينا، وفارقنا، ولا والله ما اعتذر إلينا مما ركبنا به إلى الساعة.

---

1 - ليلى الناعطية: ذكرها الجاحظ على أنها من نساء الغالية الشيعة، وأما ناعط التي نسبت إليها فهي كما ذكر ياقوت في معجمه 8: 239. حصن في رأس جبل باليمن.

2 - رفَّ الثوبَ: رفاه بآخر ليتوسّع من أسفله.

3 - الخرقاء: الحمقاء التي لا تحسن عملها، وحاص الثوب حوصاً، وحياصةً، خاطه خياطة متباعدة، وبينهما ضيَّق (تريد أن تقول: أكون حمقاء إذا اقتصرت على ما يراه الشاعر فأنا أفعل في قميصي أكثر مما قال).

4 - عمرو بن نهيْوي: من أهل السواد ومن أصحاب النَّظَّام المشتغلين بعلم الكلام كان من جلساء الجاحظ الذي روى عنه بعض الحديث عن الكندي.

5 - الجبَّان: المقبرة.

6 - قائظ: حار.

7 - البرسام: التهاب في الحجاب الفاصل بين الكبد والقلب.

8 - الباطنة: وردت في ف (البلد) والباطنة مجمع الأسواق والدور في البصرة.

9 - القيلولة: النوم منتصف النهار.

10 - نتريده: جذبها وأخرجها بشدة

ولم أر من يجعل الأسى حجة في المنع إلا هو، وإلا ما كان من أبي مازن إلى جبل العمي.

وكان جبل خرج ليلا من موضع كان فيه، فخاف الطائف[1]، ولم يأمن المستقفي[2]، فقال لو دققت الباب على أبي مازن، فبت عنده في أدنى بيت أو في دهليزه، ولم ألزمه من مؤونتي شيئاً، حتى إذا انصدع عمود الصبح خرجت في أوائل المدلجين، فدقّ عليه الباب دق واثق ودق مدلٍ ودق من يخاف أن يدركه الطائف، أو يقفوه المستقفي وفي قلبه عز الكفاية والثقة بإسقاط المؤونة. فلم يشك أبو مازن أنه دق صاحب هدية، فنزل سريعاً.

فلما فتح الباب وبصر بجبل، بصر بملك الموت[3]. فلما رآه جبل واجما لا يحير كلمة، قال له: إني خفت معرة الطائف وعجلة المستقفي، فملت إليك لأبيت عندك. فتساكر أبو مازن، وأراه أن وجومه إنما كان بسبب السكر. فخلع جوارحه وخبل لسانه، وقال: سكران والله، أنا والله سكران. قال له جبل: كن كيف شئت. نحن في أيام الفصل. لا شتاء ولا صيف، ولست أحتاج إلى سطح فأغم عيالك بالحر، ولست أحتاج إلى لحاف فأكلفك أن تؤثرني بالدثار. وأنا كما ترى ثمل من الشراب، شبعان من الطعام، ومن منزل فلان خرجت، وهو أخصب الناس رحلاً. وإنما أريد أن تدعني أغفي في دهليزك إغفاءة واحدة، ثم أقوم في أوائل المبكرين. قال أبو مازن، وأرخى عينيه وفكيه ولسانه، ثم قال: سكران، والله أنا سكران، لا والله ما أعقل أين أنا، والله إن أفهم ما تقول.

ثم أغلق الباب في وجهه، ودخل لا يشك أن عذره قد وضح، وأنه قد ألطف النظر حتى وقع على هذه الحيلة.

---

[1] - الطائف: يعني به العسس وحرس الليل.

[2] - المستقفي: أي الذي يتبع آثار الناس لسلبهم وسرقتهم وقد وردت هذه الجملة فخاف الطائف ولم يأمن المستقفي: وردت في فخاف العسس ولم يأمن من أحد يتبعه فيضره.

[3] - انصدع: انشق.

المصادر والمراجع

(1) المصادر:

1-أبو الشمقمق، مروان بن محمد، الديوان، تحقيق: واضح محمد الصمد، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1995م.

2-الأعشى، الديوان، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط7، 1983م.

3-الأصفهاني، أبو الفرج(علي بن الحسين)، الأغاني، القاهرة: دار الكتب المصريّة، 1956م.

4-الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، مصر: دار المعارف ط2، 1972م.

5-ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني، بديع القرآن، تحقيق: الدكتور حنفي محمد شرف، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط 2، 1971م.

6-ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده د . ط و د . ت.

7-ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، أمالي ابن الحاجب، ، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، بيروت : دار الجيل، عمّان: دار عمّار، د.ط، 1989م.

-الكافية في النحو، شرحه: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، بيروت: دار الكتب العلمية، د . ط.

8-ابن جني، الخصائص، أبو الفتح عثمان، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د . ط و د . ت.

9-ابن حجّاج، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط1، 2006م.

10-ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، د.ط، د.ت.

11-ابن رشيق، العمدة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجيل، ط5، 1981م.

12-ابن شدّاد، عنترة، الديوان، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، 1964م.

13-ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي، كتاب عيار الشعر، تحقيق د . عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم، د. ط، 1985.

14-ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، ط1، 2000م.

15-ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية الإمام أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك، مطبعة السعادة، ط1، 1964م.

16-ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م.
17-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت.
18-ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي، البديع في البديع في نقد الشعر، حققّه: عبد .آ، علي مهنّا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987م.
19-ابن هشام، جمال الدين، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، سعيد الأفغاني، حلب: جامعة حلب، 1972م.
20-ابن يعفر النهشليّ، الأسود، الديوان، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، مديرية الثقافة العامة، 1970م.
21-ابن يعيش، موفق الدين يعيش ابن علي النحوي، شرح المفصّل للشيخ إدارة الطباعة المنيرية د. ط و د. ت.
22-الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مصر: دار المعارف، ط3، د . ت.
23-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، صحيح البخاري، اعتنى به: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علّوش، مكتبة الرشيد، ناشرون: الرياض، ط2، 2006م.
24-البكري، أبو عبيد، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عبّاس وعبد المجيد عابدين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1971.
25-التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د . ط 1977م.
26-التوحيدي، أبو محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1998م.
27-الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، طبعة القاهرة: 1980م.
28- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، القاهرة: دار الكتب، د.ط، 1944م.
29-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري، البخلاء، حققّه وعلّق عليه: طه الحاجري، مصر: دار المعارف، ط5، د . ت.
-البخلاء، قدّم له وحقّقه الشيخ: محمد سويد، راجعه مصطفى قصّاص، دار إحياء العلوم، د . ط و د. ت.
-البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1968م.
30-الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز (في علم المعاني)، صحّح أصله: الإمام محمد عبدة والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، صحّح حواشيه: السيّد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط1، 1978م.

31-الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، د. ط و د . ت.
32-الخفاجي، ابن سنان، سرّ الفصاحة، بيروت: دار الكتب العلمية ط1، 1982م.
33-الذبياني، الشّماخ بن ضرار، الديوان، تحقيق: صلاح الدين الهادي، مصر: دار المعارف، د.ط، ود.ت.
34-الرّضي، الشريف، نهج البلاغة، شرح : محمد عبده، بيروت: مكتبة الأندلس، د.ط، 1954م.
35-الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، كتاب اللامات، تحقيق: د. مازن المبارك، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة الهاشمية، د. ط 1969م.
-الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، د. ط 1973م.
36-الزركشي، بدر الدين محمد عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي، الشيخ إبراهيم عبدالله الكردي، دار المعرفة، ط2، 1994م.
37-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، المفصّل في علم العربية، وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصّل، النعساني، محمد بدر الدين أبي فراس الحلبي، بيروت: دار الجيل، ط2، د. ت.
- أساس البلاغة، بيروت: دار صادر، ط1، 1992م.
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معّوض وشارك في التحقيق د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط1، 1998م.
38-السجلماسي، أبو محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، ط1، 1980م
39-السّكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1987م.
40- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، د. ط و د. ت.
41-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر، طبعة حيدر أباد 1359.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، قام بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني محمد أمين الخانجي وشركاه، ط1، د . ت.
-الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د.ط، 1987م.
-تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1986م.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، علي محمّد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر د. ط و د. ت.
42-الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، د.ط، د.ت.
43-الضُّبَعيّ، المتلمس، الديوان، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربيّة، ط1، 1970م.
44-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) تحقيق: علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952م.
-جمهرة الأمثال، حققّه: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطايش، بيروت: المكتبة العصريّة، ط1، 2003م.
45-العكبري، أبو البقاء، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المسمّى التبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح: مصطفى السّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، د. ط و د. ت.
46- فخر الدين، محمدالرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، قدّم له: الشيخ خليل محمد الدين الميس، دار الفكر، د.ط، 1993م.
47-الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة ط1، 1955م.
48-الفراهيدي، أبو عبد الرحمن بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د . محمد المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1988م.
49-القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب المصرية، 1926م.
50-القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمّد الحبيب ابن الخوجة، دار المغرب الإسلامي، ط2، 1981م.
51-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط5، 2003م.
52-القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، د.ط، 1989م.
53-القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط2، 1984م.
54-الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الأندلسي، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت:عالم الكتب، ط2، 1985م.
55-المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخّراط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1975م.

56-المبّرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب، د. ط و د. ت.
57-المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، 1983م.
58-الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار المعرفة، د. ط و د. ت.
59-الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، د.ط، 1994م.

(2)-المراجع العربيّة:

1-أبو السعود، صابر بكر، النحو العربي، دراسة نصيّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، 1988م.
2-أبو غزالة، إلهام، حمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، وولفجانج دريسلر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1971م.
3-أوكان، عمر، دلائل الإملاء وأسرار الترقيم، إفريقيا الشرق، د. ط و د. ت.
4-إبراهيم، عبد الله، المتخيل السردي، بيروت& الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م.
5-إلياس، منى، سلطاني، محمد علي، فصول في النحو، دمشق: المطبعة التعاونية، جامعة دمشق، د.ط، 1982م.
6-بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 2005م.
-ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 2006م.
-علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2004م.
-نظرية التبعية في التحليل النحوي، دار الفكر العربي، ط1، 1998م.
7-بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار المعارف د. ط، 1969.
8-جبر، جميل، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، د.ط، ود.ت.
9 -حاطوم، أحمد، كتاب الإعراب، محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، 1992م.
10-حبلص، محمد يوسف، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، ط1، 1991م.
11-حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، القاهرة: عالم الكتب، ط2، 2000م.
-اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1973م.

12-حسن، حسين الحاج، أعلام في العصر العباسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1985م.
13-حسن، عباس، النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، مصر: دار المعارف، ط5، 1974.
14-الحسين، أحمد جاسم، الإملاء والتحرير العربي، دمشق: أعدّ الكتاب وفقاً لخطة كليات المعلمين في المملكة العربية السعودية، د.ط، 2003 م. 7
15-الحلواني، محمد خير، أصول النحو العربي، اللاذقية: جامعة تشرين، د.ط، 1979م.
-الواضح في النحو والصرف، حلب: المكتبة العربية، ط2، 1975م.
16-حمو الحاج، ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، 2005م. 31
17-خطابي، محمّد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء & بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م.
18-خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.
19-خليل، حلمي، الكلمة(دراسة لغويّة معجميّة)، دار المعرفة الجامعيّة، ط2، 1993م.
20-الخولي، محمد علي، معجم علم اللّغة النظري، بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1982م.
21-ربابعة، موسى، التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، مؤتمر النقد الأدبي، الأردن: جامعة اليرموك، 1988م.
22-رضا، أحمد، مولد اللغة، بيروت: دار الرائد العربي، لبنان 1983م.
23-زرقة، أحمد، لغة الكتابة، دار الينابيع، د. ط و د. ت .
24-الزّناد، الأزهر، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً، الدار البيضاء & بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م.
25-السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، ط1، 1981م.
26- سرحان، هيثم، الأنظمة السيميائيّة، دراسة في السرد العربي القديم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م.
27- سعد، فاروق، مع البخلاء، عرض دراسي لكتاب البخلاء، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ط1، 1971م.
28-السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، د. ط، د . ت.
1971م.
29-الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تونس: المؤسسة العربية للتوزيع، ط1، 2001م.
30-الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى عالم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008م.
31-العبد، محمد، اللغة والإبداع الأدبي، القاهرة: دار الفكر، د.ط، 1983م.

32-عبد الجليل، عبد القادر، المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحويّة والصرفيّة، عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
33-عبد الحميد، محمد محي الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، حمص: منشورات جامعة البعث مديرية الكتب والمطبوعات، د.ط،
34-عبد اللطيف، محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، الكويت: مطبوعات الجامعة، جامعة الكويت 1984م.
35-عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيان النصيّة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) 1998م.
36-عزام، محمد، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، 2001م.
37-عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001م.
38-عكاشة، عمر يوسف، النحو الغائب، دعوة إلى توظيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003م.
39-علّوش، جميل، الإعراب والبناء، دراسة في نظريّة النحو العربيّ، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1997م.
40-عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، ط2، 1988م.
41-عويس، د. محمد، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ، دار الثقافية للطباعة والنشر، د.ط، 1977م.
42-عيّاد، شكري محمود، القصة القصيرة في مصر، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1968.
43-عياشي، منذر، مقالات في الأسلوبية، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1990م.
44-العيد، يمنى، في القول الشعري، الرباط: دار توبقال للنشر، ط1، 1987م.
45-فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، تقديم الأستاذ الدكتور سليمان العطار والأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي، القاهرة: مكتبة الآداب، ط2، 2009م.
46-فرنسيس، مريم، في بناء النص ودلالته (1) (محاور الإحالة الكلامية)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، 1998م.
-في بناء النص ودلالته (2) (نظام النص التخاطبي–الإحالي) دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، 2001م. 17
47- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكيّة، ، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، 2000م

48-قدوّر، أحمد محمدّ، مبادئ اللسانيات، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط2، 1999م.
49-قيّاس، ليندة، لسانيات النص، النظرية و التطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجاً، تقديم: أ . د. عبد الوهاب شعلان، القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 2009م.
50-كليطو، عبد الفتاح، الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، بيروت:دار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1982م.
51-مجذوب، عز الدين نشر، المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، سوسة: كلية الآداب، دار محمد علي الحامي، ط1، 1998م.
52-مجموعة من المشاركين، تقنيات الكتابة الإبداعية، السرد نموذجاً، إشراف د. صلاح فضل، جائزة الشارقة للإبداع العربي، الدورة الثانية، إبريل 1999م الشارقة: إصدار دائرة الثقافة والإعلام، جامعة الشارقة 2005م.
53-مدّاس، أحمد، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، الأردن: عالم الكتب الحديث، ط1، 2007م.
54-مريدن، عزيزة، القصة والرواية، دمشق: دار الفكر د. ط 1980م.
55-مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، عربي عربي، لبنان: مكتبة ناشرون، ط2، 2000م.
-معجم مصطلحات النقد العربي القديم، عربي عربي، لبنان: مكتبة ناشرون، ط1، 2001م.
56-مطهري صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003م.
57-مفتاح، محمد، الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م.
-تحليل الخطاب الشعري (استراتيجة التناص)، بيروت& الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م.
58-موسى، داليا أحمد، الإحالة في شعر أدونيس، دمشق: دار التكوين، ط1، 2010م.
59-نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د. ط، 2002م.
60-وهبة، مجدي، المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.
61-ياقوت، محمود سليمان، فقه اللغة وعلم اللغة (نصوص ودراسات)، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1991م.
-علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة: 1995م.

62-ياقوت، أحمد، سليمان ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ط1، 1981 م.

(3)-المراجع المترجمة:

1-البقاعي، محمد خير، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1998م.
2-براون، جوليان، يول، جورج، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطي و د . منير التريكي، الرياض: جامعة الملك سعود، د . ط، 1997م2
3- برينكر، كلاوس، التحليل اللّغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسيّة والمناهج، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1، 2005.
4-دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ، ترجمة: د . تمام حسين، القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1998م.
5-دي سوسير، فرديناند، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: محمد الشاويش ومحمد عجينة، تونس : الدار العربية للكتاب، 1985م.
6- ديكرو، أزوالد، سشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: د. منذر عيّاشي، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط2، 2007م.
7-لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط، 1987م.
8-هانيه مان، فولفجانج، ديتر، فيهفجر، مدخل إلى علم اللغة النصّي، ترجمة: فالح بن شيب العجمي، الرياض: جامعة الملك سعود، 199

المجلات والدوريات:

1-حسين، جميل عبد المجيد، علم النص، أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، عالم الفكر، العدد 2 أكتوبر، ديسمبر 1984م.
2-فالانسي، جزيل، النقد النصّي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي تأليف: مجموعة من الكتّاب، ترجمة: د. رضوان ظاظا، مراجعة د. المنصف الشنوفي، سلسلة عالم المعرفة العدد 221 مايو، 1997م
3-فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، العدد 164 أغسطس 1992م.
4-المالح، غسان، أدب الشحاذين، دراسة مقارنة، ، مجلة العربي، العدد 119 أكتوبر 1968م.
5-الموسى، خليل، التناص والإجناسية في النص الشعري، مجلة الموقف الأدبي، يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 305 أيلول 1996م.
6-الموسى، خليل، التناص ومرجعياته، مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، العدد 476 أيار 2003م.
7-مرتاض، عبد الملك، الكتابة أم حوار النصوص، مجلة الموقف الأدبي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 330 تشرين الأول 1998م.
8- نزار، ميلود، نحو نظريّة عربيّة للإحالة الضميريّة : دراسة تأصيليّة تداوليّة، الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية، العدد 42، السنة السابعة، 2009م.

9-نصر، صالحة، البخيل والبخلاء بين الجاحظ وموليير، دراسة مقارنة لأنموذج البخيل بين الأدب العربي والأدب الفرنسي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 384 نيسان 2003م صفر 1422هـ.

الرسائل الجامعية:

1- عكرمة، أ. هند، الكلمة بين المعجم والسياق، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، إشراف الأستاذ الدكتور سامي عوض مشاركة د . ماهر حبيب، 2007م، 1428هـ.

المراجع الاجنبية:

1- Alden J.Moe:Cohesion ,coherence ,and the comprehension of text –,Jouranl of reading october,1979.
2- Carter David, horwood Ellis,Interpreting Anaphorsin natural lngauge texts , limited ,England ,1987.
3- de beaugrande ,Robert, Dressler wolfgang ,Introduction to text linguisticse,logman ,London ,1982.
4- Edmonson .W,Spoken ,discourse : ,a model for language ,as longman ,1981.
5- En Kvist J.O ,Pseudo –coherence and non-coherence in,N.E ,coherence finland Abo Akademi.foundation ,Ostman (e.d),cohesion and semantics ,1978
6- Halliday&Hassan:Cohesion in English,London,Longman,1976.
7- Honey Michael ,Patterns of lexisin text ,Oxford University press 1991
8- Nunan,Daved,Interoducing discourse analysis,London,Penguin Group 1993
9- widdow son .H .G,Teaching ,communication ,.,Oxford.

.

المراجع الإلكترونية:

http://www.ta5atub.com/montada-f5/topic-t87
http://www.ta5atub.com/montada-f5/topic-t90
http://www.ta5atub.com/montada-f5/topic-t559
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=1148
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=130
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=533

٧

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	أ- ح
الفصل الأول: المفاهيم والمصطلحات.....	1
تمهيد.....	2
الإحالة في اللّغة.....	4
الإحالة عند القدماء.....	5
الإحالة عند المحدثين.....	24
العنصر الإشاري (المحال إليه).....	31
العنصر الإحالي (المحيل).....	34
الإحالة الخارجيّة.....	35
الإحالة الداخليّة.....	38
الإحالة الداخليّة القبليّة.....	39
الإحالة الداخلية البعديّة.....	40
المدى في الإحالة.....	42
التماسك النّصي.....	43
السياق.....	46
السياق التاريخي.....	47
السياق الاجتماعي.....	48
السياق اللّغوي.....	53
سياق الموقف.....	56
التناص.....	58
الفصل الثاني: الإحالة الخارجيّة في نصوص البخلاء.....	64
المبحث الأول: السياق التاريخي.....**.....**	65
المبحث الثاني: السياق الاجتماعي.....	70
المبحث الثالث: السياق اللغوي.....	74
المبحث الرابع: سياق الموقف.....	75
الفصل الثالث: الإحالة الداخليّة في نصوص البخلاء.....	90
المبحث الأول: الإحالة بأسماء الإشارة.....**.....**	91
المبحث الثاني: الإحالة بالاسم الموصول.....	104
المبحث الثالث: الإحالة بالضمائر.....	114
المبحث الرابع: الإحالة بأدوات العطف	138
المبحث الخامس: الإحالة بالمقارنة.....	160
المبحث السادس: الإحالة بأداة التعريف.....	169
المبحث السابع: الإحالة بالتكرار.....	178
المبحث الثامن: الإحالة بالإعراب.....	205

المبحث التاسع: الإحالة بعلامات الترقيم.....	234
الفصل الرابع: مقولات في التحليل النّصي للبنية الإحالية في نصوص البخلاء.....	244
أولاً: التناص في نصوص البخلاء.....	245
ثانياً: السياق في الرسائل.....	265
ثالثاً: الإحالة في الحكايات.....	279
رابعاً: التماسك النصي في القصص.....	289
الخاتمة.....	312
ملحق.....	321
قصة ليلى الناعطيّة.....	324
المصادر والمراجع.....	327

فهرس الأشكال

شكل (1).....	**123**
شكل (2).....	**154**
شكل (3).....	**155**
شكل (4).....	**187**

فهرس الجداول

جدول (1).....	**86**
جدول (2).....	**100**
جدول (3).....	**111**
جدول (4).....	**134**
جدول (5).....	**154**
جدول (6).....	**166**
جدول (7).....	**175**
جدول (8).....	**201**
جدول (9).....	**262**
جدول (10).....	305